موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية
www.coptology.org

د. جورج حبيب بباوي

الإتحاد الأقنومي

سر وجودنا فى الرب

www.coptology.org

الاتحاد الأقنومي

سر وجودنا في الرب

دكتور جورج حبيب بباوي

٢٠٢١

الكتاب : الاتحاد الأقنومي سر وجودنا في الرب

الكاتب : د. جورج حبيب بباوي

الناشر : جذور للنشر – ت: ٢٧٧٩٦١٣٧

الطبعة : الأولى ٢٠٢١

المطبعة : جي سي سنتر ت: ٢٧٧٩٦١٣٧
١٤ ش محمود حافظ . ميدان سفير . مصر الجديدة

المحتويات

تقديم: ٥

يسوع التاريخ، حوارٌ مع تراثنا الآبائي ٧

الأقنوم، استعلانٌ إلهيٌّ رغم الشكل اللغوي البشري ٢١

الاتحاد الأقنومي، وماذا يعني؟ ٣٧

الليتورجية والاتحاد الأقنومي ٤١

الاتحاد الأقنومي وسر الإفخارستيا ٥٥

خميس العهد، نحن وهو جسدٌ واحدٌ ٦٧

هل جسد الرب -في سر الشكر- محدودٌ؟ ٧١

كيف نفهم إيماننا؟ المسيح الإله الكامل، والإنسان الكامل ٧٧

تألُّه ناسوت الرب يسوع المسيح ٨٩

ضياع الهوية، ماذا يعني إسقاط علاقة الثالوث بالإنسانية في الابن والروح القدس؟ ١٠٧

إفراميات الاتحاد الأقنومي ١٣٣

الجوهر — الأقنوم — النعمة ١٥٣

الحلول الأقنومي ... عدوٌّ مزعوم، ومعارك مختلَقة ١٦٩

رُعبُ الشِّركِ، وأبديةُ الشركةِ تفنيدٌ لخرافات ٤٠ عامًا ١٧٥

جسدٌ واحد، وأعضاء متنوعة حسب الموهبة (١كور١٢: ١٢ -٢٧) ... ١٨٥

الروح القدس، روح الشركة، روح المحبة ١٩٣

الحلول المتبادل لأقانيم الثالوث (١) (Perichoresis- Περιχώρησις) ٢٠١
الحلول المتبادل لأقانيم الثالوث (٢) ٢٠٥
الحلول المتبادل – التجسد والثالوث ٢١٥
حوارٌ مع صديق عن أُلوهية يسوع المسيح – ١ .... ٢١٩
حوارٌ مع صديق عن أُلوهية يسوع المسيح – ٢ .... ٢٢٦
الوهية يسوع المسيح – حوار مع جاري كيفين ٢٣١
مجمع خلقيدونية ٤٥١م، ماله وما عليه ٢٣٣
ردًّا على اتهام أُم الشهداء بأنها كنيسة مونوفيزية – أوطاخية – ١ .... ٢٤٣
ردًّا على اتهام أُم الشهداء بأنها كنيسة مونوفيزية – أوطاخية – ٢ .... ٢٤٩
حوارٌ عن الاتحاد الأُقنومي ٢٥٧
مناجاة لأعداء الاتحاد ٢٦٩
نحن والمسيح شركاء جسده الواحد، ولنا فيه حياةٌ واحدةٌ ٢٨١
لأنك كُلِّي، وأنا بعضُكَ ٢٨٧
جسدك يا يسوع هو جسدي ٢٩٧
تألُّه ناسوت الرب يسوع ٢٩٩
يسوع المسيح هو الإنسان الوحيد في تاريخ البشرية الذي لم يَعِش لنفسه ٣٠٣
التجسد، بين خداع النظر، وخداع اللفظ ٣٠٩
الفرق بين المسيح والمؤمنين ٣١٥

تقديم

سبق نشر الصفحات التالية كمقالات مستقلة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية، وجريًا على عادتنا في تجميع المقالات ذات الموضوع الواحد أو تلك التي تجمعها فكرة واحدة، رأينا إصدار هذا المجلد عن "الاتحاد الأقنومي، سرُّ وجودنا في الرب"، تعميمًا للفائدة.

لم نقم بترتيب الموضوعات ترتيبًا تاريخيًّا بحسب تاريخ نشرها، وإنما قمنا بترتيبها ترتيبًا موضوعيًّا بحيث يمكن معالجة الموضوع الواحد من أكثر من جانب.

نضع هذه الصفحات بين يدي رب المجد يسوع الذي "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له" طالبين أن يفتح أعين قلوبنا لنرى عِظَم ما أعطانا في تجسده وفي اتحاده ببشريتنا التي أخذها من القديسة العذراء مريم، فنعي مدى عِظَم وجودنا في الرب.

د. جورج حبيب بباوي

شهادة القديس العظيم مار مينا العجايبي

٢٤ أكتوبر ٢٠٢٠م - ١٥ هاتور ١٧٣٧ش

يسوع التاريخ

حوارٌ مع تراثنا الآبائي[1]

ماذا نتعلم من الهرطقات القديمة؟

هذه السطور ليست ردًّا على أحد معين، ولكنها ملاحظات عامة على مَسْحٍ شامل لما أسمع وما أقرأ وما يدور من حوار، ليس فقط على موقع الدراسات القبطية، ولكن على مواقع أخرى، وما يصلني من إصدارات قبطية في السنوات الماضية.

فصل التاريخ عن الإيمان في مدارس الغنوسية:

كراهية الجسد واعتبار العالم المادي المنظور من خلق الإله الشرير (إله العهد القديم) جعل الغنوصيون يضعون المعرفة قبل الإيمان، بل وأن تصبح بديلًا للإيمان، ومن هنا جاء الاسم اليوناني "الغنوصية" أو "العرفانية" حسب ترجمة أستاذنا د. باهور لبيب.

ويسوع -لدى الغنوصيين- هو الإنسان المولود الذي تحول إلى روح في معموديته وصار المسيح، وبذلك لم يعد للأناجيل كلها قيمة، لذلك حذف الغنوصيون أناجيل متى – مرقس – لوقا، ونشروا نسخةً معدَّلةً من إنجيل يوحنا،

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٩ إبريل ٢٠١٤.

كما رفضوا كل رسائل بولس ما عدا رومية وغلاطية باعتبار أنها ضد إله العهد القديم الإله الشرير خالق العالم المادي.

لم نسمع عن تجمعات غنوصية بعد نهاية القرن الثالث؛ لأن هؤلاء "المناكيد" رفضوا الزواج واعتبروه شرًّا، وأدَّى ذلك إلى تقلص وجودهم البشري. لكن الأفكار لم تمت. فقد ظلَّ يسوع مزعجًا جدًا لكل مَن يكره الجسد، ولم يكن هؤلاء من خارج الجماعة المسيحية، بل من داخل الكنيسة مثل أوطاخي ونسطور، وإذا كان الأول قد أذاب الناسوت في اللاهوت لأنه يكره الناسوت، فالثاني قاوم الاتحاد بكل ما يملك من فصاحة وبلاغة وقدرة شيطانية على اللعب بكلمات الأسفار المقدسة.

كما دخلت الغنوصية في النسك أيضًا، وقد تمثَّل ذلك في الهرب من الجسد واعتباره "العدو" أو "الخصم"، وفي اعتبار أن عدم الزواج أرفع شأنًا من الزواج، بل وفي العودة إلى فرائض الشريعة الخاصة بالجسد من اغتسالات وعلاقات إنسانية مثل الزواج لتأكيد "دونية" الزواج؛ لأن "الجسد" حقيرٌ ودنيء، مع أن الأرثوذكسية الحقة تؤكد أن خلاصنا تم بواسطة الجسد الذي اتحد به الله الكلمة، وأنه، أي الجسد هو هبة المحبة في الإفخارستيا.

إن يسوع التاريخ هو المولود في بيت لحم، الذي بدون ولادته، لا ولادة لنا من فوق. الولادة من مريم البتول حدثٌ تاريخي، ولكنه أدخل الأُلوهة في التاريخ، وجعل للجنس البشري بدايةً جديدة في "آدم الأخير" أو "الثاني".

الاسم والوظيفة

* فقد وُلِدَ لكي نولد نحن. وُلِدَ من الروح القدس لكي نولد نحن من الآب، ويبقى اسم يسوع حسب (فيلبي ٢: ٦) "لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة (في العالم المنظور وغير المنظور) ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب" (راجع فيلبي ٢: ١١). ولعلنا نلاحظ أن الابن له المجد لم يُسمَّى المسيح، بل "يسوع" (متى ١: ٢١)، واسم "يسوع" هو الاسم الذي يحوي تاريخ الخلاص،

بل هو جوهر البشارة؛ "لأنه يخلص شعبه من خطاياهم". وقد نال يسوع المسحة في الأردن، فدُعي "المسيح"، وهو لقبٌ خاصٌ بالوظيفة، فهو ليس اسمًا شخصيًا، ولكنه صار لقبًا يضاف مع الاسم الشخصي، فصار يسوع هو المسيح –ليس حسب ادعاء الغنوصية، بل حسب تدبير الخلاص– لكي يُشرك الروح القدس، روح الآب في تدبير الخلاص؛ لكي نُمسح نحن مثله بذات المسحة ونُدعى لذلك السبب "مسحاء" أو "مسيحيين"؛ لأننا مسيحيون حسب تعبير رسول المسيح يوحنا: "المسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم" (١يوحنا ٢: ٢٧). بل عندما يقول بولس: "ليس أحد يقدر أن يقول يسوع هو الرب إلَّا بالروح القدس" (١كو ٢٢: ٣)، عندئذٍ يكون النطق بالاسم التاريخي هو شهادة الروح القدس ليسوع، ولذلك يمسحنا روح يسوع لكي نعترف به ربًّا، وبذلك تتم مسحته وتكمل فينا.

الجسد والقيامة

* وقد صُلِبَ الرب يسوع بالجسد لكي في جسده المولود من البتول يسحق الموت، وهو ذات الجسد الذي قام، فلا قيامة إذا كان الجسد قد اختفى، أو ذاب في اللاهوت، أو فسد في القبر. لا قيامة إلَّا بالجسد، **وأي حديثٍ عن القيامة هو حديثٌ عن الجسد**، وهذا ما لا يقبله الهراطقة جميعًا؛ لأن تحول جسد يسوع إلى روح، هو ما يريح الضمائر المتعَبة من الجسد، والتي لا تسعى من أجل تجلي الجسد لكي يكون حسب جسد يسوع؛ لذا يعُد تعبير الرسول بولس: "جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١)، تعبير صادم للهراطقة الغنوصيين؛ لأن هذا الجسد هو ذات الجسد الذي سوف نتغير نحن لنكون على صورته.

الكنيسة جسد المسيح

* الكنيسة جسد يسوع التاريخي؛ لأننا أخوة يسوع بالجسد وبالروح: بالجسد؛ لأننا وُلدنا من جديد، وبالروح؛ لأننا بالولادة الجديدة من فوق في المعمودية والمسحة قد دخلنا الواقع الجديد، واقع "الخلقة الجديدة" (٢كو ٥:

١٧)، ويبقى اللحم والدم هو لحم ودم يسوع؛ "لأننا من لحمه وعظامه" (أفسس ٥: ٣٠)، وهي الحقيقة التي لا يريد أحدٌ أن يجاهر بها بنفس قوة النعمة والتجديد، خوفًا من انهيار سلطان كهنوتي نشأ على حساب نعمة وعمل الثالوث القدوس نفسه.

الهجوم الإنجيلي المعاصر على السرائر، لا سيما الإفخارستيا:

هذا الهجوم هو هجومُ جهلٍ، وهو بعثٌ لغنوصية جديدة؛ لأنه يرتكز على قبول المسيح كفكرة وعقيدة في العقل، ويقف القبول عند ذلك. وفصلُ رأس الكنيسة عن الأعضاء هو فصلٌ أتاح للواعظ أن يصبح هو الرأس الذي يقود الجماعة؛ لأن العلاقة الإلهية — الإنسانية للمتجسد، تحوَّلت إلى نظام عقلي يدور في دائرة التعليم والتشديد على الوعظ، وانعدام ممارسة عشاء الرب، بل والسخرية منه، واعتبار أن الذكرى عقلية محضة، وأن الخبز والخمر يتحول في الإنسان عندما يتناول. وهكذا استُبعِدَ عمل الروح القدس الذي كوَّن إنسانية المسيح ومسحه في الأردن وقدَّمه للآب (عب ٩: ١٣-١٤)، بل وأقامه من الأموات (رو ٨: ١١).

هذه الغنوصية لا تضع قوة الاتحاد في النعمة، بل في قراءة الأسفار والصلاة والانشغال الفكري. هذه أمورٌ جديدة، ولكن تتبدى خطورتها في أن انعدام المواجهة والشركة في الحياة الإلهية، يحول كل هؤلاء إلى موعوظين، لم ينالوا بعد الولادة من فوق - أي الولادة في المعمودية. ومَن لا يولد من المعمودية يكون قد وَلَدَ نفسه بإرادته وتوبته هو، وُلِدَ من كيانه ولم يولد من الله. هذا لا ينفي التوبة والإيمان، لكن التوبة هي دعوة لشركة كيانية في المسيح، والإيمان هو تناول الرب والاشتراك في أقنومه الإلهي المتجسد.

هكذا عادت الغنوصية باسم جديد.

الشخص والاسم، والحقيقة الأبدية:

جاءت الأريوسية، ومن بعدها الأنومية باختراعٍ جديد، وهو يعود أصلًا إلى فكرة أرسطو عن أن اختلاف الأسماء يعني بالضرورة اختلاف الطبائع، فكل اسم يدل على طبيعة؛ لأن اسم الحصان أو الأسد أو الحمار أو الماء .... هذه أسماء تدل على طبائع مختلفة .. من هنا جاءت الأريوسية أولًا لتقول إن اسم الآب ليس هو اسم الابن. فكيف يكون للآب والابن طبيعة واحدة إلهية طالما أن الأسماء اختلفت؟ هذه زاوية علوم الطبيعة، وهي نظامٌ جديد يحدد ملامح الموجودات من أجل فهم كل الكائنات، لكن هل هذا النظام العقلي ينطبق على الثالوث؟ بكل تأكيد لا، ليس لأن الله فوق كل الطبائع فقط، بل أيضًا لأن الله هو خالق النظام نفسه، فهو لا يخضع لذات النظام؛ لأن النظام خاص بالعالم المادي المنظور، وهو نظام "معرفي" خاص بما هو منظور.

جاء ردُّ الآباء على ذلك من ذات فلسفة أرسطو، بأن الآب لا يكون الآب الحقيقي بدون الابن، لأن الاسماء تحدد أيضًا العلاقات، فلا وجود للآب بدون الابن، فاسم الآب والابن هو اسمُ علاقةٍ في الثالوث، ولذلك لا يمكن فصل الآب عن الابن ... ولكن هل ماتت الهرطقة؟ بكل تأكيد لا، بل ظهرت تحت اسم عقيدة الفداء والكفارة، إذ تحول المسيح إلى "ثمن" يُدفع للآب؛ لأنه غريبٌ، وله طبيعة غير طبيعة الآب، ولذلك هو يسترضي الآب، ويفدي الآب من غضبه، وبالتالي ضاعت العلاقة الثالوثية.

وجاءت الأنومية الجديدة باختراع اسماء بلا كيانات، أي أسماء ليس لها من الاسم سوى اللفظ، مثل: النعمة – الطاقة – القوة. وبكل أسفٍ، عندما يكتب أحد الأحباء عن الشخص الإفخارستي، أو المسيح الكاثوليكي الجامع، أو أيًّا ما يمكن أن يضاف من أسماء أخرى، فإننا يجب أن نكون على حذر، هل هذا اسمٌ له كيان، أم أنه مجرد نطق أو صوت بلا كيان؟ النعمة ليست اسمًا فقط، بل هي عملٌ يعمله الثالوث فينا، ولذلك، النعمة دائمًا "معرَّفة" مثل نعمة التبني، فهي ليست النعمة مجرَّدة، وأيضًا نعمة الغفران – نعمة التبرير – نعمة التقديس .... الخ.

والحلول المواهبي، أو الحلول النعموي، أو أي اسم آخر، هل له كيان أو عمل، أم أنه مجرد نطق مثل إطلاق الأسماء على الأشخاص مثل كريم – أبو الكرم – وغيرها توصف بأنها "اسم الكنية"؟

لنكن على حذرٍ لئلا ندخل ذات النفق العقلي المظلم الذي شقَّه الهراطقة قبلنا، وإلَّا وجدنا أمامنا:

١- أسماء بلا كيان.

٢- ألقاب تفصل الله الثالوث عن الإنسان.

٣- شرحٌ عام، مثل النعمة دون تحديد.

٤- التدرج من اختفاء يسوع اللحم والدم الذي يتجلى بقوة القيامة، إلى اختفاء مجد الإنسان الجديد الذي هو إنسان بمجد لحمه ودمه بقوة اللاهوت وبحياة اللاهوت، فصار في عدم فساد، وصار جسدًا محييًا، انتهاءً إلى أن يصبح يسوع مجرد فكرة في رأس قائلها أو الواعظ بها.

٥- إنكار تجسد ابن الله بشكل ظاهر، وحصر الفداء في مركزية موت الرب على الصليب، وكأن الاتحاد بنا في تجسده هو بلا قيمة، بينما جاء الصلب لكي يجعل هذا الاتحاد أبديًا؛ إذ رفع أول عائق وهو الموت، وثانٍ عائق وهو الفساد، إذ قام الابن بعدم فساد. كل هذا حدث في الجسد، فالصليب في الجسد، والقيامة هي قيامة الجسد .. هذه ثوابت لو زحزحها أحد، لتحولت المسيحية إلى ثقافة عقلية بلا مضمون، بلا واقع، بلا حياة، وصارت مذهبًا أخلاقيًا يحرر العقول، ولا يحرر كيان الإنسان من الموت، ولا يعطي له التجديد .. تُرى هل نحن سائرون في هذا النفق؟

٦- يجب أن يبقى اسم "يسوع"، وأن تبقى الإضافة "المسيح"؛ لأن الاسم هو الشخص، والإضافة هي الوظيفة أو العمل، ولا يمكن فصل الاسم عن الشخص، أو الممسوح من الآب لأجلنا عن عمله؛ لأن "يسوع يخلص شعبه من خطاياهم".

مدارس الهرطقات القديمة ومنهج التفكير الانتقائي:

يجب الانتباه جيدًا إلى أن اسم الهرطقة هو اسم يوناني الأصل من الفعل اليوناني αἱρέω بمعنى يختار أو ينتقي، وقد ورد عدة مرات في العهد الجديد منها على سبيل المثال لا الحصر (فيلبي ١: ٢٢ – ٢ تس ٢: ١٣)، والاختيار عند فئة من الذين آمنوا مبني على:

أولًا: على رفضٍ يؤدي إلى اختيار.

ثانيًا: اختيار أجزاء معينة، وعناد وإصرار –في ذات الوقت– على رفض الكل. وذلك مثل اختيار الأبيونية –وهي حركة تهود ظهرت في القرن الأول– لإنسانية المسيح ورفض أُلوهيته، وحفظ يوم السبت وبقاء شريعة موسى.

ثالثًا: والاختيار والرفض ليس مبنيًا على ما أُعلن، بل على خلفيات ثقافية ولغوية ودينية سابقة *Pre-Conceived* وتفرض هذه الأفكار المسبقة الواردة من الثقافة والخبرة الدينية السابقة رؤيا غير الرؤيا التي جاء بها تجسد ابن الله الكلمة. على سبيل المثال، المشكلة الكبرى التي ظهرت في خدمة الرسل، وهي انضمام بعض اليهود إلى الإيمان، ومحاولة فرض العادات اليهودية والممارسات الطقسية، بل والختان نفسه على الذين وصفهم سفر الأعمال بـ "الراجعين إلى الله من الأمم"، ولذلك عُقِدَ المجمع الرسولي الأول (راجع أع ص ١٥)، والذي حرَّر الأمم من الالتزام بشريعة موسى. هكذا جاءت الخبرة الدينية والأفكار المسبقة *Presupposed Ideas* بذلك الصراع الذي لم ينتهِ من الكنيسة طوال ٣٠٠ سنة.

الانتقاء هنا لأسباب مسبقة، أي سابقة على قبول الإيمان، وتفرض نفسها على الإيمان، أي التعليم نفسه، وتختار ما يلائم الخبرة القديمة وترفض ما يبدو متعارضًا معها.

فبسبب كراهية الجسد رفض أبوليناريوس –وهو من أكبر مثقفي عصره، حيث أعاد كتابة الترجمة السبعينية على غرار الشعر والأدب اليوناني القديم للتدريس في المدارس التي تتبع الكنيسة– ولكنه كان يرى التجسد اتحاد اللوغوس

Logos الكلمة بالجسد فقط وبدون نفس إنسانية؛ لأن العقل الإنساني هو مصدر الشر، ولا يمكن أن يكون المتجسد صالحًا وبلا شر إذا وُجِدَ فيه عقل إنساني؛ لأن هذا يعرِّضه للخطية، وكأن وجود الفكر الإنساني الحر هو مشكلة لا يمكن أن يتغلب عليها الابن، أو أن إرادته الإنسانية النابعة من النفس والعقل يمكن أن تميل إلى الشر، ولذلك وجب الاستغناء عن الإرادة والعقل والنفس وكل مكونات الحياة الإنسانية، وكأن البتر *Amputation* هو الحل.

وجاء اعتراض الآباء جميعًا، وحُكِمَ على هذا التعليم في مجمع مكاني في الإسكندرية في عام ٣٦٢ حضره الأسقف البابا أثناسيوس. ولذلك، فإن اتهام أثناسيوس وكيرلس الكبير بقبول تعليم أبوليناريوس هو خطأ تاريخي لا يقع فيه إلَّا الصغار؛ لأن وجود مجمع مكاني رَفَضَ التعليم هو علامة فارقة لا يمكن تجاوزها. وقد جاء رد القديس غريغوريوس النيزينزي في عبارة موجزة: "ما لم يتخذه (الكلمة الابن) لم يُشفَ وما لم يتحد به لم يخلص" (الرسالة ١٠١).

مجمل الهرطقة، وهو جوهر كل الهرطقات:

يمكننا أن نلخص جوهر الهرطقات كلها في "**الخلاص من الخارج**"، أي العمل الذي يقوم به الابن المتجسد خارج إنسانيته هو، أي إنسانيته الذاتية الخاصة به؛ لأنه عمل يتم خارج ما هو إنساني ... أما الأرثوذكسية، فهي الخلاص والشفاء ورد الحياة بالاتحاد. هي خلاصٌ من الداخل، أي شفاء الأمراض، وإقامة الموتى، غفران الخطايا (تحرير الطبيعة الانسانية)، كل هذا يتم في الإنسان. أمَّا من الداخل، فهو يعني القضاء على الموت في إنسانية يسوع التاريخ نفسه؛ لكي يبقى يسوع التاريخ هو الحياة الغالبة في الإنسانية التي أخذها من البتول.

كل الهراطقة الذين انكروا التجسد وجدوا في العودة إلى الشريعة (الأبيونية) طريق الخلاص – خلاص بدون المسيح.

إنكار أُلوهية المخلص (الأريوسية)؛ لأن الخلاص هو تقدُّم أخلاقي، روماني – يوناني، حسب مقاييس الشهامة والرجولة والأخلاق النبيلة السائدة في المجتمع

الروماني اليوناني في الإمبراطورية. وقد عاد إلى هذه المقولة الإمبراطور يوليانوس الجاحد الذي أراد أن يبعث الوثنية بعد أن كادت تلفظ أنفاسها.

ويجب ضم الغنوصية إلى الأريوسية؛ لأن الخلاص بالمعرفة يعني عدم حاجة الإنسان إلى الوحي أو إلى مخلص، بل إلى طريق النُّسك والتأمل الذي يدخله الإنسان بقدراته الروحية.

ولا يوجد فرق جوهري بين كل مدارس الغنوصية وكل الهرطقات؛ لأن القاعدة العامة التي تجمع الكل هي كراهية الجسد التي تثمر بعد ذلك عند أهم ثلاثة من قادة كراهية الجسد: أبوليناريوس – اوطاخي – نسطور، وإن كان نسطور قد رفض الاتحاد لأسباب فلسفية بحتة، بسبب معرفته بفلسفة أرسطو التي فرضها على اللاهوت، إلَّا أن النتيجة هي واحدة، سواء ذاب الناسوت في اللاهوت، أو انفصل الناسوت عن اللاهوت، فالواقع هو أنه لا يوجد لدينا مخلصٌ هو إلهٌ متجسد.

الخلاص، كعملٍ خارج إنسانية الرب نفسه، ماذا يعني؟

إن رفض التجسد يظهر في كيفية قبول التجسد والمتجسد ذاته، أي الرب نفسه، وهذا ما نراه عبر سنوات امتدت من العصر الرسولي، بل ابتداءً من رفض بطرس لصلب يسوع: "حاشاك يا رب" إلى العصر الحديث.

أولًا: تحول الصلب إلى "ثمنٍ" يُدفع للآب. وهي فكرة تجارية بحتة لا وجود لها في العهد الجديد، يدافع عنها باستماتة، بل وبعنف كل الذين سقطوا فريسة التجريد *Abstraction* أي تحول شخص المسيح يسوع إلى فكرة، وهي الثمن. ولم يسأل هؤلاء كيف يمكن لشخص أن يصبح ثمنًا؟ وخلف هذا بكل تأكيد جهلٌ بمعنى الـ"فدية"؛ لأن عدم الإيمان بأُلوهية يسوع هي التي تجعل يسوع ثمنًا، وكأنه ليس هو الخالق الذي يملك كل الكائنات، وأن تجسده لم يجعله يفقد أُلوهيته.

ثانيًا: والثمن يحول عمل المخلص والخلاص برمته إلى عملٍ خارج الحياة الإنسانية، ويوجِّه العمل إلى الآب، وينسى -بحكم الفكرة التجارية- علاقة الروح القدس الذي "كوَّن" ناسوت الرب ومسحه في الأردن وقدَّمه لنا "المسيح"، وبه، أي بالروح صُلب (عب ٩: ١٣-١٤)، وهو أيضًا الذي أقامه من الأموات (رو ٨: ١١).

وفقدان العلاقة الشخصية يخلع المعمودية من جذرها، لأن هذا لا يجعل منها صلب وموت ودفن وقيامة مع المسيح (رو ٦: ١-٨)؛ لأن أصحاب هذه الفكرة التجارية يعثرون دائمًا أمام قوة كلمات (رو ٦: ١-٨).

ثالثًا: وإنكار التجسد والمتجسد يتم بشكل آخر، وهو فقدان الأهمية الأبدية والقصوى للاتحاد الأقنومي. اتحاد لا يقبل الانقسام ولا الامتزاج (السبيكة المعدنية التي يمتزج فيها معدن مع معدن آخر). ففي بطن العذراء، وفي مياه الأردن، وعلى الصليب، وفي القبر، يسوع هو الإله المتجسد؛ لأن الانفصال هو العدو الذي جاء يسوع ليقضي عليه؛ لأن الانفصال هو أحد ثمرات الموت.

وإنكار الاتحاد الأقنومي يعود أصلًا إلى الأريوسية، ثم النسطورية، ولكن الشكل الجديد، أي ذات الخط القديم الظاهر بوضوح في زماننا لإنكار الاتحاد الأقنومي، هو بكل يقين المجاهرة بالقول بتناول الناسوت وحده في الإفخارستيا. ونفس الإنكار يظهر أيضًا في تحول النعمة إلى فكرة مجردة *Abstract* أي إلى ما يشبه رضى الله بالإنسان، أو حتى في القول بأن التبرير هو إعلان براءة الإنسان. ولو قال هؤلاء إن براءة الإنسان هي في المسيح "لكان الانحراف أقل خطرًا"؛ لأنه لا براءة ولا قبول ولا نعمة خارج المسيح.

الغنوصية في شكلها الحديث:

فصلت مدرسة فالنتيان[1] يسوع الإنسان المادي عن المسيح الروح السمائي. واعتبرت أن هذا الفصل تم في المعمودية عندما اختفى ذلك الإنسان، وحلَّ مكانه المسيح الكائن الروحي. أما بالنسبة للأرثوذكسية، فيسوع الانسان هو الأساس الإلهي لكل ما نملك؛ لأن ما حدث في حياة يسوع الانسان هو ينابيع الخلاص التي تأتي من اللاهوت نفسه، والذي يحول الناسوت منذ الحَبَل إلى الصعود، تحولًا كيانيًّا من الموت إلى الخلود، ومن الضعف إلى القوة، ومن اعتماد الحياة الإنسانية على الطعام والماء والهواء والملابس والنوم، إلى الحياة الانسانية المتألِّهة السمائية التي تبدأ بالقيامة وتنال المجد الإلهي بالصعود. فقبل القيامة كان الجسد قابلًا للموت، ونزف دمًا على الصليب وتعب وعرق في البستان، بل وبكى (عب ٥: ٧)، ولكنه بعد أن قام صار عديم الألم ويعطي الحياة ويمنح الشفاء، ويجود بالخلود لكل من يتحد به في السرائر.

أنكرت الغنوصية يسوع التاريخ من أجل مسيح السماء، وأنكرت إنسانيته، فتحول الخلاص إلى هروب إلى عالم فكري نفساني، لا تجديد الكيان ذات التجديد الذي تم كاملًا في يسوع لكي يُنقل إلينا كاملًا ويُستعلن كماله في اليوم الأخير.

فما هو الشكل والمضمون الغنوصي المعاصر لنا؟

أولًا: هو كل دعوة تنادي بالتجديد الأخلاقي الذي لا علاقة له بالتحول الكياني في التائبين والراجعين إلى شركتنا في الثالوث، وإلى اعتبار السلوك الجديد: عدم الكذب – العفة .. الخ هو الحد المطلوب، وبالرغم من أن هذا السلوك هو أمرٌ جيد جدًا، ولكنه ليس الحياة المسيحية الحقيقية التي يتحول فيها الكيان من

---

(١) حسب العلامة ترتليان، كان Valantinus (حوالي ١٠٠-١٦٠) هو أحد المرشحين لأسقفية روما .. كان له مدرسة في الاسكندرية واستقر بعد ذلك في قبرص. يُعدُّ انجيل الحق الذي اكتشف في نجع حمادي، وهو من مؤلفات القرن الثالث، وأشار اليه القديس ايريناوس (ضد الهرطقات ٣: ١١ و٢٩) هو الوثيقة الغنوصية التي كشفت عن كراهية الجسد ونبذ يسوع كإنسان كامل الإنسانية.

العبودية إلى "حرية أولاد الله"، أي حياة شركة كيانية في المسيح يسوع نفسه[1] أما عنصر الشركة الواضح مع الغنوصية، فهو المجال الفكري والنفساني الذي يُسمى "روحاني"، وهو ليس له علاقة بالمرة بما هو "روحاني"؛ لأن الروحاني أو "الروحي" ليس هو الأخلاقي، بل الامتلاء من الروح القدس.

ثانيًا: هو التعليم السائد الذي حوَّل شخص أقنوم الله الكلمة إلى فكرة يقبلها العقل. والقبول العقلي مطلوب؛ لأنه بداية الاتحاد بالشخص، لكن المواجهة ليست مع تعليمٍ عن يسوع، بل هي مع يسوع الإله المتجسد الكائن معنا وفينا. "ومعنا" ليست حقيقة أخرى مختلفة عن "فينا"؛ لأنه كامنٌ سريًّا في كل مؤمن حتى وإن كانت حياته بلا فاعلية؛ لأن حياته تسري فعلًا وبكل حق في كل من نال سر الحميم الجديد، ومُسِحَ بمسحة يسوع أي الميرون. ولذلك، عندما تنطلق التراتيل التي تدور كلها حول يسوع الذي صُلب ودفع الديون، أو طفل المزود، وغيرها من نفاية عصور الانحطاط الروحي الذي جاءت به حركات النهضة التي دخلت بلادنا[2] فإن الإنسان يدخل مجالًا عقليًا نفسانيًا يدور فيه لسنوات إلى أن يصحو يومًا ويكتشف أن يسوع ليس في السماء فقط، بل فيه هو أيضًا، ذلك لأن الغنوصية الحديثة هي فصل الروح عن الجسد، وتحول المسيحية إلى دعوة فكرية أخلاقية.

تمييز الهرطقات في الأصولية المعاصرة:

١- هل نحن بعيدين تمامًا عن دعوة التهود؟ أليست كل دعوة للإبقاء على ما ورد في العهد القديم، لا سيما شرائع التطهيرات الجسدية هو ذات جوهر الأبيونية. إذا كان لنا تطهيرٌ آخر غير ذلك التطهير الذي يُعطى بالروح القدس،

---

(١) راجع دراستنا بعنوان: الكنيسة جسد المسيح، المسيح والمسيحي وشركة الجسد الواحد، دار جذور للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٤ – منشورة على موقع www.coptology.com

(٢) سمعت مرةً صمويل دكتوريال يرتل قائلًا: يا اخوتي يوم الحساب تبكي الجبال والهضاب لأنه يوم العقاب ... الخ!!

وبالشركة في الجسد والدم في الإفخارستيا .. ألا نكون عندئذٍ من أتباع حركة التهود؟

٢- هل نكون تجاوزنا الغنوصية؛ إذا ظلَّ الجسد عندنا هو مصدر الشر؟ بل وعندما يتمسك البعض بخطأٍ وقع فيه القديس أوغسطينوس، وهو انتقال الخطية بالوراثة، وهو ذات مذهب ماني ومدارس الغنوصية، ويفرض هذا الخطأ على أنه الأرثوذكسية، ألم نعد إلى ذات عقلية القرون الأولى؟ وإذا أصر هؤلاء على أن الخطية فعلٌ يورَّث، ألا يسير هذا في ذات اتجاه تجريم الجسد؟

٣- وعندما يحاصَر ربُّ التاريخ في حدثٍ واحدٍ، وهو الصلب، ويصبح صلب المسيح هو أساس الخلاص، ونترك التجسد، أي اتحاد اللاهوت بالإنسانية – القيامة – الصعود، ألا يؤدي فرض الحصار على يسوع بأنه صلب منذ ألفي عام إلى اعتبار الصلب والمصلوب فكرة غيابية لا حضور حقيقيًا لها في الواقع، وبذلك تغيب عنا إنسانية يسوع الحاضرة والحية معنا وفينا لأنها إنسانية الإله الذي جاء لكي يوحِّدنا بالآب وبالروح القدس؟

٤- ومهما قيل دفاعًا عن الحلول المواهبي بكل ما في اللغة من حيَلٍ وتدليس .. أليس هذا التعليم هو إنكار حلول الله فينا، وحلول الله فينا هو امتداد للتجسد؛ لأن "ملء اللاهوت يحل فيه وأنتم مملؤون فيه" (كولوسي ٢: ٩-١٠)؟ أليس هذا محاولة لإنكار التجسد نفسه الذي فتح لنا الاتحاد بالله؟

بكلِّ ألمٍ كتبت هذه السطور؛ لأن الانهيار في التعليم واضح لمن عاش الحياة الليتورجية. ورغم جمال وعظمة دراسة د. مارك شنودة: الإفخارستيا سر الحياة، إلَّا أنها قسَّمت الحياة إلى – حياة شكر – حياة فصحية – حياة إيمان – حياة صلاة – حياة شركة ... فكم حياة لنا؟ عملٌ عظيم، مبشِّرٌ بالخلاص، ولكن التقسيم أعادنا إلى العصر الوسيط. ودراسةٌ هي أفضل ما صدر بالعربية، ولكنها تحتاج إلى ربط يجعل الحياة واحدة مركزها يسوع وقوتها الروح القدس، وهو ما يعجز عنه القارئ العادي ويدركه الدارسون.

الأقنوم

استعلانٌ إلهيٌّ رغم الشكل اللغوي البشري[١]

كانت دراستي للديانات المقارنة قد بدأت بدروس القمص إبراهيم عطية مدير الكلية الإكليريكية، وهو من أبرع المفكرين الذين عرفتهم، ولكن انشغاله بخدمة الكهنوت والإكليريكية لم يعطِ له الوقت لكي يكتب، وكنت أجد في الحوار الشخصي معه ما هو أعظم من قراءة الكتب، وكانت المكتبة العربية المسيحية في هذا الوقت (١٩٥٧) فقيرة جدًا. ولم يكن لدينا سوى مجلة رجل آخر عظيم هو القمص مرقس سرجيوس الذي ترك ذخيرةً كبيرةً في مجلة "المنارة"، وذلك بخلاف ما كان ينشره الأستاذ حبيب سكاكيني في مجلة "الصخرة الأرثوذكسية".

الاهتمام الأول:

والاهتمام الأول الذي يمكن أن نرصده في هذا المجال هو اهتمام المؤرخين من المسيحيين وغيرهم، هؤلاء ليس أمامهم إلا وثائق التاريخ المسيحية يقلِّبون ما فيها بحثًا عن جذور الإيمان المسيحي. وقد ترك لنا المؤرخ الألماني هارناك خمسة مجلدات، بدأت بفكرة عامة كانت منتشرة في المدارس الألمانية، وهي أن المسيحية صارت دعوة الأمم، وتحصَّنت بالثقافة اليونانية، وتركت أصلها الآرامي والعبراني. وظلت هذه الفكرة سائدة في القرن الـ ٢٠ في شرح إنجيل يوحنا لرودلف بولتمان وعددٌ آخر من تلاميذه.

لكن الحقيقة التي لا يجب أن تغيب عنا، هي أن لغة المجتمع كله لم تكن العبرانية ولا الآرامية، بل اليونانية، وذلك بعدما فتح اسكندر المقدوني منطقة

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٨ يناير ٢٠١٨.

امتدت من بلاد اليونان حتى أفغانستان (الهند)، وسادت اللغة اليونانية، حتى يهود الاسكندرية ترجموا أسفار العهد القديم إلى اليونانية التي عُرفت بعد ذلك باسم "السبعينية"، وقد قام بالترجمة ثلاثة من اليهود هم أكويلار – سيماخوس – ثيئودوتوس.

الاهتمام الثاني:

هو الاهتمام باللغة وبالمفردات. وبالطبع، فقد انشغل الدارسون بالمفردات اليونانية *Prosopon – Hypostasis* والتي ظهرت تاريخيًا عندما حاول المفكرون المسيحيون استخدام أفضل ما يمكن استخدامه، **لأن الحدث *Event* سَبَقَ اللغة، وهو امتياز المسيحية الأكبر، فالفعل، أي ما يحدث، يسبق اختيار الكلمات، وهذا ما يحدث لنا نحن البشر في المعاملات الاجتماعية.**

كان التجسد الإلهي هو "الفعل / الحدث" الذي صدم عقولًا كثيرة: "الكلمة صار جسدًا". ولأن الفعل سبق الكلمات كلها، كان البحث عن الكلمات المناسبة بمثابة ضرورةٍ؛ لأن الحوار حول حقيقة تجسد ابن الله دار بواسطة ثلاث جماعات:

الأولى: المـُشبِّهة، وهم الذين قالوا إن جسد يسوع هو خيال.

الثانية: فرق الغنوسية، وهم الذين خلطوا الإنجيل بثقافة العصر اليونانية، وكان العثور على أناجيل نجع حمادي في صعيد مصر دليلًا على صراع الثقافة مع التعليم المسيحي. ويمكن ضم المانويين، أتباع ماني إلى الغنوسيين.

الثالثة: هم جماعة المؤمنين المسيحيين المنتشرة في أرجاء الإمبراطورية الرومانية (القديمة)، وهم الذين حفظوا الإيمان وصاغوا الصلوات والألحان، وسجَّلوا الاعتراف بالإيمان الذي عُرِفَ فيما بعد باسم "قانون الإيمان". ومن التاريخ العام والكنسي، نعرف أن الفرقتين الأوليين كانتا في طريق الزوال، واختفت بعد القرن الرابع، وإن بقيت بعض الأفكار والممارسات في بعض مدارس النسك المتطرف

الذي قام على معاداة الجسد؛ لأن الغنوسية والمانوية اعتقدا بأن الجسد عقابُ إلهِ الشر، وأنه سجنٌ للنفس الإنسانية يجب أن تتخلص منه.

ومن أُستاذنا القمص إبراهيم عطية، سمعنا عبارةً خالدةً، وهي: "المسيحية ليست ديانة كتاب، بل ديانة الإله المتجسد". وظلَّت هذه العبارة تضيء طريقي وأنا أشق الطريق وسط مدارس النقد التاريخي؛ لأننا في ظل الإيمان بالإله المتجسد:

١- لسنا إزاء عبارات ونصوص، مهما كان مصدرها، بل أمام علاقة شركة جديدة لم تكن متاحة بالمرة قبل تجسد الكلمة ابن الله.

٢- كانت "الرسالة إلى الوثنيين، وتجسد الكلمة" للعظيم أثناسيوس قد كُتبا والوثنية لا تزال في شبابها في الإسكندرية، وهو ما سجَّله القديس أثناسيوس في الفصول الأخيرة من الرسالة إلى الوثنيين، وبالتالي يتعذَّر علينا تاريخيًا أن نقبل الادعاء بأن المسيحية أخذت تعليم الثالوث من الوثنية.

الانتقال من العبرانية والآرامية إلى اليونانية:

بعد مجمع الرسل في (أع ١٥)، ودعوة الأمم لقبول الإنجيل، وهي دعوةٌ موجَّهةٌ لكل الأمم، كان استخدام اليونانية أمرًا فرض نفسه؛ لأن دعوة التهود التي قاومها الرسل في (أع ١٥)، وأيضًا القديس بولس، لا سيما في رسائل: كولوسي – غلاطية، تؤكد أن بقاء اللغة العبرانية هو نهرٌ صغير يؤدِّي حتمًا إلى اليهودية، ويشجِّع حركة التهود، لأن اللغة ليست مجرد كلمات، بل تحمل معها العادات والأفكار والاعتقادات، بل والتاريخ نفسه. ولعل مَن دَرَسَ تاريخ انطاكية حتى زمان ذهبي الفم (القرن الخامس)، وجد أن المجموعة اليهودية كانت لا تزال تنطق الآرامية، وكان المسيحيون الانطاكيون يتحدثون الآرامية، وحدث تزاوجٌ ومشاركةٌ في الأعياد أشار إليه ذهبي الفم في العظات "ضد المتهودين". وإن دراسة شاملة للرسالة إلى العبرانيين، تؤكد لنا عنف وذكاء حركة التهود، وأنها قادرة على أن تعطي للإنسان –من خلال الممارسات– نوعًا ثابتًا من "الهوية" والإحساس

الخاص بالوجود بسبب ما يقوم به من أعمالٍ، دعاها رسول المسيح بولس: "أعمال الشريعة" مثل الاغتسالات ونوع الطعام .. وهنا بالذات، الهوية ليست من الإيمان، بل من الطقوس.

وقد جاء الانتقال إلى اليونانية واستخدامها في مجامع يهود الشتات بعدة امتيازات وببعض المشاكل:

أولًا: استخدام لغة عالمية، وهي اليونانية، وهي لغة عدد كبير من شعوب الأرض.

ثانيًا: استخدام كلمات يونانية لها تاريخ في اليونانية الكلاسيكية، أي الفلسفة اليونانية، وهو ما جعل للرسالة المسيحية شكلًا عقليًا وثقافيًا واضحًا.

ثالثًا: ربط الفكر الديني بالحياة الثقافية اليومية.

ولكن مع الفكر الفلسفي اليوناني جاء:

أولًا: البحث عن قضايا الوجود، أو ما صار يُعرف بعد ذلك بـ"الانطولوجيا".

ثانيًا: تحليل ما يقدَّم من أفكار، وبحث تكوينها ومعانيها حسب ما هو مدوَّن، أي حسب النصوص. وتُعد الأريوسية خيرُ مثالٍ على ذلك؛ لأن الابن –في التاريخ– لا يمكن أن يكون مع الأب؛ لأن الواقع يؤكد وجود الأب قبل الابن، وهي نظرية بُنيت على المعنى الظاهري لكلمة "ابن"، وتركت المعنى اللاهوتي الذي يؤكد على أن "الآب" لا يمكن أن يكون الآب الأزلي، إلا بالابن الأزلي. ومِن هنا جاءت عبارة: "المولود قبل كل الدهور" في قانون الايمان النيقاوي ٣٢٥م.

ولكن كل تقدُّمٍ إلى الأمام لا يمكن أن يتم بدون عراقيل.

وجه الله:

في صراع يعقوب (تك ٣٢: ٣٠) ورد التعبير "فنوئيل – **פנואל**" وهو تعبيرٌ متكرر في (قضاة ٨٥: ٨ – ١ملوك ١٢: ١٥)، ووردت الكلمة ٧٨٠ مرة في العهدين.

وهي تعبيرٌ عن استعلان، أي عن الشخص نفسه، وليس مجرد ملامح الوجه من أنف وعينين إلخ، ولعل تحذير الرب من نفاق الفريسيين الذين يغيِّرون وجوههم (متى ٦: ١٦)، هو أبلغ معنى عن إعلان ما يريده الشخص، وأيضًا "وجه السماء" الحمراء، يُنذر بعاصفة.

وتغيَّر "**وجه**" يسوع، **وأضاء وجهه** مثل الشمس (متى ١٧: ١ – لوقا ٩: ٢٩). وإشراق "وجه يسوع" جعل الرسول بولس يكتب: "الله الذي قال أن يُشرق نورٌ من ظلمة، هو الذي أشرق في قلوبنا نور معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح" (٢كو ٤: ٦)، وهو الإعلان الذي سيصل إلى كماله عندما "**بوجهٍ مكشوف**، كما في مرآة، نرى مجد الرب ونتغير إلى تلك الصورة عينها" (٢كو ٣: ١٨).

"وجه – πρόσωπον" في يونانية الكتاب المقدس

وردت الكلمة ٤٣٨٣ مرة في العهدين، وهي تعني اتجاه الوجه نحو الآخر، أي نظرة شخصية، وتعبير عن استعلان شخصي:

ف "وجه يسوع" هو استعلان أبوة الآب لنا في "وجه يسوع المسيح".

وهنا أتذكر سخرية شهود يهوه، وبالذات رسم خنزير بثلاث رؤوس. وطبعًا، السؤال: هل الله له ثلاثة وجوه؟ هو سؤالٌ يجيء من التراكم الفلسفي اليوناني الذي:

١- يضع النص أو المفردات أساسًا لكل فكرة.

٢- يحدد معنى النص على أساس ما هو متعارف عليه لغويًا. وفي هذا الإطار بالذات، صارعت كل الهرطقات القديمة، الأرثوذكسية، ولم تكسب الهرطقات إلَّا محبي الشجار والعراك، وهم أحيانًا ليسوا قلة.

على أن الإجابة على السؤال السابق أسهل، إذا عُدنا إلى المعنى اللاهوتي، وهو الاستعلان؛ لأن الشخص الواحد يتغير وجهه من السرور إلى الغضب إلى الفرح، ويبقى رغم تغيُّر الوجه، هو ذات الشخص الواحد، رغم ما جاءت به المواقف والعلاقات.

وهنا يجب أن ننتبه إلى أن استعلان الله في علاقة خاصة في πρόσωπον - Prosopon يسوع، ثم استعلان يسوع في علاقة خاصة بالروح القدس، لا يحوِّل الكيان، وإنما يميِّز؛ لأن التمييز يمنح لنا غنى التعدد، والتعدد هنا هو الثالوث. وقد سبق لنا أن ذكرنا في مناسبات متعددة، كيف كشف الله عن حياته للإنسانية(١).

حيرة العقل الإنساني الطبيعي:

كيف يكون الثلاثة واحد؟ سؤالٌ سمعناه مئات المرات في مصر وخارج مصر. وهو سؤالٌ خاطئٌ جدًا؛ لأنه يفرض لغة الأرقام على الله، وبالرغم من أن لغة الأرقام هامة جدًا في حياتنا، ولكننا يجب أن نعلو على ما فوق الأرقام، بل ما فوق اللغة البشرية، إلى **الحدث** ***Event*** وهو لم يكن مجرد حديث، بل كان نزول الله الكلمة إلينا وتجسُّده من البتول. لم يكن العهد الجديد خطابًا دينيًا، بل كان استعلانًا جديدًا عن أُبوة الله. ولذلك، حدثت نقلة نوعية في لغة الخطاب، ظهرت في خطاب المسيح نفسه عن "الآب"، وليس عن "ألوهيم" أو "يهوه"، ولم يكن ذلك من أجل الأمم الذيم لم يكونوا على علاقة بكتب العهد القديم، بل كان هذا هو الاستعلان الجديد للعهد الجديد.

جاء ذلك الاستعلان، وحملت كلمات الرب ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: الرسالة الموجَّهة إلى الذين يسمعون.

المستوى الثاني: الجديد الذي لم يُسمع من قبل.

المستوى الثالث: العلاقة الجديدة التي تدعو إليها رسالة أو خطاب الرب نفسه.

كل كلمة ننطق بها هي مجموعة من ثلاثة مستويات، وهي ليست على ما يبدو

---

(١) راجع مثلًا: ترجمتنا لكتاب الوجود شركة للأسقف يوحنا زيزيولاس، ودراستنا بعنوان: حوار عن الثالوث. كما جاءت ترجمة "حوار عن الثالوث" للقديس كيرلس الكبير، وكتاب "الكنوز في الثالوث" لتدفع بالدراسات إلى ما هو أصيل. (فليعوض الله الأخوة جوزيف فلتس وجورج عوض على تعبهم).

صوتًا واحد للمتكلم، بل هي *Polyphone* أصواتٌ عدة، هي صوت المتكلم، عندما يرد المتكلم على سؤال أو معارض، أو عندما ما يريد المتكلم أن يصل إلى السامعين.

لعل أسهل مثل على ذلك هو قول الرب: "قد سمعتم أنه قيل للقدماء"، أي صوت العرف والشريعة. ثم: "أما أنا فأقول لكم"، أي صوت يسوع يحمل الجديد، ثم: "أحبوا أعداءكم"، وهي رسالة جديدة. كل هذا في سطرين أو ثلاثة.

وهكذا، بدل حساب الأرقام، يجب حساب الرسالة نفسها: أُبوة الله — محبة الآب في إرسال الابن — محبة الابن في قبوله أن يتجسد — محبة الروح القدس في أن يقدِّم جسدًا بشريًا من البتول لابن الله.

الله لا يُحسَب رقميًا، ولا حتى برقمٍ واحد. واستخدام كلمة "واحد" هو للنهي عن الشِّركِ وتعدد الآلهة، ولكنه ليس استعلانًا عن حقيقة الله.

لماذا دخلت كلمة Hypostasis في اللاهوت المسيحي؟

كان الضعف الذي يكتنف كلمة "وجه"، هو التغيير؛ لأن التعبير المتغيِّر لا يؤكد الأزلية، ولا يعطى للتعبير "كينونة". الكلمة *Hypostasis* وردت في (عب ١ : ١-٣) وتُرجِمَت "رسم جوهره"، أي "كيانه المطابق تطابقًا تامًا لكيان الآب". وظلَّت كلمة *Hypostasis* مرادفة لكلمة "جوهر" حتى القرن الرابع، إذ لا فرق بين *Ousia* و *Hypostasis* لأن ما هو كائن وحقيقي، يمكن التعبير عنه بأي كلمة طالما أن الكلمات لا تعارض ولا تدمِّر الإيمان، وهو رسالة الاستعلان الإلهي الذي من عند الآب للإنسانية في كيانٍ مطابقٍ تمامًا ولا يختلف عن كيان الآب.

هكذا دخلت كلمة "أقنوم – *Hypostasis*" لكي تؤكد أن الابن هو "تعين" في الله، وليس مجرد صفة من صفات الله. وقدَّم آباء قيصرية "الثالوث" على أن حقيقة الله هي أبوته، أي الآب الذي منه يولد الابن، ومنه أيضًا ينبثق الروح القدس.

وإن كان قد ساد في الغرب بعد انتشار كتاب "الثالوث" للقديس أوغسطينوس، نسبة الآب والابن والروح القدس إلى الجوهر، لكن من الواضح، أن أبوة الآب هي جوهره (راجع يوحنا زيزيولاس – الوجود شركة)، أي كيانه الواحد الذي منه يُولَد الابن أزليًا، ومنه ينبثق الروح القدس أزليًا أيضًا. ومن هنا جاءت عبارة القديس باسيليوس: "جوهر واحد وأقانيم ثلاثة"، أي حقيقة كيانية واحدة لحياة واحدة مستعلَنة في الثالوث.

لماذا نتمسك بالأقانيم الثلاثة؟

الثالوث هو استعلان حياة جديدة قائمة على:

١- التمايُز التام.

٢- الوحدة التامة.

٣- الشركة التامة في كل ما يخص حياة الله.

التمايز: هو تأكيد أن الآب ليس الابن، وأن الابن ليس هو الآب، وكذلك الروح؛ لأن هذا التمايُز يشرح لنا العمل الخاص لكل أقنوم في خلاص الإنسان، ورد الإنسانية إلى شركة محبة الثالوث.

الوحدة: هي وحدة الجوهر، أي الحياة واشتراك الأقانيم في كل الصفات الإلهية.

الشركة: لعل أفدح الأخطاء التي سادت في هذا الشأن هو اعتبار أن المحبة صفة من صفات الله. هذا اعتبارٌ فلسفيٌ محض؛ لأن الرسول يوحنا عندما كتب: "الله محبة"، لم يكن يقصد "صفة" في الله اسمها المحبة، بل على وجه التحديد "حياة الله"، وهو ما تقدِّمه الرسالة ككل: "كل مَن يحب فقد وُلِدَ من الله" (١يو ٤ : ٧)، ولا يمكن أن نولَد نحن من صفة من صفات الله، بل من الله نفسه، من محبته التي بمقتضاها دعانا لأن نكون "أبناء له". إن شركة المحبة هي شركة الثلاثة في كل الحياة الإلهية وفي تدبير الخلاص، وأن "كل ما هو للآب هو للابن".

وصلاة يسوع في يوحنا ص ١٧ هي أعظم ما سمعته الإنسانية عن الله وعن حياته ومجده ومحبته المستعلَنة في يسوع، بل وعن الحياة الأبدية.

المحبة هي حياة الثالوث. "الله محبة"، ليست مجرد عبارة تُقال في كلمتين، ولكنها تحمل مستويات التعبير التي تكلمنا عنها سابقًا:

المستوى الأول: هو الرسالة الجديدة التي لم تُسمع من قبل.

المستوى الثاني: هو تجسُّد المحبة واستعلانها أمام البشرية.

المستوى الثالث: هو دعوتنا نحن للشركة؛ لأننا لم نسمع فقط، بل "الذي كان من البدء، الذي رأيناه بعيوننا (متجسدًا) الذي شاهدناه ولمسته أيدينا (إنسانيته) من جهة كلمة الحياة" (١يوحنا ١: ١). فالحقيقة التي سبقت التعبير هي "الحدث" الذي صاغ وقدَّم الكلمات. والكلمات تؤكِّد لنا أن ما نحن بصدده هو الواقع الحي، أي كما قال الرسول: "من جهة كلمة الحياة"، أي "بشارة الحياة". كلمة "الحياة" ليست مجرد كلمة، بل هي τού λογου τής ξωής ولوجوس *Logos* الحياة، أي: محتوى رسالة ما يقدَّم، وليس مجرد النطق.

محتوى الرسالة هو تجسد ابن الله "الذي لمسته أيدينا". ولذلك كان وضع جسد الرب في يد المتناولين في العصور الأولى، وحسب شهادة الآباء أوريجينوس وكيرلس الأورشليمي وغيرهما، هو اعترافٌ بتجسد الله الكلمة، وهو الاعتراف الذي لا زال يقال: "جسد عمانوئيل إلهنا، هذا هو بالحقيقة آمين". لكن يلزمنا وقفة هادئة لنرى العلاقة بين اللفظ أو الكلمة، والاستعلان الإلهي:

أولًا: يعبِّر اللفظ عما هو حادثٌ فعلًا، والذي لم ينشأ بقوة اللفظ، بل فَرَضَ الحدثُ قوته على اللفظ. وحتى في العهد القديم، كان الحدثُ هو سبب ومصدر صياغة الوصية الأولى: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي".

لقد تعرَّضت قوة البشارة المسيحية للتزييف عندما حاولت حركات دينية في

مقدمتها حركة الإصلاح، فرض النص كأساس للتعليم، بل وكمُفسِّر للحدث، وصار الصراع على شرح نصوص الكتاب المقدس بعهديه، هو البئر الذي ابتلع الجانب المستيكي، وأضاع الشركة في حياة الثالوث؛ لأن الشركة ليست لفظًا يُقال فقط، بل هي أيضًا الاستعلان الشخصي لبشارة المحبة والمصالحة، ودعوة الثالوث لنا لأن نشترك في حياته.

ثانيًا: الحياة تسبق الكلام وتسبق اللفظ، هذه هي رسالة العهد الجديد. وتجسُّد ابن الله لم يكن لفظًا، بل حدثًا عبَّرت عنه الألفاظ، وهو حدثٌ فوق كل قدرة اللفظ، وما اللفظ إلا إشارةً ورمزًا يؤكد ما حدث، ولذلك يجب العودة إلى الحدث لفهم اللفظ، والحدث هو الذي يضبط معنى أو معاني الألفاظ.

ثالثًا: يحتوي الحدث على ثلاثة مستويات في الاستعلان:

المستوى الأول: حقيقة الشخص. وقد انفردت المسيحية دون غيرها بالبحث عن حقيقة شخص المتجسد؛ لأن هذا هو ما يعطي ما يقوله المتجسد من مصداقية.

المستوى الثاني: استعلان الشخص، أي المتجسد، وأنه جاء لكي يلبي احتياجات البشر، أو حسب عبارة معلمنا أثناسيوس: كان تجسده هو لمعونتنا ولخلاص الإنسانية من الموت، لا من الخطية وحدها؛ لأن عبارة الرب: "أنا هو القيامة والحياة"، ليست عن خطية أو خطايا البشر، بل عن الموت وعن حاجتنا إلى الخلاص من الموت. هنا لا يمكن فك رموز أو إشارات الألفاظ ونقلها بعيدًا عن الشخص.

المستوى الثالث: هو ما يقدمه الشخص من إمكانيات للشركة في حياته، وفيما يملكه كشخص: "جئت لكي يكون لكم حياة، ويكون لهم أفضل". وعبارات مثل: "المسيح حياتنا"، وغيرها، هي العطاء الفائق الذي استُعلِنَ للإنسانية.

هذه المستويات الثلاثة تجعلنا، بل تُلزمنا بأن نراجع ما لدينا من خلافات على ألفاظٍ وكلمات؛ لأن المصطلحات لا يمكن أن تُستوعَب بشكلٍ سليم ما دام الحوار والبحث متعلِّق بلفظ أو عدة ألفاظ. ولذلك السبب، كان شكل وجوهر

كـل الهرطقـات القديمـة والحديثـة هـو مـا تقدِّمـه مـن إشـكاليات لفظيـة تُنكـر الاستعلان، مثل القول الأريوسي المشهور: "الأب يسبق الابن"، و"لم يكن الابن كائنًا مع أبيه، بل كان هناك زمان لم يكن الابن فيه موجودًا". هذه إشكالية رد الأسماء: "آب وابن" إلى ما يحدث في عالم الإنسان.

تمايز الأقانيم:

كانت بشارة الملاك للقديسة مريم هي استعلان للثالوث:

- "الروح القدس يحل عليكِ ...

المولود منك يدعى ابن الله".

ثم جاءت معمودية الرب في الأردن باستعلانٍ آخر سمعنا فيه صوت الآب ينادي الابن، وظهر الروحُ بشكل حمامةٍ.

وهكذا، جاء تدبير الخلاص بتمايُز الأقانيم؛ لأن هذا التمايز هو الذي يجعل الابن يصلي للآب، ويجعل الآب ينادي الابن. **التمايُز هو الآخر المساوي**، وهو آخرٌ لأن الآخر هو أحد دعائم الوجود كله، وليس الوجود الإنساني وحده. وخَلقُ الإنسان على "صورة الله ومثاله" هو أن يصبح الله هو الآخر الذي يشرح علة وجود الإنسان. وخلقُ حواء: "ليس جيدًا أن يكون آدم وحده"، لم يكن لمجرد استمرار النوع الإنساني فقط، بل كان الآخر (حواء) هو ما كوَّن الشركة، لكي ينمو الإنسان بالشركة مكمِّلًا وجوده بالآخر.

هذه هي صورة الله فينا.

الآخر هو الآب بالنسبة للابن، والآخر هو الابن بالنسبة للآب، ونفس ما نقوله عن الآخر، خاصٌّ أيضًا بالروح القدس.

لا يجب أن نخاف من كلمة "الآخر"؛ لأن "الآخر" عندنا ليس دائمًا موضع سرور وبهجة، ولكن في الله، "الآخر" مساوٍ. "الآخر" هو ذاك الذي سمع صوت الآب: "هذا هو ابني"، أو "مجَّدتُ وسوف أُمجِّد".

الآخر والشركة

"**الآخر المنفصل**"، معلومٌ لنا في الحياة الإنسانية، وهو منفصلٌ عنَّا بحكم الولادة التي تجعل البعض منا يسبق البعض في الوجود. وهو أيضًا منفصل لأن الوعي بالذات عادةً لا يقبل الآخر إلا بعد صداقة أو اتفاق حول هدف. ولكن الآخر كائنٌ في الوعي الإنساني الذي يرى: "أنا وأنت". وأنت هو الآخر، وحتى في الحوار الذاتي الذي يدور في عقل الفرد "المنولوج"، يحوِّل الآخر "المنولوج" إلى "ديالوج".

"**الآخر في اتحاد**"، وهو ذلك الارتفاع إلى ما هو فوق الحدود البيولوجية في المحبة التي يتنازل فيها الإنسان –في حالات العشق الشديد – عن الأنانية والوجود الذاتي المحدود، ونسمعه عادةً في الشِّعر وفي أغاني الحب، حتى العامية منها. إنها رغبة الاتحاد بمن نحب لكي نغلب "العزلة". وتنتهي هذه العزلة دائمًا بالتنازل عن أشياء وعن رغبات، ونجدها في الزيجة أو في حالات نادرة، في عشاق الله مثل الشيخ الروحاني، أو مار إفرام وغيرهم؛ لأن الشِّعر يتجاوز ما هو محدودٌ حتى باللغة، إلى آفاق الاتحاد.

"**ثالوث المحبة**"، تلك عبارةٌ قديمةٌ تجدها عند الفاهمين للتعليم مثل هيلاري أسقف بواتييه، وأوغسطينوس وغيرهم.

"**المحب والمحبوب والمحبة**" استغرق هذا الموضوع كتاب الثالوث لواحدٍ من أهم علماء اللاهوت، ريتشارد فيكتورينوس، وهو دارسٌ لما علَّم به الآباء من قبل. ولم يشتهر كتابه إلَّا في القرن العشرين، ونُشِر باللاتينية وغيرها من اللغات الأوروبية الحديثة. وأضاف ريتشارد عدة كلمات لاتينية لم تكن معروفة من قبل في محاولة شجاعة جدًا لشرح الثالوث، ولكن الاهتمام بتوما الأكويني وغيره، غَلَبَ الاهتمام بكتاب ريتشارد.

اهتم ريتشارد بعلاقة الأقانيم، هي علاقة تبادُل الكيان، وحلول كل أقنوم في الآخر. استخدم كلمة لاتينية جديدة Condilectus وأقرب ترجمة إنجليزية لها هي *Interpersonal* فهي المحبة الأقنومية التي تجعل الآب في الابن، والابن في الآب،

وكذلك الروح القدس. الروح ينبثق من الآب ويستقر في الابن. ومِن الابن نأخذ نحن الروح القدس. يحمل إلينا الروح القدس محبة الآب والابن، ومحبته هو، المحبة التي تنبثق من الآب؛ لأن "الله محبة". طبعًا الحلول المتبادل *Perichoresis* هو أن يجعل كل أقنوم الآخر فيه؛ لأن المقطع *Peri* يعني حرفيًا حول *round* والمقطع *Chorein* يعني *to make room for* ولكن هنا لا يوجد مكان *room* ولا حتى المعنى الآخر لكلمة *chorien* "يحتوي"؛ لأن الاحتواء هو صورة مادية، أما حلول الآب في الابن حسب قول الرب: "أنا في الآب والآب فيَّ"، وأيضًا: "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠)، فلا يعطي لنا مجالًا لتصوُّر الاحتواء.

المحبة أقنوم، وليست صفةً أو مشاعرَ أو عواطف:

التصوُّر الذي أُعطي منذ هيلاريون عن أن الآب والابن كلاهما يقدمان كيانهما للروح لأن الروح هو أيضًا يقدم كيانه للآب والابن حاملًا معه الإنسانية، هو تصوُّرٌ يطرح علينا ضرورة إعادة التفكير في عمل الروح القدس في تدبير الخلاص.

فالروح يحوِّل كياننا ليكون مثل كيان الابن المتجسد، أي أننا ننال ذات المجد الذي ناله ناسوت الابن، وننال شركة في بنوته. ومحاصرة الروح القدس تمت من خلال حربين: الحرب الأولى هي إنكار سُكناه فينا واختراع لفظ جديد هو "الحلول المواهبي". والحرب الثانية هي اعتبار أن التكلم بالألسنة هو دليل سُكنى الروح القدس، وضاع عمل الروح القدس في القلب، وعمله في توحيد كياننا الميت المستعبَد، بكيان يسوع الرب؛ لكي ننال الحرية، أي "حرية مجد أولاد الله"، حسب كلمات الرسول بولس. ولكن علينا عدم الانحراف إلى أيٍّ من الحربين؛ لأن الحرب الأولى تنكر محبة الثالوث التي تنسكب فينا بالروح القدس (رو ٥: ٥). والحرب الثانية تنكر دور الروح القدس في اتحادنا بالرب.

المحبة، الأقنوم الثالث:

المحبة هي حركة حياة الثالوث، ليس في الله صفة تضاف إلى أيٍّ من الأقانيم الثلاثة. كل صفات الله هي صفات الأقانيم، فليس الله هو: جوهر + أقنوم + صفات = ثالوث. هذا خللٌ عقلي أصاب أستاذ الميكانيكا. كلُّ شيء في الله هو في الكيان الإلهي، هو في الأقانيم؛ لأن ما هو غير شخصي، هو غير أقنومي، خاص بنا نحن الطبائع المخلوقة التي تجعلنا أحيانًا نكتسب صفات أو نخسر صفات؛ لأن **الطبيعة الإنسانية طبيعة قابلة للفساد**، لكن الله لا ينمو ولا ينقص ولا يضاف إليه لأنه كامل. والذين قالوا بأن الآب غفر لنا بعد أن صَبَّ غضبه على الابن، لم يدركوا أنهم جعلوا الله الآب مثل الخليقة، ينتظر في صبر لحظات الحصول على حقه.

الأقنوم ليس صفةً:

ورثنا خطأً قاتلًا قَتَلَ الشركة، وهو أن الصفات تعلِن الأقانيم، فأصبحت صفات الأقانيم هي مجال استعلان الأقانيم، لكن تجسد ابن الله رَدَّنا إلى الصواب؛ لأن المتجسد أعلن في ذاته صفات الأقنوم، ولم يعد لأي صفة أي وجود ذاتي مستقل؛ لأن الرحمة هي رحمة المتجسد وكذلك المحبة.

طبعًا، هذا سهل بالنسبة للابن له المجد، ولكن ماذا عن الآب؟ والجواب سهلٌ أيضًا؛ لأن الابن جاء معلِنًا عن الآب: "الذي رآني فقد رأى الآب". ويقول في تأكيد نابع من ذاته: "أنا في الآب والآب فيَّ". وماذا عن الروح القدس؟ لقد وُصِفَ بأنه "روح يسوع"، وقد وُهِبَ لكي يذكِّر ويعلِّم ويُظهِر المسيح ربًّا (١كو ١٢: ١-٣)، بل كما كوَّن ناسوت الرب، يكوِّن جسد المسيح الكنيسة، ليس في أحشاء البتول مريم، كما حدث في التجسد، بل في الماء والروح (رو ٦: ١-٨)، في سر المعمودية الذي أخذ قوته، بل وعمله من الرب يسوع؛ لأن الروح القدس لا يخلق من العدم، بل يخلق من يسوع، من آدم الجديد الكيان الإنساني الجديد الذي لا يختلف عن كيان يسوع، والذي يولد لكي ينمو نحو الكمال في الرب.

أعمال الثالوث هي أعمالٌ أقنومية. هي ليست صفات تعمل، بل هي أعمالٌ، أو بدقة أكبر، أفعالٌ، حيث يقوم كل أقنوم بتقديم عطية من أجل تكوين الحياة الجديدة في الإنسان. لقد شُرح هذا باختصار في الرسائل إلى سرابيون عن الروح القدس للقديس اثناسيوس، وفي كتاب الروح القدس للقديس باسيليوس.

إذا ابتعدنا عن الصفات وعُدنا إلى الأقانيم مُعلِنة الصفات، نجد إن المحبة ليست صفة، بل هي حياة الثالوث. وتعيين "المحبة" للروح القدس لا يُخفي انبثاق الروح من الآب، فهو محبة الله الآب التي تعطى للابن. وكان إصرار هيلاريون على أن اسم العطية هو اسمٌ أزلي هو إصرارٌ يؤكد أن المحبة الأزلية للآب تنبثق من الآب لكي تجمع الخليقة وتأتي بها إلى "حضن الآب"، حيث الابن الوحيد "الكائن في حضنه الأبوي كل حين" (قسمة عيد الميلاد).

أقنومية المحبة التي من الآب، وهي الأقنوم الثالث، حديثٌ طال انتظاره لأننا توقفنا عند الجانب التاريخي، أي شرح الثالوث والوحدانية في مواجهة هرطقات القرنين الرابع والخامس، ولم نهتم بفعل الروح القدس الخاص به عندما "يُسكَب"، والسكب هنا هو ذات الفعل الخاص بسكب دم ذبائح العهد القديم، وتعبير القديس بولس واضح: "لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس .." (رو ٥: ٥). إنه إخلاء الذات الذي يمارسه روح القداسة عندما يسكن في أي قلب مهما كان صاحبه، إذ لا يتعامل مع القلب الإنساني من خلال قداسته، بل من خلال قدرته الحرة على التنازل عن القداسة لكي يسكن في كل القلوب النجسة لكي يطهِّرها ويقدِّسها. والتقديس هو رَد هذه القلوب إلى التكوين الحقيقي غير المزيَّف الذي لم تزيِّفه الخطية. ورغم أننا درجنا على أن نقول إن القديس هو مَن هو بلا خطية، إلا أن هذا التعريف بالذات لم يرد في العهدين، بل القدوس هو الذي لا مثيل له ولا يمكن تكراره. لذلك، يحل فينا الروح لكي نعود إلى الصورة الإلهية غير المزيَّفة.

عندما نتقدس، ترتفع محبتنا من محبةٍ تعمل تحت تأثير الحواس مندفعةً نحو ما هو محسوس، إلى محبةٍ تعلو على ما هو محسوس وملموس إلى ما هو حقيقي يعلو إلى حيث الأمانة والبذل والخدمة والشهادة، وكل ما هو حقيقي.

الأقنوم والعطاء:

لم يكن تدبير الخلاص هو رصد قصة دُوِّنت لأجلنا، بل كان استعلان شركة. ما هو هدف البشارة؟ يجيب يوحنا الإنجيلي: "لكي يكون لكم حياة ... الحياة التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا". عطاءُ الحياة هو صلتنا بالأقانيم. وكلمة "صلة" ليست في قوة كلمة "شركة". العطاءُ ذاتيٌّ، وليس مجرد خبرٍ قيل، لذلك يقول الرب: "أنا هو القيامة والحياة"، وأكَّد أن "مَن يؤمن به سوف يحيا إلى الأبد".

العطاء حسب قدرة أو قدرات البشر هو عطاءٌ لا تقديمَ فيه للذات. وحتى شهداء الكنيسة أو شهداء الوطن أو الشهداء عمومًا، قد قدَّموا حياتهم؛ لأن الموت فُرِضَ عليهم، وتقديم الحياة والتضحية بها هو عملٌ شريفٌ نبيل، وبطولة فائقة تؤثِّر في حياة البشر، ولكن هنا في الثالوث، جاء الموت إراديًا طوعيًا، وجاء لكي تُسكَب حياةُ مَن عَبَرَ بوابة الموت في حياة المائتين. يموت شهداء الوطن لكي نحيا نحن في كرامة، ولكن المسيح رب المجد مات لكي يحرِّرنا من الموت، والروح معطي الحياة "يسكب" محبة الثالوث لكي نحب مثل الثالوث.

الأقنوم هو استعلانُ العطاء، وهو استعلانُ المحبة، وهو أيضًا استعلان الوحدة. من العطاء النابع من المحبة، نصل إلى العطاء الذي يوحِّدنا نحن كلنا بالعاطي، أي الثالوث.

من الآب ينبع العطاء في ميلاد الابن الأزلي، يولد أزليًا لكي يعطي أبديًا. ومن الابن نأخذ الهبة؛ لأننا صرنا مؤهَّلين بسبب عطية التبني. ويأتي الروح المنبثق من الآب لكي يحل ويسكن فينا. هذه هي إحاطة المخلوقات بكل قوة وجمال المحبة الإلهية، أو حسب تعبير القديس إيريناوس: الآب وضع يديه الاثنتين حولنا، أي الابن والروح القدس.

الأقنوم يجب أن يُفهم كعطاء، وتحليل تاريخ اللفظ لا يفيد بقدر ما يفيد العمل الأقنومي في التدبير الذي يحيط بنا لكي ندخل في ملء شركة محبة الثالوث الحية والواهبة الحياة.

الاتحاد الأقنومي، وماذا يعني؟[١]

أولًا: المسيح رب المجد كوسيط بين الله والإنسان كواهبٍ للحياة

الحياة الجديدة هي حياة أبدية، والحياة الأبدية ليست صفة في أي كائن خُلِقَ من العدم. هبة الله لنا هي حياة أبدية، وبقية العبارة "في المسيح يسوع ربنا" (رو ٦: ٢٣)، هي في المسيح. حياة لا تنتهي لأنها حياة يسوع التي لم تنته، بل غلبت الموت على الصليب، وفاضت من الرب حياةٌ عُبِّر عنها بالماء والدم من جنبه (يو ١٩: ٣٤). والماء والدم كلاهما الإشارة الإلهية إلى المعمودية والإفخارستيا حسب شرح الآباء: كيرلس الأورشليمي — ذهبي الفم (تعليم الموعوظين).

ولذلك، الحياة الأبدية هي شركتنا الدائمة التي فاضت من الوسيط الذي يقدمنا إلى الآب لكي ننال الحياة الأبدية هبة الآب نفسه في ابنه يسوع المسيح.

ثانيا: المسيح يسوع كرأس الجسد الكنيسة

التدبير الإلهي يفوق كل الألفاظ؛ لأن الرب يسوع ضم كل المؤمنين إليه، وهذا يعني أننا أعضاء جسده الواحد غير القابل للانقسام لأننا "من لحمه ومن عظامه" (أف ٥: ٣٠)، وأيضًا: "أنتم جسد المسيح وأعضاؤه أفرادًا" (١ كور ١٢: ٢٧). هذه العلاقة الجديدة يعبِّر عنها الرب يسوع نفسه بأنه هو ذاته الكرمة ونحن الأغصان، ويصف كل مؤمن بأنه "غصنٌ فيه" (يو ١٥: ٢)، ولذلك لا يمكن تحديد هذه العلاقة بأي لفظ أقوى من لفظ "الجسد الواحد" الذي له "رأسٌ واحد"، تنمو من الرأس كل الأعضاء (كولوسي ١: ١٨). والذي يجمعنا هو اتحاد اللاهوت بالبشرية التي تجمع كل

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٦ ديسمبر ٢٠١٣.

المؤمنين "في المسيح سيُحيا الجميع" (١ كور ١٥: ٢٢). فليس لدينا مصدر آخر للحياة سوى يسوع المسيح نفسه. وتتجلى هذه الوحدة في أسرار الانضمام إلى جسد المسيح، أي بالمعمودية – المسحة – الإفخارستيا، وبشكل خاص الإفخارستيا؛ لأنها الاختبار الأسبوعي (أو اليومي) الدائم في حياة الكنيسة عندما تجتمع الكنيسة بالرب لكي تنال "خبز الله النازل من فوق من عند الله الآب" (راجع يو ٦: ٣٣). ومن المستحيل فصل الرأس عن الأعضاء لأن هذا الفصل يعني أننا نعود إلى آدم الأول، أي إلى الموت. ولكن الرب يسوع المسيح الابن المتجسد أخذ جسدًا من القديسة مريم والدة الإله لكي ينقل أصل وبداية الجنس البشري من آدم إلى أقنومه الإلهي (راجع القديس أثناسيوس الرسولي، ضد أريوس ٣: ٣٣).

وجودنا في المسيح هو من المسيح وبالروح القدس، وهو لا يخضع لأي تحليل لغوي[١] أما الأرثوذكسية فهي لا تؤسِّس عقيدة على كلمة، وإنما على:

١– إعلان علاقة الشركة والاتحاد. والاتحاد هو تعبير العهد الجديد نفسه، وهو يبدأ في المعمودية "متحدين معه بشبه موته" (رو٥: ٥)، وهذا الاتحاد "يصير أيضًا بقيامته"؛ لأننا متنا مع المسيح وسنحيا أيضًا معه (راجع رو٦: ٥ – ٨)؛ لأن المسيح هو "حياتنا" المستترة في المسيح وفي الله والتي سوف تُظهَر في يوم القيامة (راجع كولوسي٣: ١ – ٤).

٢– العلاقة الجديدة هي خلقٌ جديد، وهذا الخلق الجديد يجعلنا متأصِّلين في المسيح (راجع كولوسي ٢: ٦).

٣– العلاقة تشرح اللفظ وليس العكس، لأن العلاقة تعلو على كل لفظ، والعلاقة لم تكن كلامًا أو خطابًا، بل استعلان المتجسد في جسد بشري جعله يقول: "أنا هو القيامة والحياة"، بل: "مَن يأكلني يحيا بي" (يو ٦: ٥٧)، فلا حياة لنا خارج المسيح أو بدون المسيح.

---

(١) على القارئ المعجب بالألفاظ والمصطلحات مراجعة كتاب الروح القدس للقديس باسيليوس لكي يرى أن صناعة الهراطقة جميعًا هي بناء عقيدة على لفظ أو عبارة أو كلمة من أسفار الروح القدس أي الكتاب المقدس (أنفاس الله حسب التسبحة السنوية).

ثالثًا: المسيح وحده هو الوسيط الذي ردَّ لنا الحياة الأبدية

وهذا يعني أنه لا يوجد مصدر آخر للحياة غير يسوع، ولذلك الخطاب المعاصر الذي وقع في أخطاء جسيمة حاول فيها استخدام الألفاظ لشرح الإيمان وابتعد عن الليتورجية وعن السرائر وعن تسليم الآباء، فلا يوجد فرق حقيقي كياني بين:

- حلول
- سُكنى
- امتلاء
- قوة
- طاقة
- نعمة

هذه الكلمات تعبِّر عن عمل الله، ولكنها رغم تعددها، تؤكد ما غاب عن الفكر المعاصر، وهو حصريًا:

١- إن كل عمل للثالوث هو عمل الثالوث نفسه، فلا يوجد وسيط بين الثالوث والمؤمنين غير ربنا يسوع المسيح الوسيط الوحيد (١ تيمو ٢: ٥).

٢- لا يوجد شيء اسمه النعمة خارج الله، أو بدون الله، أو له كيان خاص به اسمه النعمة، بل النعمة هي ما يمنحه الله لكل إنسان لأنه حلَّ فيه أو سكنه، وقد شرحنا ذلك في كتابنا: "المسيح والمسيحي وشركة الجسد الواحد"[١]؛ لأن سكنى المسيح فينا (المسيح فيكم رجاء المجد)، ليست لفظًا، بل الحياة والقيامة.

٣- كل الألفاظ السابقة تعبِّر عن أعمالٍ متنوعةٍ يعملها الثالوث الواحد، ولكن لا يوجد عمل من الله له كيان غير إلهي؛ لأن هذا يعني أن الله يخدع الإنسان، ولا يحب الإنسان كما يحب ابنه الوحيد (يو ١٧: ٢٦)، فالقيامة ليست قيامتنا نحن، بل قيامة المسيح التي وُهِبَت لنا.

---

(١) دار جذور للنشر، القاهرة، ٢٠١٤.

وكذلك، كما سبق وقلنا، الحياة الأبدية ليست حياة خارج الله، بل هي حياة الله نفسه، وفي عبارة واحدة: إمَّا أنك في الثالوث بواسطة الثالوث، أو خارج الثالوث حيث لا توجد حياة.

٤- الإنسان بغير الله ميت، والخلود الطبيعي والقيامة أو النشور في الأدبيات غير المسيحية هي حركة الطبيعة المخلوقة، وهو ما نرفضه تمامًا لأن كل ما هو مخلوق غير قادر على أن يقوم من الموت أو أن يعطي لنفسه أو كيانه الخلود. المسيح قام وأقامنا معه وفيه.

أخيرًا أقول للإخوة إننا نفتقر إلى الدراسات الحديثة عن غريغوريوس بالاماس، وقد نشر دير مار جرجس الحرف بلبنان أهم كتاب له: "الدفاع عن القديسين الهدوئيين" في عام ١٩٩٥ — والتمييز بين الطاقة والقوة والجوهر له سببٌ واحد في اللاهوت البيزنطي، وهو أن شركتنا في الله تعني معرفة الله، (أي أن شركة = معرفة). ولذلك، عندما يقول بالاماس إننا لا نشترك في جوهر الله، فهو يعني **أننا لن نعرف الله كما هو**؛ لأن هذا يعني أن نكون مثل الله في كل شيء، بل إن شركتنا في النعمة — المجد — القوة — الطاقة هي شركة حسب التدبير، أي البقاء في حدود الطبع المخلوق من العدم الذي لا يمكن أن يستوعب الكينونة الإلهية؛ لأن هذا قاصر على حياة الثالوث.

لذلك أنصح الإخوة بعدم اللجوء -مثل فقهاء الشريعة- إلى حوارٍ مبنيٍّ على الألفاظ، بل استيعاب الرؤيا الإلهية الكاملة.

ويمكننا أن نلاحظ خطورة منهج اللجوء إلى الألفاظ عند أحد الأساقفة الأقباط سبق له أن ميَّز بين *Divinity* و *Godhead* وهذا النوع من الهذيان مقصودٌ به هدم شركتنا في القيامة والحياة في جسد ودم عمانوئيل، وهو سفسطة من لا يريد أن يتراجع عن أكبر سقطة، وهي إنكار الشركة في الحياة الإلهية.

الليتورجية والاتحاد الأقنومي[1]

المسيحية هي استعلان الله في الجسد الإنساني، ولكن مع صدق هذه العبارة، فإن تعبير "الجسد الإنساني" هو تعبيرٌ مجرد، ولذلك أضافت كنيستنا أم الشهداء في ليتورجيتها عبارة "تجسد وتأنس" مؤكدةً أنه صار معنا كواحدٍ مِنَّا "بكرًا بين أخوة كثيرين" (رو ٨: ٢٥).

وجاء تجسد ابن الله بتغييرٍ تام في علاقات كانت مستحيلة على التغيير.

كان ولا يزال أول تغيير هو شركة الإنسان –مهما كان هذا الإنسان– في حياة الله، ولذلك لم يكن غريبًا أن يبدأ إنجيل يوحنا بالكلمة اللوغوس الخالق والواهب الحياة لكل الكائنات، والذي ينير الحياة العقلية لكل الكائنات العاقلة بنور الحياة، وهو نور المعرفة الذي يشرق في الظلمة، ظلمة جهل الإنسان بالله (يوحنا ١: ٤ – ٥).

لكن الكلمة / اللوغوس جاء في الجسد حسب تعبير الرسالة الأولى ليوحنا (١ يوحنا ١: ١ – ٤)، وسكن بيننا (يوحنا ١: ١٤)، أو حسب الدقة التي تميَّز بها القديس كيرلس السكندري "سكن فينا"، أي صار كواحدٍ منَّا (يوحنا ١: ١٤) وجاء التجسد حسب الانجيل: "مملوء نعمة وحقًا" (يوحنا ١: ١٤)، ولكننا لم نقف عند الكلمة الأولى "النعمة"، ولم نسترد معنى الكلمة الثانية "الحق"، مع الأخذ في الحسبان أنها ليست متصلة بشهادة يوحنا المعمدان، بل بتصريح الرب نفسه "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يوحنا ١٤: ٦).

ولكن العقل الإنساني صادَرَ "النعمة"، وجعلها محتوىً عقليًا، ولم يقبل أن

---

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٣ ديسمبر ٢٠١٣.

يكون يسوع بالذات هو النعمة، أي شخص أو أقنوم الكلمة؛ بالرغم من أن كل البشارة من السطر الأول في الإصحاح الأول في إنجيل يوحنا "في البدء كان الكلمة" حتى "الكلمة صار جسدًا" ليست عن محتويات أو معانٍ أو تحديدات عقلية، بل عن شخص الكلمة الذي صار جسدًا.

"النعمةُ" هي علاقةٌ جديدةٌ وُهِبَت للإنسانية في "الكلمة"، وهي التنازل الإلهي الذي وَضَعَ النعمةَ مقابل ما هو كائن.

"الناموس بموسى أُعطي،

أمَّا

النعمة والحق، فبيسوع المسيح صارا" (يوحنا ١: ١٧).

ليس حسب الناموس:

الاستعلان الجديد ليس حسب الناموس أو الشريعة. وإعادة النعمة إلى مربع الشريعة ليس مجرد خطأٍ في فهم كلمة "نعمة"، بل خطأٌ في فهم حركة الشخص نحونا، أي حركة الأقنوم الذي لم يطلب أحدٌ منه أن يصير جسدًا، حركة الحرية التي سوف يعبِّر عنها هو نفسه في (يوحنا ١٠: ١٨) عن امتلاكه حياته: "ليس أحدٌ يأخذها مني" وأضاف: "لي سلطان أن أضعها"، وهي حياة شركة مع الآب "هذه الوصية قبلتها من أبي" (يو ١٠: ١٨).

"الحياةُ أُظهرت" (١ يو ١: ٢)، أي أن الحياة الأبدية التي كانت عند الآب، وُهِبَت لنا. النعمةُ أبديةٌ؛ لأن الشخص أبديٌّ، والهبةُ هي "شركتنا نحن مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح" (١ يوحنا ١: ٣).

ويجب أن نلاحظ أن كلمة "النعمة"، وإن كانت دائمًا بصيغة المؤنث في العربية، إلَّا أن المحتوى والعلاقة هي مع الشخص، مع الأقنوم، ولذلك يمكننا أن نقول: "النعمة" الذي هو يسوع.

هكذا بدأت حركة النعمة في البشارة تعيد للزواج مكانته في قانا الجليل؛ إذ

يحتفل الكلمة المتجسد بتحويل الماء إلى خمرٍ، ويُظهِر مجده كخالقٍ، ومع مسيرة الكلمة المتجسد لأجلنا يأتي بعد مسحته في الأردن إلى لقاءٍ مع مُعلِّم إسرائيل عن الولادة الجديدة "من الماء والروح"، فهو نفسه وُلِدَ من جديد بالمِسحة حسب تعليم آباء الإسكندرية أكليمنضس وأوريجينوس، ولكن التعليم غاب بسبب حرارة الصراع ضد الأريوسية.

لقد شاركنا ميلادنا الجسداني، وأخذ هو نفسه ميلادنا الروحي كوسيط وبداية. ولكن حرارة الدفاع الأرثوذكسي، جعلت هذا الفصل بالذات من مسيرة الكلمة يغيب عنا، فكيف يُولد من فوق وهو واهب هذه الولادة؟ ولكنه آدم الثاني الذي بدأ من حيث سقط آدم الأول، وجاء لكي يمحو السقوط وكل أثاره، ولذلك يمحو صهيونية العبادة في حوار مع السامرية: "لا في هذا الجبل ولا حتى في أورشليم نفسها يطلب الآب السجود" (يوحنا ٤: ٢ - ٤).

تأمَّل:

"الشريعة أو الناموس بموسى أُعطي".

الآن:

"النعمة والحق بيسوع المسيح صارا".

لا سجود في أورشليم. لقد انتهت الملحمة القديمة؛ لأن التجسد لم يعد مكانًا، بل:

الإنسان نفسه.

وجاء اسطفانوس بعد الكلمة، وقال نفس الشهادة: إن الله لا يسكن في بيوت أو هياكل مصنوعات الأيادي (أع ٧: ٤٨)، وكان الشهيد يتكلم عن هيكل سليمان. فقتلوه رجمًا.

لا سجود في أورشليم

وبذلك انتهى ما تعارَف عليه اليهود باسم "عِ بُ و دَ ة" وهي تقابل تمامًا

كلمة "عبادة" في اللغة العربية؛ لأن الإنسانَ عبدٌ، لكن التجسد لا يسمح بأن تكون الصلاة، ولا حتى السجود "عبادة"، ولذلك لم نجد كلمة "عبادة" إلَّا في الترجمة العربية للعهد الجديد فقط. اليونانية والقبطية حفظت لها كلمة "**خدمة – ϣⲉⲙϣⲓ**".

لماذا لا توجد عندنا بعد تجسد الكلمة "عبادة"، بل "خدمة"؟

والجواب هو للرسول بولس نفسه: لقد جاء الابن له المجد، وهو صورة الله المساوي للآب

- أخذ صورةَ عبدٍ
- صار في شبه البشر
- وُجِدَ في هيئة إنسان
- دخل عرين العبودية، ثم عرين الموت
- وضع نفسه، أي قدَّم ذاته
- أطاع حتى الموت، موت الصليب.

هنا انتهت العبادة والعبودية معًا، ولذلك يقول رسول يسوع:

- لذلك رفَّعَهُ الله
- أعطاه اسم يهوه، فهو الاسم الذي هو فوق كل اسم
- لكي تجثو باسم يسوع كل ركبةٍ.(راجع فيلبي ٢: ٩).

ليس في هذا الجبل، ولا في أورشليم، بل "الساجدون الحقيقيون" وهم من؟ الساجدون كعبيد في أورشليم أو على جبل السامرة جرزيم، هؤلاء "يسجدون لما لا يعلمون"، ولكن الحقيقيون يسجدون "لما نعلم؛ لأن الخلاص هو من اليهود"، أي حسب استعلان الانبياء. الساجدون الحقيقيون من اليهود سوف يسجدون للآب بالروح، أي بالروح القدس، وبالحق، أي بيسوع حسب شرح القديس كيرلس الكبير لأن في السجود: "ويعترف كل لسان أن يسوع هو ربٌّ لمجد الله الآب" (فيلبي ٢: ١١).

لكن ذلك المجد ليس يسوع وحده، بل هو حسب قول يسوع نفسه: "أنا ممجَّدٌ فيهم" (يوحنا ١٧: ١٠) لأنه هو الذي وَهَبَ لنا هذا المجد. "وأنا قد أعطيتهم المجد الذي قد أعطيتني" ولاحظ: "ليكونوا واحدًا فينا"، ثم "ليؤمن العالم أنك أرسلتني" (يوحنا ١٧: ٢٢). إذن، فقد رُفِعَت العبودية، وظهر المجد فينا، "مجد البنوة"، مجد الولادة من فوق، ومجد عطية روح المجد، الروح القدس.

الصراع حول أقنوم المتجسد:

الذين كرهوا الجسد والإنسانية قالوا إنه إلهٌ فقط؛ لأن نُسكَ هؤلاء كان تطرفًا ومحبةً مريضةً بأحادية الوجود، أي ذلك الوجود الأحادي الذي يقبل ما هو إلهي فقط، ويرفض تمامًا ما هو إنساني. وزعيم هؤلاء هو أوطاخي وسبقه أبوليناريوس.

الذين أرادوا ما هو إنساني -لأن الوثنية هي البحث الدائب عن الانسان فقط وجعل حتى الآلهة بشرًا تحارب وتزني وتقتل- قالوا: إنه إنسانٌ فقط. وزعيم هؤلاء هو أريوس، وإن كان ظهر لهم زعيم جديد في أمريكا هو تشارلس رَسِل (ق ١٩).

الذين أرادوا مطاردة كل ما هو إلهي -لأن الانسان نجس وشرير، ولأن هؤلاء كانوا يحلمون بعلاقة خارجية هي مجرد صداقة، أو عِشرة، أو علاقة تعود بالإنسان إلى الشريعة- أنكروا الاتحاد بين ما هو إلهي وما هو إنساني في يسوع. ولم يكن نسطور غريبًا عن الكنيسة، بل جاء من الرهبنة التي تعاف الجسد مثله مثل أوطاخي، الذي جاء من مدرسةٍ ترهَبُ الاتحاد، فهو لا يليق بالله حسب مقاييس العقل الإنساني؛ لأن هذه المدرسة وَضَعَت الله تحت مجهر تحديدات فلسفية ورأت عند أرسطو شيخ وأستاذ فلاسفة اليونان أنه يستحيل أن يوجد جوهر مع جوهر آخر من طبيعة أخرى في شخص واحد. لكن "الكلمة صار جسدًا وسكن فينا"؛ لكي يكسر كل قواعد المنطق، بل لكي يتجاوز الشريعة الموسوية نفسها، ولذلك اتحاد طبيعتين مختلفتين تمامًا ليس عملًا إنسانيًا يقدر عليه البشر، بل هو عملٌ إلهيٌ له دائرة لا تخضع للفحص العقلي.

ولكن تجسد وتأنس ابن الله دخل دهليز نقاشٍ حادٍ فلسفيٍّ عن الطبيعتين،

وغاب من الوعي أن حقيقة تأنس ابن الله تتجلى في أنه يحيا بيننا، فقد صار "رأس الجسد" بدايةَ خلقةٍ جديدةٍ، تتكون بشكلٍ جديدٍ.

ولكن التجسد دخل نفقًا آخر حول معاني الكلمات: رأس - بِكر - بدء - وسيط، ثم جاء طوفان العودة إلى الشريعة، وإلى وضع جدول عمل يعمل الابن من خلاله، فوُلِدت عقيدة الكفارة ودفع ثمن الخطايا، ووُلِدَ تصور العدل الإلهي بنفس الصورة التي نشأ وتطور بها العدل الأرضي، وسبق ذلك صراعٌ آخر حول حقيقة ما ورثناه من آدم.

كان للشرق اتجاهٌ كتابيٌّ صحيح، وهو وراثة الموت، ولكن الحضارة السائدة لم تكتفِ بالموت، بل لا بُد من ذنبٍ يواكب الموت. وجاء التعليم الأوغسطيني بوراثة خطية وذنب آدم لكي يضع أولَ لبنةٍ في طريقٍ طويل سوف يصل إلى غايته في عصر الإصلاح، بالتعليم عن الفادي الذي دفع فديةً للآب، واحتمل الغضب ودفع ثمن خطية آدم.

وغاب من الوعي أنه لم يزل بيننا يشاركنا حياتنا ويُدخلنا في سر اتحاده بنا ويُشركُنا في بنوته ويقدِّمنا إلى الآب، ويمنح لنا روح الآب، ويحمل معنا جراحات خطايانا لكي تنال الشفاء، بل ويمزج حياته بحياتنا في العشاء السري، ولكن حتى العشاء السري ذاته دخل نفقًا آخر مظلمًا عن حقيقة وجود الرب وحضوره الإلهي المتجسد وتقديم حياته لنا هبةً أبديةً غالبة الموت، وخبزًا ينزل من عند الآب (يوحنا ٦: ٢٣)، وأصبح عشاءُ الربِّ محاصرًا في أروقة مدارس اللاهوت: حركة الإصلاح — مجمع ترنت — اللاهوت الشرقي، وتحول العشاء السري من اتحادٍ سريٍّ بالرب يسوع إلى جدلٍ عنيفٍ عن طبيعة الخبز والخمر، والاستحالة السرية، وتلك الجوهرية، والفرق بينهما كبير، ولكن عقولًا جاهلةً تعذَّر عليها الفهم أن ما هو سِرٌّ *Mystery* هو ما لا يخضع لمقاييس الحسِّ المنظور، هو ما هو غير مألوفٍ، لا ما هو ضد العقل المستنير بالمحبة الإلهية.

لكن لا زال الكلمة ربُّ الحياة يعطي رغم التفاف العقول حول الجدل وحول المصطلحات وحول الأفكار والتواريخ وصحة هذا وفساد ذلك ... فهذه كلها أدوات لا ترتقي بنا سُلَّم المحبة الذي منه نزل ابن الله إلينا وتنازل إلينا لكي يعطي حياته لنا.

الاتحاد الأقنومي والذبيحة:

إذا تنازلنا عن إرضاء العدل الإلهي –حسب مدرسة أنسلم، وباقي سلسلة تعليم العصر الوسيط– استطعنا أن نرى أن يسوعَ مذبوحٌ دائمًا، هو ذبيحةٌ أبديةٌ، هو الذي قام من الأموات لكي يكون: "راعي الخراف العظيم ربنا يسوع بدم العهد الأبدي" (عب ١٣: ٢٠). حقًّا نحن نقدِّم؛ لأن الرب نفسه قال: "اصنعوا هذا لذكري"، ولكن هذا التقديم ليس من طرفٍ واحدٍ؛ لأنه هو أيضًا المقدِّم؛ لأنه هو الكاهن الذي صار "ضامنًا لعهد أفضل" (عب ٧: ٢٢)، "له كهنوت لا يزول" (عب ٧: ٢٤)، هو "خادمٌ للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان"، فهو لا زال كاهنًا يخدم (عب ٨: ١ – ٢). لقد جاء تقديم دمه بواسطته هو، لا بواسطة آخر "مرةً واحدةً"، "فوجد فداء ابديًا" (عب ٩: ١٢). والفداءُ هنا ليس تقدمةً للآب كما شاع في العصر الوسيط، ولكنه تحرير وَفَكُّ أسر الخطاةِ عبر كل العصور، ولذلك بعد أن قال رسول الرب إنه قدَّم نفسه "بلا عيب"، "يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي" (عب ٩: ١٤). وهنا عندما فَصَلَ العصرُ الوسيط عمل الكاهن في علية صهيون عن الجلجثة والقبر والقيامة، بات عملُ الرب أشبه بجُزُرٍ منفصلة نحاول عبثًا الربط العقلي بينها لأننا تحت إيحاء:

١– ارضاء العدل.

٢– فصل العلية في أورشليم عن الصلب والموت والقيامة.

٣– نسيان أن ما حدث في العلية هو استعلانُ الكاهن والذبيحة.

لقد تحوَّل الربُ في عقول المفكرين إلى أفكارٍ متباعدةٍ، ولم يعد الشخص الواحد الذي يقترب منَّا للشركة والعطاء الحر النابع من المحبة الأزلية.

الاتحاد الأقنومي بعد الصراع المرير مع النسطورية لا يسمح بتقسيم الرب إلى إلهٍ وإنسان. الذبيحةُ ليست دمًا بشريًا يقدَّم، رغم أن مصدره هو الإنسانية التي صُلِبَت، ولكنه دم ابن الله؛ لأن قوة التقديم هي إرادة الابن الأزلية (عب ٩: ١٤)، هي الموت الطوعي. ولأن الإرادة لا تتغير ولا تتبدل، بل هي إرادة واحدة إلهية – إنسانية. كانت إلهية مثل تجسد رب المجد، ثم صارت إلهية – إنسانية بعد تجسده، ولذلك، القرار هو "مرةً واحدةً"، هو ذلك الفعل الإرادي الواحد الإلهي الإنساني السابق على الدهور حسب التدبير، والمعلَن في الزمان حسب التدبير. نعم "مرةً واحدةً" مثل قول الرب: "ليكن نورٌ"، مرةٌ واحدةٌ، موتٌ واحدٌ لربٍّ واحدٍ، وقيامةٌ واحدةٌ لمسيحٍ واحدٍ، وتقديمٌ واحدٌ: "خذوا كلوا هذا هو جسدي – هذا هو دمي".

الاتحاد الأقنومي والمحبة الواحدة الإلهية – الإنسانية:

دخلت الإنسانية في جوهر الثالوث متحدةً بلاهوت الابن؛ لأن الناسوت هو ناسوته، هو "جسده الخاص به"، هو حياته التي تخلَّى عنها بمحبة عندما "أخلى ذاته". والإخلاء مثل الموت "مرةً واحدةً"، ومثل القيامة "مرةً واحدةً"، بل هو طريق التجسد؛ لأن الإخلاء سمح بالموت والدفن، وسمح قبل ذلك بالاتحاد بطبيعة مختلفة تمامًا عن طبيعة الله، عن "صورة الله"، ولن ينتهِ الإخلاء إلَّا يوم الدينونة، والنهاية هنا هي الوصول إلى الهدف والغاية، وهي أن يسلِّم الملك لله الآب (١كو ١٥: ٢٨)؛ لكي يكون "الله الكل"، أي لكي يملك الثالوث بملء مجده "في الكل"، في الخليقة الجديدة المفتداة، فهو يملك وسيملك.

لم يفقد الرب مشاعره وعواطفه ومحبته الإنسانية بعد أن دخل مجده. نرى ذلك بوضوح في الحوار بعد القيامة مع تلميذي عمواس: "أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء .." (لوقا ٢٤: ٢٥). ويذكر معلمنا

مرقس: "أخيرًا ظهر للإحدى عشر وهم متكئون ووبَّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قام" (مرقس ١٦: ١٤). والحوار مع بطرس بعد القيامة، والسؤال هل تحبني أكثر من هؤلاء؟ لا لكي يذكُر بطرس إنكاره المثلث؛ لأن الرب سأله ثلاث مرات (يوحنا ٢١: ١٥ وما بعده)، بل لأنه رئيس كهنة تألم مجربًا قال رسوله: "يقدر أن يعين المجربين" (عب ٢: ١٨) وفي تحديد أكثر وضوحًا يقول: "يرثي لضعفاتنا، بل مجربٌ في كل شيء مثلنا بلا خطية" (عب ٤: ١٦). لقد كمُل بالألم الذي ذاقه في أيام جسده (عب ٥: ٧)؛ ولذلك صار "سبب خلاص أبدي للذين يطيعونه"، أي الذين يسلكون معه ويسلك هو معهم ذات المعاناة (عب ٥: ٩).

المحبة الإنسانية ليسوع لم تختفِ وتذوب في المحبة الإلهية، بل وحدةُ محبةٍ إلهيةٍ – إنسانيةٍ – لأقنوم ابن الله المتجسد. ونفس الحقيقة خاصة بالإرادة الإنسانية الباقية إنسانية ممجدة في الأقنوم المتجسد؛ لذلك، الرأسُ متَّحدٌ بالأعضاء اتحادًا إلهيًا – إنسانيًا. قوة الاتحاد من أُلوهية الابن الكلمة، ولكن ذات القوة وذات المحبة الإلهية للبشر التي لأقنوم الابن التي هي محبة لذاته وكيانه المتجسد. والجديد هنا هو **أن محبته لذاته هي محبة لذاتٍ متجسدةٍ، أي فيها الإنسانية.**

لم يتجسد الرب لكي يموت، كما هو شائع في أوساط غلاة الإنجيليين وبعض الإكليروس عندنا، بل تجسد ومات مصلوبًا ولكنه قام، فلم يكن الموت لمجرد الموت هو غاية التجسد، بل الموت للقضاء على الموت، ولذلك يحيا الربُّ متجسدًا إلى الأبد. ولذلك يقول ذهبي الفم: "بكل وقارٍ اقترب من المائدة المقدسة حيث الذبيحة موضوعة، وهو المسيح المذبوح لأجلنا" (على الأعمال ٢١: ٥ مجلد ٦٠: ١٧٠ وراجع على رومية ٨: ٨ مجلد ٦٠: ٤٦٥)، فالموت الطوعي هو ما تعلنه الليتورجية، وهو مستحيلٌ بدون الاتحاد الأقنومي، ولذلك على الصليب نفسه حسب عبارات ذهبي الفم:

"الموت أُبيد.

القيامةُ مُنحت لنا.

أبوابُ الفردوس فُتحت.

صرنا أبناء الله" (على العبرانيين ١٧: ٣ مجلد ٦٣: ١٣١).

المحبة الإلهية المتجسدة هي التي تعطي لنا الجسد والدم، وعطاء العلية هو ذات عطاء القداس الإلهي؛ لأن المائدة واحدة، فالمقدِّم واحد، والكاهن واحد، والذبيحة واحدة. في العلية بالإرادة والنية، وعلى الصليب جهرًا. وكما وزَّع هو في العلية، هو أيضًا يوزِّع في كل قداس، فالمسيح وحده له سلطانه الوحيد على جسده، ولذلك يُنشد القديس كيرلس عمود الدين في عظة فريدة على العشاء السري (مجلد ٧٧: ١٠١٧):

"هو يوزِّع جسده بالخبز،

ويعطي دمه المحيي بالخمر. يا للسر المخيف ..".

وفي عظة فخمة للقديس باسيليوس على ميلاد الرب بالجسد يشرح الاتحاد بين الطبيعتين في إجابة على سؤال:

"وعندما تسأل: كيف لم يتدنس الله الكلمة ولم يلحقه الضعف البشري؟ وجوابنا هو: كما أن النار لا تشارك الحديد في صفاته لأن الحديد لونه أسود وبارد، ولكن عندما يُوضع في النار يأخذ الشكل الخارجي للنار، حتى أن الحديد يتوهج مثل النار، ولا تتحول النار إلى اللون الأسود. ويصبح الحديد حاميًا ملتهبًا ولا تفقد النار حرارتها. هكذا كما في جسد الرب قد شارك اللاهوت، ولكنه لم يعطِ ضعفات الجسد إلى اللاهوت"

(نُشرت الترجمة الانجليزية في *St. Basilon Fasting and Feasts, SVP p29*).

"ولأن الذي يقدِّم هو المسيح فالتقدمة أو القربان هو المسيح نفسه والمائدة في الكنيسة هي ذات المائدة في العلية"

(ذهبي الفم على متى ٥٠: ٣ مجلد ٥٨: ٥٠٧).

مجد الإنسان في يسوع المسيح هو الجرأة أو الدالة في طلب الله نفسه:

في الليتورجيات الأرثوذكسية كلها، استدعاء الروح القدس هو على المؤمنين وعلى التقدمة، ولذلك يقول ذهبي الفم:

"عندما ترى الروح القدس نازلًا بغزارة،
فلا تشك في مصالحتنا مع الله"

(عظة على يوم العنصرة ١: ٣ مجلد ٥٠: ٤٥٧).

"وبسبب مسحة المسيح في الأردن وخدمة المصالحة،
أصبح لنا الشجاعة أن نحتفل بالعنصرة في كل قداس؛
لأن القداسات هي استعلانات الروح القدس"

(عظة على العنصرة ١: ١ مجلد ٥٠: ٤٥٤).

"لأنه حيثما توجد الكنيسة،
يوجد الروح القدس (طبعًا الكنيسة هي شعب الله)"

(ذهبي الفم عظة على العنصرة ١: ٤ مجلد ٥٠: ٤٥٩).

لقد جاء الوسيط الرب يسوع، وهدم كل ما يمنع شركة الإنسان في الحياة الإلهية المتجسدة؛ ولأن الناسوت وحده لا يفعل شيئًا، بل وقد اكتسب طبع النار وصار يتوهج مثل لهب النار، أي اللاهوت، تجلى الرب على الجبل وأظهر مجده حتى قبل أن يُصلب ويقوم؛ لأن الصلب لم يقدِّم شيئًا كان الرب يحتاجه، ولا حتى القيامة المجيدة كانت هي حياته غير الخاضعة للموت، ولذلك قبل الموت وعند قبر لعازر قال: "أنا هو القيامة والحياة" وقبل ذلك في عيد فصح اليهود قال: "مَن يأكلني يحيا بي".

الاستعلان لا يضيف شيئًا إلى المتجسد رب المجد.

كهنوت الرب يسوع ودالتنا لدى الله:

يقول عمود الدين عن كهنوت ربنا يسوع إننا:

"نحن صرنا مقبولين لدى الله الآب لأن المسيح الكاهن هو الذي يقدِّمنا (كقربان) ولأننا بالمسيح صار لنا "الدخول إلى هذه الخدمة" (رو ٥: ٢) لأنه أسَّس لنا طريق الوجود الحقيقي، ودخل كسابقٍ لنا إلى قدس الأقداس (عب ٦: ٢٠)، ولأجلنا أظهر لنا الطريق الحقيقي"

(العبادة بالروح والحق ١٦ مجلد ٦٨: ١٠١٦ B).

ولذلك صار لنا الجرأة كما يقول غريغوريوس النيسي:

"الجرأة الكاملة لدى الله لأننا سررنا بظهوره لنا وجهًا لوجه"

(التعليم الكبير للموعوظين ٦ مجلد ٤٥: ٢٩ B).

"أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له":

لو كان الابن له المجد قد ردَّ إلينا الناسوت كما هو دون مجد ودون غلبة الموت، لو ظل جسده جسدًا بيولوجيًا غير مُمجَّدٍ؛ لوجب علينا أن نقول إن التجسد لم يحقق شيئًا، وإن الاتحاد الأقنومي قاصر على الرب وحده.

عندما سألت الكاهن الكبير المتنيح القمص أنطونيوس أمين عن سبب اختفاء موضوعٌ هو قلب ومحور التعليم المسيحي، وهو اتحادنا بالمسيح، ابتسم وقال لي: "يعني أنت عاوز تكون في المسيح إلى الأبد؟ ده كثير على السلطات الكنسية، وده كمان يجيب مشاكل لينا إحنا الكهنة في معاملة الشعب. يعني، لا بُد من الرفق والحنو والتواضع والمحبة؛ لأن كل واحد هو عضو في جسد الرب وده كثير علينا".

واضحٌ إذن أنه لا توجد أسبابٌ أخرى للانقضاض على الليتورجية نفسها سوى إنكار محبة الله للخطاة. فقد حلَّت الخطية محل كل شيء، وصارت هي

سبب تجسد ابن الله، لا صلاح الله. وصارت الخطية هي أساس التعليم عن الفداء والكفارة، لا تدبير الله السابق على خلق العالم (أفسس ١: ١ - ٣) الذي سبق فيه صلاح الله سقوط الإنسان. وهكذا جاء الهجوم على الآباء أنفسهم، وحَشَدَ الكذبُ كل ما لديه من حيَلٍ: صحافةً تجيد الكذب وتخدع القراء بالألفاظ، وخرج من تحت العمائم الأسقفية اتهامات كاذبة بالهرطقات أو بالبروتستانتية أو بترويج فكر غربي، وصار اثناسيوس الرسولي نفسه محاصَرًا في كنيسته لا يقوى على الخروج إلَّا في أوساطٍ معينة، بل قال أحد أساقفتنا عندما اقتبس طالب من القسم المسائي نصًا من القديس كيرلس الكبير: "لو كان كبير مكانش قال الكلام ده"، وكان الكلام عن اتحادنا بالمسيح المتجسد.

الاتحاد الأقنومي هو الذي فتح لنا باب الاتحاد بالثالوث، وهي كلمة الرب في (يو ١٧: ١ - ٢٦).

إن يسوع الكاهن والذبيحة لا يفارق الكنيسة، وهو دائمًا معنا لأنه رأس الجسد الذي لا يمكن فصله عن الأعضاء، فهذا الاتحاد به جاء به التجسد، وأساسه في التجسد، وقوته في الصلب، وخلوده في القيامة؛ لأن إنسانيتنا فيه ومتحدة به بلا انفصال، ولذلك يقول رسول المسيح: "من الذي يفصلنا عن محبة المسيح .." (رو ٨: ٣٥). وإذ أزال الرب كل العوائق، صار اتحادنا به أبديًا وهو أيضًا "بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير"، فالمسيح لا يصبح بولس، وبولس لا يصبح المسيح، فهذا هو منهج الأوطاخية. ويسوع لا يصبح خاطئًا، ولكن الخاطئ يصبح بارًا؛ لأن التبرير هو عطاء الله في المسيح (رو ٥: ١ - ٣). ولا يموت المسيح فينا، بل نحن نقوم فيه بعد موتنا معه في المعمودية (رو ٦: ١-٨)؛ ولذلك نحتفل نحن بأسرار الخلاص في الليتورجية.

الاتحاد الأقنومي وسر الإفخارستيا[١]

أولًا

الاتحاد الأقنومي

تحية صادقة بمحبة أبدية لكلٍّ من سوستانيس، ومجدي داود، ولكل القراء الذين لديهم عشق إلهي بالغوص في استعلان المحبة الإلهية.

هذه ملاحظات لدفع الحوار إلى الأمام.

أولًا: اللاهوت الأرثوذكسي ليس لاهوت مصطلحات، بل لاهوت شركة تعبِّر عنها المصطلحات التي نُحِتت لكي تحفظ سر المحبة الإلهية والتنازُل الإلهي الذي جاء بالابن الوحيد إلى حياتنا الإنسانية الوضيعة الميِّتة لكي يرفع هذه الإنسانية الساقطة من الموت ومن نير العبودية للدينونة إلى "حرية مجد أولاد الله" (رو ٨: ٢١)، ذات المجد الذي صار للبكر، والذي جعل الرسول يقول إننا "مشابهين صورة ابنه ليكون بكرًا بين أخوةٍ كثيرين" (رو ٨: ٢٩). والرسول يتكلم عن المشابهة؛ لأننا لا نشترك في ولادة الابن الأزلية من الآب، ولكننا نشترك فيما أُعلِن في التدبير في زماننا، أي البنوة التي هي حقًّا نعمة، ولكنها -كما ساد بعد القرن الرابع- "نعمة غير مخلوقة"؛ لأنها نعمة إلهية، وهي ذات عمل الله نفسه حسب تعبير رسول المسيح في (١ كور ١٢: ١ - ١١)، فالروح هو نفسه الذي

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣١ مارس ٢٠١٤.

يعمل، والعمل نفسه هو النعمة، والنعمة إلهية، وليست شيئًا آخر، وهو ما عبَّر عنه نفس الرسول قائلًا: "الله واحد الذي يعمل الكل في الكل" (١ كور ١٢: ٦)، ولو كنا قد وُهِبنا نعمةً غير عمل الله المباشر، نكون قد وضعنا وسيطًا هو النعمة بيننا وبين الابن رب المجد، أو بيننا وبين الروح القدس الرب المحيي، وصار لنا إلهٌ آخر اسمه النعمة.

اللاهوت واحد وعمله واحد غير قابل للتقسيم.

ثانيًا: "الحلول النعموي"، تعبير ينطوي على أخطار كثيرة، فهو لا يؤكد أنه ذات الأُلوهة العاملة، وهي على سبيل المثال في "التبني"، فليس في الثالوث سوى بنوة واحدة، وهي بنوة الابن للآب، وهي علاقة أقنومية خاصة بالابن، وُهِبَ لنا أن نشترك فيها بالطبيعة الساقطة المستعبدة؛ لكي تتحرر، ولكي تصل إلى ذات العلاقة التي بين الآب والابن، حتى ندعوه "أبَّا أيها الآب" (غلا ٤: ٤ – ٦). والنعمة هنا هي انسكاب حياة الابن فينا للتبني دون أن نفقد طبعنا المخلوق من العدم، تمامًا مثل إنسانية المسيح نفسه، التي ظلت إنسانية، لم تفقد إنسانيتها رغم اتحادها بأقنوم الابن، ولكنها صارت "واحدًا معه"، أي مع الأقنوم "دون انفصال ولا امتزاج ولا تغيير"، حسب تعبير الاعتراف الأخير في قداسنا القبطي الأرثوذكسي.

ثالثًا: أخشى من ذات التعبير؛ لأن جسد الرب ودمه، ليس نعمة، بل هو أقنوم الابن المتجسد الذي يتَّحد بنا في السر المجيد، وهو لا ينزل إلى مستوى النعمة، بل يُعطى لنا و"عنَّا خلاصًا وحياةً أبدية"، وهو المسيح نفسه ربُّ الكل. وصلوات القسمة بالذات، وهي ترتيب الإسكندرية، تخاطب الرب يسوع نفسه مؤكدةً سر عطاء حياته التي لا يمكن أن تنقسم من بعد الاتحاد إلى اثنين، ليس خوفًا من هرطقة نسطور، ولكن لأن التقسيم سوف يبيد القيامة من الأموات والخلود. فالمسيح يحلُّ فينا ويعطي كيانه لنا، وبذلك الحلول نفسه من أقنوم الابن المتجسد تُستَعلَن النعمة. ولاحظ هنا أن قيامة المسيح نفسه ليست نعمة، بل استعلان قوة الله الكلمة، ولكن عندما توهَب لنا ذات القيامة، فهي نعمة، لكن

العمل نفسه -كعمل إلهي- ليس مجرد نعمة حسب المعنى السائد الذي يروِّجه بعض أساقفتنا خوفًا من الامتلاء من المسيح؛ لأن "ملء قامة المسيح"، هو "كمال الحياة الإنسانية في المسيح بالخلود"، وهو ذات خلود المسيح، وليس خلودًا آخر، تمامًا مثل قيامة المسيح، فهي هي نفسها قيامتنا نحن على النحو الذي شرحه رسول المسيح في إيجاز في (١كور ١٥: ١٧ - ٥٦)، وهو إنذارٌ لنا يقول بصوتٍ عالٍ إن القيامة ليست عملًا كونيًا يتم بفعل الطبيعة أو حتى القدرة الإلهية، بل تم بالقدرة الإلهية في المسيح، أي قدرة وعمل الروح القدس نفسه؛ لأن الرب يسوع لم يحصل على نعمة من الروح القدس، بل مُسِحَ بالروح القدس لأجلنا، ولذلك، الروح الذي أقام يسوع، هو ذات الروح الذي يقيم أجسادنا (رو ٨: ١١). ولذلك، لا يجب أن تختفي كلمة الأقنوم تحت غطاء النعمة؛ لأن هذا يمنع عمل الثالوث -لا سيما الابن- من أن يشترك بذاته، أي بالأقانيم في خلاصنا وتحرير طبعنا من الأسر الآدمي.

رابعًا: في السر المجيد، إذ نتحد بالرب يسوع المسيح بواسطة الروح القدس، وبذلك ندخل عمل سر الشركة، أو التدبير حسب تعبير الآباء .. هنا يُبرز لنا الاتحاد الأقنومي، حقائق الحياة أو الخلقة الجديدة على النحو التالي:

١- إن كل ما حدث لإنسانية يسوع، سوف يحدث لنا نحن من ولادة ومسحة وموت وقيامة؛ لكي نؤهَّل لميراث ملكوت السموات، ونكون فعلًا وارثون مع المسيح وورثة الله حسب عبارة الرسول بولس نفسه (رو ٨: ١٧)، وهي ما أعطاه "روح التبني" الذي يشهد أننا أولاد الله، وأننا سوف نتألم لكي نتمجد بذات مجد المسيح (رو ٨: ١٧، يو ١٧: ٢٢). ومجد المسيح لم يكن نعمة من الآب للمسيح، بل مجده الذاتي "مجِّدني أنت أيها الآب عند ذاتك (أقنومك) بالمجد الذي كان لي عندك قبل خلق العالم (المجد الأزلي السابق على تجسد ابن الله)" (يو ١٧: ٢٥).

هذا هو مجد الأُلوهة الذي يُوهَب لنا، وهو كعملٍ إلهيٍّ مباشرٍ، لم يصدر عن نعمة، ولذلك، الأصل والمصدر ليس النعمة، بل الأقنوم. ولكن قبول ما يُعطى هو ما يجب أن يقال إنه نعمة؛ لأنه لا ينتمي إلى الطبائع المخلوقة، ولا يمتُّ للإنسانية بصلة، بل هي التنازل الإلهي والعطاء.

٢- إن اتحادنا بالمسيح في الإفخارستيا هو اتحادٌ أبدي غير قابلٍ للفصل؛ لأنه قبل أي شيء آخر هو اتحاد محبةٍ (رو ٨: ٣٥ - ٣٩)، فقد رفع بولس كل قوة مخلوقة وأكَّد عدم فاعليتها وعدم قدرتها على أن تفصل بيننا وبين المسيح.

خامسًا: لقد مرَّ الفكر القبطي بمرحلة عسيرة، وهي مرحلة الاختزال *Reductionism* والتي تجلت في محاصرة التعليم في عباراتٍ وصلت إلى حدٍّ تحديد الشركة في الثالوث بمدى وجود أو عدم وجود حرف الجر "في" في عبارة معينة. كما تجلت في صورة أخرى أشنع، وهي "الحلول المواهبي".

بالطبع، بشكلٍ عام، لا ضرر من تحديث أو تقديم مصطلحات جديدة، لكن فليكن معلومًا أن المصطلحات هي حدودٌ ترسمُ دائرةً بين ما هو صواب وحقيقي، وما هو عقلي وخيالي (لا صلة له بواقع الحال). غير أن ما حدث لدينا طوال أربعين عامًا هو تقديم العقيدة بأسلوب جماهيري شعبي، بطريقة مختزلة في عبارات وكلمات ومصطلحات تنتمي إلى دائرة الخيالي لا الحقيقي، فإذا أضفنا إلى ذلك إنكار الحوار والنقاش، وكأن الواعظ أو الكاتب هو الله نفسه، كان من الطبيعي أن نصل إلى الحد الذي قال فيه البعض إننا نتناول الناسوت دون اللاهوت. وهكذا، جاء التقسيم والفصل ضد السر نفسه، وضد تجسد ابن الله غير المنقسم؛ لأن الانقسام هو الفساد الذي أدخلته الخطية، وهكذا بات عمل رئيس الكهنة الرب يسوع نفسه معرَّضًا للزوال. فهو، أي رئيس الكهنة، لا يمكنه أن يقربنا إلى الآب، إن كان إنسانًا فقط، وإن كان إلهًا فقط، تعذَّر عليه القضاء على الموت، باعتباره المانع الحقيقي من الاتحاد، فهو فقدان الحياة الذي جاء مع الخطية. ولذلك، العمل الإلهي للمتجسد، لا يمكن تقسيمه، فهو وسيطٌ كإنسان عند الآب، وكإلهٍ عند البشر دون أن ينقسم، وهذ المفهوم هو مجمل المقالة الرابعة

ضد الأريوسيين للقديس أثناسيوس (راجع الترجمة التي أنجزها د. هيب قزمان، ونشرها مركز دراسات الآباء بالقاهرة).

سادسًا: إن اتحاد الطبيعتين في أقنوم الكلمة المتجسد، يعطي للكلمة مجال العمل الإلهي في تجديد الإنسانية، وقبول الإنسانية عند الآب والروح القدس؛ لأنه يجمع في كيانه الإنسانية المحتاجة إلى الحياة، ولذلك هو يوزِّع كإلهٍ متجسِّدٍ، جسده ودمه على المتناولين. ولولا تجسده، ولولا أُلوهيته، ولولا اتحاد الطبيعتين؛ لَتعذَّر أن يكون الربُّ في كل قداس، وعلى كل مذبح؛ لأنه بقوة أُلوهيته التي أزالت كل أشكال الانفصال ليجمع كل المتفرقين إلى واحد، فهو متى ارتفع عن الأرض، أي عن كل المقاييس الزمانية والأرضية، يجذب إليه الجميع (يو ١٢: ٣٢، يو ١١: ٥١). فهو لا يوزَّعُ على المذابح، بل يجمع كل المذابح بالإرادة الإلهية المستعلَنة في تجسده، لكي يجعل الكل واحدًا فيه ومع الآب، وهو مجمل صلاته الأخيرة في (يو ١٧). ولذلك، نحن نقول: "سلامًا وبنيانًا لكنيسة الله الواحدة"؛ لأننا نرتفع فوق الانقسام، فهو لا ينزل من السماء لكي ينقسم، بل الذين قيل عنا: "أبناء الله المتفرقين". هو الذي سوف يجمعنا إلى واحد (يو ١١: ٥١)، وهنا لا بُد لنا أن ندرك أن القوة الفاعلة هي قوة الله الكلمة خالق كل الأشياء، التي تجمع توحِّد.

أخيرًا: عندما حذَّر القديس كيرلس الكبير من تقسيم المسيح، قال إننا إذا قسَّمنا المسيح إلى إله وإنسان، تحولنا إلى آكلي لحم بشري (راجع المقالات الخمس ضد نسطور)، ولم يكن هذا نوعٌ من العبث أو المبالغة، بل لأن الجسد الطبيعي لا يعطي إلَّا ما هو طبيعي، ولذلك "المولود من الجسد جسدٌ هو" (يو ٣: ٦)، ولكن الولادة الأزلية من فوق، رفعت حاجز الزمان والمكان والخطية والموت، بالتجسد والصلب والقيامة والصعود، وصارت كل الخليقة منعطفة نحو الكلمة اللوغوس، مدعوَّة بالبشارة، وثابتة في الخلقة الجديدة بالعمل الإلهي الذي لا يمكن أن يتم سوى بالاتحاد الأقنومي.

ثانيًا

شرحٌ مختصر لسرِّ الإفخارستيا
في بعض كتابات القديس كيرلس الكبير

المائدة السماوية

"نحن نعيش في زمان المائدة المقدسة، مائدة المسيح السرِّية التي من عليها نأخذ الخبز الواهب الحياة السمائي؛ لأن الموت الذي قد يكون عند البعض مرعبًا ومخيفًا، قد أُبيد" (السجود والعبادة بالروح والحق ك ٣: ٩٧).

"مائدة خبز الوجوه (في العهد القديم) كانت تشير إلى الذبيحة غير الدموية التي نقدمها نحن عندما نأكل الخبز النازل من السماء، أي المسيح الذي وُلِدَ في وسطنا، إلَّا أنه من الآب وفوق الكل، الملك ورب الكل" (المرجع السابق ك ١٢: ٤٥٧).

فكر وقلب وجسد واحد مع المسيح وبالمسيح

"كل من اشترك في المسيح بالاشتراك في جسده المقدس ودمه، يجب عليه أن يكون له فكر المسيح، وأن يتبع خطواته ويحيا مثله" (المرجع السابق ك ٦: ٥٦٩).

"من الغباوة أن يظن أحدٌ أن آدم المخلوق من تراب الأرض، عندما صار إنسانًا، قد نقل إلينا قوة اللعنة التي حلَّت عليه كميراثٍ يشمل كل الجنس البشري، لكن الذي ولد وهو من فوق من السماء، وهو بالطبيعة الله، أي عمانوئيل، والذي شابهنا في كل شيء، عندما وِلِدَ

وصار آدم الثاني، لا يجعل الذي اختاروا -بالإيمان- حياة الشركة معه، أن لا يشتركوا في غنى حياته الخاصة. نحن نصير جسدًا واحدًا معه بالإفخارستيا السرِّية Mystic" (جلافيرا على التكوين ك ١: ١١).

"وبعد ذبح الحمل يأمر بأن يدهن بالدم العتبة والباب ... مشيرًا إلى أنه بدم المسيح الكريم نحيا في هذا الجسد الترابي آمنين، غير مرتعبين من رعب الموت الذي جاء بالسقوط؛ لأننا نشترك في الحياة، لأن شركتنا في المسيح هي حياة وتقديس ... لأننا هنا في هذه الحياة بشكلٍ منظور، نشترك في المسيح في الجسد المقدس والدم .. " (جلافيرا على سفر الخروج ك ٢: ٢٧١).

وفي شرح مزمور ٢٢، وهو مز ٢٣ حسب الترجمة العربية، يقول عن المائدة:

"هذا ما يعرفه المؤمنون. لأن المائدة التي أُعدِّت لنا، والتي عليها نأكل لكي ننال القوة لكي نواجه كل المعاندين. فالطعام الروحي يقدس النفس ويجعلها قادرة على أن تقاوم الأرواح النجسة ومعلمي الضلال. حقًا إن المائدة السرية حيث جسد الرب تجعلنا أقوى من شهواتنا ومن الشياطين؛ لأن الشيطان يخاف من الذين -بتقوى- يشتركون في السرائر".

وفي العظة الثانية على إنجيل لوقا، يؤكد أن بيت لحم هي بيت الخبز، فيقول:

"لأن الكنيسة هي البيت الروحي للخبز السمائي الذي فيه سِرِّيًا الخبز النازل من السماء الواهب الحياة للعالم".

ويؤكد القديس كيرلس، الاتحاد الأقنومي، دون أن يذكر التعبير؛ لأن اللاهوت الحقيقي ليس موضوعًا إنشائيًا يسير حسب المصطلحات، فيقول في العظة الرابعة على إنجيل لوقا: ٣٨:

"الحق نفسه (المسيح) يشهد أنه ليس مجرد إنسان ولد من امرأة، ولم

يكن مجرد إنسان أعطاه الابن الوحيد مجده، بل هو الابن الواحد مع جسده المقدس الذي اتحد هو به، عمل كل هذه المعجزات، وهو يُعبَدُ كإلهٍ بواسطة كل الخليقة. لقد دخل بيت حماة سمعان حيث كانت زوجته (زوجة سمعان) مضطجعة في الفراش تأكلها الحمَّى، ولكنه تكلم كإلهٍ: (اتركي الحمَّى وقومي)، وفعلت ذلك، وأعلن أن جسده فيه قوة الشفاء لأنه جسد الله، ولذلك أمسك بيدها وللحال تركتها الحمى. لكن علينا أن نأخذ يسوع عندما يأتي إلينا، نحن نقبله في عقولنا وفي قلوبنا لكي يطفئ نار حمى الشهوات، ويقيمنا ويجعلنا روحيين أقوياء ... ومرةً ثانيةً علينا أن ندرك قوة لمس جسده المقدس؛ لأنه يطرد الأمراض المختلفة والأرواح الشريرة ويدوس على قوة الشيطان ويشفي جموعًا كثيرة دفعةً واحدة .. فكان يضع يديه على المرضى لأننا نحتاج أن نتعلم أن جسده المقدس يحمل قوة الكلمة الذي جعل هذا الجسد، جسده الخاص به ... وسر الإفخارستيا يخلصنا من أمراض نفوسنا" (راجع أيضًا طلبة القداس الإلهي: شفاءً للمرضى، راحةً للمعوزين ...).

كيف يشرح القدس كيرلس سِرَّ الإفخارستيا؟

وفي نفس المرجع (١٩: ٤١٤)، يقول عن سر عشاء الرب في العلية كما يُمارَس في خدمة القداس:

"عندما نرفع الشكر والتسبيح للابن مع الروح القدس لله الآب، نحن نقترب من المائدة المقدسة مؤمنين أننا قد أُعطِينا الحياة، ونلنا بركة لنفوسنا وأجسادنا؛ لأننا نقبل في كياننا كلمة الله الآب الذي تجسد لأجلنا، وهو الحياة وهو واهب الحياة أيضًا. وإذا درسنا على قدر استطاعتنا عن معنى السر الذي وهِبَ لنا، خلق الله، إله الكون كل شيء لكي يكون عديم الموت، وكان خلق العالم بصلاح الله، ولكن

بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم، وقاد إبليس الإنسان الأول إلى العصيان والتعدِّي، فسقط تحت اللعنة الإلهية لأنه قيل: (ترابٌ أنت وإلى التراب تعود)، ولكن المحبة الحانية للخالق، تفوقت على المعصية؛ لأنه جاء لكي يخلِّص أولئك الذين على الأرض. الله الآب الذي هو الحياة أرسل شعاع مجده المسيح الذي هو الحياة أيضًا؛ لأن الكلمة ولِدَ من جوهر مَن هو الحياة لكي يلد الله الآب الحياةَ للكل بواسطة ابنه بالروح القدس.

كيف يسود الإنسان على الموت ويعود إلى عدم الفساد؟

كان الجسد محتاجًا حقًا لأن يشترك في قوة الله الواهبة الحياة. وقوة الله المحيية والواهبة الحياة هو الابن الوحيد الكلمة. فأرسل لنا الآب مخلصًا وفاديًا، فصار جسدًا دون أن يتحول إلى جسد، أو أن يصبح ما ليس هو، ولا يبقى الكلمة، ولكن بالحري ولِدَ حسب الجسد من امرأةٍ ومنها أخذ جسده لكي يُدخِل ذاته فينا باتحادٍ غير منحل He might insert Himself into us by indissoluble union وبذلك يجعلنا فوق الموت والهلاك. ولذلك لبس جسدنا وأقامه من الأموات كي يؤسِّس طريقًا يعود فيه الجسد من الموت إلى الخلود كما قال بولس: (كما بإنسان دخل الموت، بإنسان صارت القيامة من الأموات. في آدم يموت الكل، لكن في المسيح سيُحيا الكل). وبعد أن **اتحد بجسدٍ خاضعٍ للموت** رغم أنه الله الكلمة والحياة، أباد من الجسد الفساد، بل جعله واهبًا الحياة.

لا تشكُّوا فيما قلته الآن، بل اقبلوا الكلمة بالإيمان، وأمثلة قليلة سوف نجمعها تؤكد ما شرحته؛ لأننا إذا وضعنا قطعةً من الخبز في خمر أو زيت أو أي سائلٍ آخر، فإن قطعة الخبز تمتلئ بالسائل الذي وضِعَت فيه، وتأخذ ذات طعم السائل نفسه. وعندما يوضَع حديدٌ في النار، فإن قوة النار تملأ الحديد، وتعطي فاعليتها (قوتها) للحديد،

ورغم أنه حديد إلَّا أنه يأخذ قوة النار.
هكذا كلمة الله المحيي عندما اتحد هو ذاته بالجسد، وجعل الجسد جسده الخاص. فكيف صار جسده واهبًا للحياة ومحيي؟ هو نفسه قال: (الحق الحق أقول لكم مَن يؤمن بي له حياة أبدية)، وأيضًا: (أنا هو الخبز الحي النازل من السماء. الذي إذا أكل منه إنسانٌ يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي. الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم). وهكذا أكلُ جسد المسيح مخلصنا كلنا، وشُربُ دمه الثمين يعطي لنا حياةً في أنفسنا؛ لأنه يجعلنا واحدًا معه، وهو يكون فينا ونحن نكون فيه. **هو نفسه فينا بواسطة الروح القدس** بأسلوبٍ إلهيٍّ، بل هو يمتزج[1] بأجسادنا بواسطة جسده ودمه الكريم" (الكتاب الثالث من شرح إنجيل يوحنا – الإصحاح السادس، ابتداءً من عامود ٤٧٢).

يوحنا ٦: ٣٥ "أنا هو خبز الحياة"

"ليس خبزًا ماديًا جسديًا يضعُ حدًا للجوع، ولا يمنع عن الجسد هلاك الموت، بل بالحري لقد جئت لكي أُعيد تكوين الكائن الحي بالكامل للحياة الأبدية، ويجعل الإنسانية التي خُلِقَت للحياة الأبدية أسمى من الموت. بهذا هو يشير إلى الحياة والنعمة التي تعطى بجسده المقدس؛ لأن خاصية الحياة التي للابن الوحيد، أي الحياة، تُعطى لنا" (المرجع السابق عامود ٤٧٤).

بماذا وعد المسيح؟

"لم يَعِد بما هو فاسد، بل وعد بالبركة εὐλογία شركة جسده

([1]) الامتزاج هنا تعبير صحيح يؤكد خصوصية جسد الرب الذي يوهَب لنا ويظل جسد الرب لا يذوب فينا، ولذلك تعبِّر صلاة قسمة القديس كيرلس –والتي نقوم بعمل توثيق وتأصيل لكل عبارة فيها– عن أرثوذكسية حقة.

> المقدس ودمه الكريم الذي يقيم الإنسان كاملًا لعدم الفساد، فلا يعود يحتاج إلى القوت الذي يحفظ الجسد من الموت ... جسد المسيح المقدس يعطي الحياة لمن يدخل ويحفظهم في عدم فساد عندما يمتزج بأجسادنا. لأنه في النهاية هو جسد مَن هو الحياة بالطبيعة، الذي فيه القوة الكاملة للكلمة الذي اتحد به وصارت له خصائص الكلمة كما لو كان قد امتلأ بكل قوة الكلمة التي منه تنال كل الأشياء الحياة وتبقى كائنةً" (المرجع السابق).

هكذا يجب أن نفهم أننا لا نتكلم عن مصطلح *Term* بل عن حياة، وعن هبة، وعن اتحاد، وعن انتقال الحياة من الكلمة ان الله إلينا بالشركة في جسده ودمه؛ لأن جسد الله الكلمة هو واهب الحياة، وهو أصدق ما يمكن أن يقال عن الاتحاد الأقنومي.

أرجو أن يستمر حوارنا بالمحبة والاحترام الذي يليق بنا كمسيحيين، وأن يسود التعقل على الانفعالات، وأن تحكم المحبة ما نكتب.

خميس العهد

نحن وهو جسدٌ واحدٌ[1]

حتى لا نجهل التاريخ

نحن نحارب الاتحاد؛ لأننا نعيش الانقسام والتشرذم. نحن نحب الانفصال ولا نقوى على مواجهة الحقيقة الأبدية: إننا مع يسوع المسيح الإله المتجسد، صرنا الجسد الواحد الكنيسة (١كو ١٢: ١٢ مع ٢٧). وظل تحدي الاتحاد ماثلًا منذ أن صُلب الرب وقام لكي "يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (يوحنا ١١: ٥١). هكذا صارت الأمور، حربٌ من الداخل مع الهرطقات، ومع معلِّمي الكذب، وكلها تصب في اتجاهٍ واحدٍ وهو مقاومة اتحادنا بالرب.

أولًا: حاربت الغنوسية التجسد بكل أسلحة الفلسفة الوثنية التي تكره الجسد، ودخلت معها بدعة "المشبهة" تلك التي حاربها أغناطيوس الأنطاكي، والتي ادَّعت أن جسد يسوع خيالٌ أو شَبَهٌ. وحتمًا لا يتحد البشرُ بخيالٍ كما ان الاتحاد متعذِّرٌ بما نكره وهو الجسد.

ثانيًا: حاربت الأريوسية أُلوهية الابن، وكأن علاقتنا بالمسيح هي ذات العلاقة مع نبي ومعلم وقائد وبطل مثل شخصيات العهد القديم، أو أبطال الميثولوجيا اليونانية والوثنية.

تجسَّدُ الإله هو اتحاده بنا، وإذا نزعنا الأُلوهة، لم يعد لنا قوةٌ تجمع، فالجسد

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٧ مايو ٢٠١٦.

والانتماء البشري إلى جماعةٍ لا يمكنه أن يوحّد أيَّ جماعةٍ. تسقطُ الكنيسةُ من جسد المسيح إلى فراغ الانتماء إلى "تجمُّعٍ بشري". وجسدُ المسيح ليس تجمعًا بشريًا، إنه العطية الإلهية الموحّدة والمرفوضة، ليس في الأريوسية وحدها، بل في النسطورية أيضًا؛ لأن النساطرة لا زالوا أحياء عندنا فقط. حذفوا التعليم النسطوري الذي يهاجم والدة الإله، ولكنهم أبقوا على التعليم النسطوري الذي يقول بأننا نأخذ جسد المسيح فقط وليس أُلوهيته. وذهبت النسطورية الحديثة إلى ما هو أبعد، فجعلت اتحاد اللاهوت بالناسوت قاصرًا على الرب وحده بادعاءٍ شيطاني، بأن اتحاد الرب بنا كما اتحد بناسوته، هو إهانةٌ لمقام وكرامة ابن الله، وهكذا قدموا اتحادين:

- الاتحاد الأقنومي الخاص بالرب.

- اتحادًا غامضًا بين الرب يسوع وبين جسده الكنيسة. ومن هذه الفكرة الشيطانية، جاء التعليم بالأجساد الثلاثة عند إمام النساطرة في العصر الحديث.

ولو كان للرب جسدين أو ثلاثة، فقد سقط الخلاص برمته في بئر خيالات العقل وفي صحراء فارغة ليس فيها إلَّا تفاهات العقل التي تريد الانفصال.

هكذا وُلِدت مدرسة الانفصال، وهكذا سارعت بعد ذلك إلى الأوطاخية، الشر الحقيقي الذي علَّم بذوبان ناسوت الرب مثل نقطة عسلٍ، أو خل في بحر من الماء. ضاع تجسد الرب وضاع اتحادنا.

المبدأ الإلهي الأول:

إن ما يجمعنا في الاتحاد بالرب يسوع ليس هو الألوهة، بل القاسم المشترك، أي الناسوت. **ولذلك، الناسوت، أو الطبيعة الإنسانية** هو ما يجعلنا "أخوة" و"شركاء الرب".

المبدأ الإلهي الثاني:

ولكن، ولأن "الجسد لا يفيد شيئًا" حسب قول الرب في (يوحنا ٦: ٦٣)؛ فإن هذا الجسد لم يكن جسدًا منفصلًا عن الأُلوهة الخاصة بالابن، بل تمجد ذلك الجسد (فيلبي ٣: ٢١) وصار جسد مجده (فيلبي: ٣: ٢١) ومن هنا جاء الاتحاد بنا.

– مِن تجسُّد الرب جاء إلينا الميلاد البتولي بالمعمودية؛ لأن المولود من الروح القدس ومن مريم العذراء، وَلَدَنا فيه من الروح القدس ومن مياه المعمودية، لأننا صرنا جسدًا واحدًا معه.

– وباتحادنا بالرب المتجسِّد جاءت إلينا بتولية الرب نفسه وعفته، المنحة الإلهية التي وُهِبَت للعذراء والنُّساك والرهبان والراهبات لأنهم صاروا جسدًا واحدًا معه.

– وبنفس اتحاد الرب بنا، أخذنا نحن الذين قبلنا شريعة الزواج، أن نتعلم سر زواج الرب بالكنيسة (أفسس ٥: ٢٨)، وأن نتعلم هبة البذل والعطاء كما أحب الرب جسده الكنيسة.

– وعندما نتحد بذبيحة الرب، أي جسده ودمه، فإن كل قوى الانفصال الكامنة في الخيال وفي العقل ومن الثقافة، تنال التطهير، ونأخذ من الرب قوة الصلب والقيامة: "آمين. آمين. آمين بموتك يا رب نبشر وبقيامتك المقدسة ..."، ولأننا في السماء: "وبصعودك إلى السموات نعترف". وعندما يحل الروح القدس، نصير نحن ما أخذناه، ويتحقق كمال النعمة، أي نصبح هياكل الروح القدس، وهي في الواقع، هيكل واحد؛ لأن التعدد هو تخصص وليس تعدادًا حسب الأرقام. التعدد هو توزيع وليس انفصالًا، والحساب هو حساب التوزيع حسب تعدد المواهب، ولكنها كلها تعود إلى الروح الواحد (١كو ١٢: ١-١٢) الذي لا ينقسم.

خميس عهد الرب:

في العلية تجلى سِرُّ الرب. أعطى ذاته بدون مؤامرة اليهود، وبدون خيانة يهوذا.

صار عهد الرب أن يعطي حياته لنا، ففيه ننال مسحته ونُمسح فيه، وبه وننال الاتحاد بقوة صلبه وموته وقيامته لكي ندخل أعماق سر تجسده وصلبه، ولكي نهتف مع رسوله الأمين: "مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا"؛ لأن الانفصال انتهى، بل "المسيح يحيا فيَّ" (غلا ٢: ٢٠).

سوف آتي إلى مذبحك المقدس، الذي هو شخصُك، الذي هو أنت،

عند المائدة الإلهية؛

لكي اتَّحد بكَ، وأصير معك واحدًا،

لكي أنال شركةً في ميلادك البتولي، وعطاء محبتك، وبتوليتك، وانتصارك على الشيطان في البرية،

لكي أنال قوة صلبك، حتى أعبُر الصراع في زماننا،

لكي أنال عظمة ومجد قيامتك، حتى أصير فعلًا معك واحدًا.

هل جسد الرب – في سر الشكر – محدودٌ؟[1]

سؤالٌ من الأخ م. ع. طلب عدم نشر اسمه حتى لا يُمنع من الخدمة، كما قال.

أيُّ سؤالٍ عن جسد الرب يجب أن يضع في الاعتبار أن الإجابة عليه يجب أن تكون عن الرب المتجسد. وتعبير "الحضور المتجسد" الذي ورد عند القديس أثناسيوس (تجسد الكلمة فصل ٨ وفي الرد على الأريوسيين ١: ٥٩ – ٢: ٥٥ – ٢: ٦٦) يعني أن هذا الحضور هو حضور إلهي إنساني. والاهتمام بالجانب الإلهي لا يجب أن يلغي الحضور الإنساني الممجَّد؛ لأن مجد الألوهة أشرق على جبل التجلي دون أن يُلغي إنسانية الرب التي أخذها من جنسنا (عب ٢: ١٤-١٥)، حيث أباد الرب الموت من الناسوت، فصار الناسوت حيًا، بل وواهب الحياة، في حين أن الناسوت وحده لا يُعطي الحياة حسب قول الرب نفسه: "الروح هو الذي يحيي أما الجسد فلا يفيد شيئًا" (يوحنا ٦: ٦٣).

ماهية الجسد الإنساني:

الجسد الإنساني ليس مجموعة أعضاء، ولا هو بضعة وظائف بيولوجية فقط، بل له وجوده العقلي أو الروحي الذي تراه في إبداعات الإنسان في حقول الفن والموسيقى والفلسفة والعلوم بكل ما فيها من فروع يعرفها كل قارئ. لذلك، فبعد أن يرحل مفكر كبير أو كاتب تظل أفكاره وإبداعاته تُنقل من جيل الى جيل. نحن لا زلنا نذكر أرسطو وغيره من عظماء اليونان، بل لدينا سيرة وكتابات القديس أثناسيوس كمثال واضح عن التأثير الذي تركه في حياة وفكر الكنيسة الجامعة.

---

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٥ أغسطس ٢٠١٨.

فالجسد إذن لا يُقاس بالأبعاد الظاهرة: الوزن والطول .... الخ. فهذه رغم أنها تحدد ملامح الإنسان البيولوجي، إلا أنها لا تحدد عمل الإنسان ككل؛ لأن الملوك والرؤساء في حكومات العالم، ليسوا مجرد أوزان وأحجام، بل هم أكثر من يؤثر في حياة الدولة والمجتمع الذي يحكمونه.

جسد الرب هو جسد مجده (فيلبي ٣: ٢١):

عندما نقل إلينا المعارضون لسر الشكر مقاييس الإنسان البيولوجية مثل حضور الرب ذاته في العلية مع التلاميذ، وتساءلوا كيف يعطي جسده وهو جالس بينهم، بل وبيديه (مع ملاحظة أن ما تم في العلية تذكره كل القداسات)، فقد حصروا أنفسهم في الإشكالية الفكرية عن المحدود وغير المحدود، والمطلق والنسبي، وهي إشكالية بعيدة تمامًا عن اللاهوت الأرثوذكسي؛ لأن حتى هذه المصطلحات: المحدود، عكس غير المحدود، والمطلق غير النسبي، لا تُناقَش حتى فلسفيًا؛ لأن المقارنات يجب أن تكون بين المتشابهات، وإلا لماذا المقارنة من الأصل، وهو ما ذكره أرسطو في المجلد الكبير (الطبيعة وما بعد الطبيعة ك ٣: ١٨)، وحسب عبارته المشهورة: "الأشياء المتشابهة تقارَن لأننا نستطيع أن نقارن إنسان بإنسان، ولا يمكن مقارنة الإنسان بالحصان. بل حتى في الاستعارة، فحين تقارن إنسانًا يجري بسرعة مثل سرعة الحصان، تكون المقارنة بين سرعة وسرعة، وليس بين الإنسان والحصان. أما المطلق والنسبي، فهي إشكالية لا وجود لها في الأسفار أو عند الآباء؛ لأن حتى قول أحدهم بأن اشتراكنا في قداسة الله هو اشتراكٌ نسبي، فهو قولٌ تعدَّى كل أساسات الإيمان، لا يعرف قائله أن هذا ضد تجسد الله الكلمة؛ لأن المسيح ربنا قدَّس الناسوت، وهو "واحد من طبيعتين"، لاهوت مساوي للآب وناسوت مساوي لنا حسب التدبير، حسبما نقول في صلواتنا القبطية الأرثوذكسية. ولم تكن في المسيح الواحد قداسة مطلقة وأخرى نسبية؛ لأن **شركتنا في الله لا تُقاس** بما هو معروف في عالمنا المادي.

وكما ذكرت سابقًا عن أعمال الشخص التي تدوم بعد موته، وهي ما تركه لنا

من أفكار وجمال في الفن أو الموسيقى، إلَّا أن ذلك لا يعني مقارنة هذه الأعمال بالتجسد أو الحضور الإلهي، لأن أعمال الرب المتجسد هي:

- إبادة الموت
- هبة القيامة
- هبة المجد
- هبة الحياة الأبدية
- ميراث الملكوت

وكل هذه هي أعمال الجسد الممجَّد الغير القابل للانقسام أو للانفصال عن اللاهوت، وهي أيضًا استعلانات المحبة.

أما الشق الثاني من سؤالك: كيف يكون جسد الرب على مذبح مار مينا في الإسكندرية، ومذبح الملاك ميخائيل في أسوان في ذات الوقت؟ فهو سؤالٌ يجب مراجعته جيدًا على التدبير؛ لأن الأيقونة الخاصة بالتجسد هي الكنيسة: "الكائنة من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها"، هي جسدٌ واحد رغم وجوده في بلاد الدنيا، هي أعضاءٌ مُتَّحدة بالرأس ربنا يسوع. وهو الحياة التي أشرقت لنا في عالم الموتى كما كتب أفرام شاعر السريان وشاعر الكنيسة الجامعة.

ما هو الجانب المستعلن لحياة الرب؟

+ الجانب السمائي، وهو ما نسمعه في القداسات عن "الكائن في كل زمان"، والذي أتى إلينا متجسدًا في الزمان، دون أن يكون للزمان سلطانٌ أو قدرة تفصله عن جسده، أي إنسانيته، والكنيسة؛ لأنهما جسدٌ واحد، ويستطيع أي جاهل أن يحشد عشرات الاعتراضات على الجسد الواحد: الرب والكنيسة، ولكن هل يمكن أن تصمد هذه الاعتراضات أمام: "هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا من يأكل هذا الخبز يحيا إلى الأبد" (يوحنا ٦: ٥٨)؟ وسبق الرب وقدم لنا وجه المقارنة قبل الكلام عن الخبز النازل من السماء:

"كما أرسلني الآب الحي وأنا حي بالآب فمن يأكلني يحيا بي" (يو ٦: ٥٧). البُعد الحقيقي هنا هو الحياة، وهي حياة إلى الأبد، وهي ليست حياة مخلوقة كما ادعى نيافة العلامة مطران دمياط؛ لأن التشابه هو في حياة الآب الحي، والابن الحي بالآب، والتي لها هدف ظاهر، وهو: "مَن يأكلني يحيا بي"، أي انسكاب الحياة الأبدية في الحياة الجديدة السمائية، مما جعل القداس يؤكد أن ذبيحة الرب هي "غير مائتة إلهية سمائية"، **وفي السماء لا توجد مسافات تفصل، بل توجد عطايا تميز**؛ لأننا حتى على المستوى المادي المحسوس، ما يفصل بيننا ليس هو المسافة وحدها؛ لأن المسافة تصبح أداة التمييز بين إنسانٍ وآخر، ولذلك أداة التمييز بين الرب المتجسد والحياة الإنسانية عندنا ليست هي المسافة، بل **الاستعلان -إذا جاز القول- عن وظائف الجسد الممجد**، وهو أنه "يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (يوحنا ١١: ٥٢)، وأيضًا: "وأنا (الشخص) متى ارتفعت عن الأرض (لم يصبح لديه فاصل بين الإسكندرية وأسوان) أجذب إليَّ الجميع (يوحنا ١٢: ٣٢). يسوع لا يُفرِّق، بل يجمع، وهو الرأس، ونحن الأعضاء التي تشترك في حياة واحدة.

- ما هو وزن الحياة؟
- ما هو طول وعرض الحياة؟
- ما هو لون الحياة؟

هل يمكن الإجابة على هذه الأسئلة بالبُعد المحسوس فقط؟

ويبقى الجانب الأخير من السؤال عن المحدود وغير المحدود .. غير المحدود هو سلب Negation لما هو محدود. والله لا يوصف بأنه غير محدود، بل بأنه "مالئ الكل" والملء ليس كمًّا، ولا هو ملء مادي، بل هو كمال الله. وإذا وضعنا جسد الرب وحاصرناه بالأفكار بين ما هو محسوس من طول وعرض .. الخ أي المحدود حسب الظاهر، وما هو غير كائن أصلًا، أي ما سُلب من المحدود، فإن خداع اللفظ يجب أن يتوقف؛ لأننا يجب أن نعود للحياة:

- الغالبة الموت والجحيم.
- الواهبة الحياة للغير.
- التي لا تُقاس بما هو محسوس، بل بصلاح الله ومحبته للبشر.

ما هي المسافة التي تفصل الرأس عن القدمين؟

هذه طبعًا يمكن أن تُقاس، كما أن أبعاد الجسد تقاس عند تفصيل الملابس. ولكن ما هي المسافة التي تفصل بين الرأس يسوع ربنا وأعضاء جسده؟ عندما كتب رسول الرب: "أما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفرادًا" (١كو ١٢: ٢٧)، هل يعني هذا أن العضو أصبح "جزءًا" من الجسد؟ تهكم أحد الجهلاء وسأل: مَن هو أُذن المسيح ومن هو أنفه؟! التهكم على الكنيسة جسد المسيح يكشف عن مرض خطير، وهو أن هوية الكنيسة قد ضاعت؛ لأن الرسول يقول: "كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد" (١كو ١٢: ١٢)، وأضاف: "كذلك المسيح أيضًا". إذن، فلا مسافة بين الرأس والأعضاء، لأن هذا إذا كان يخص الجانب البيولوجي، إلَّا أن الذي يجمع المؤمنين معًا هو ما ذكره الرسول: "لأننا جميعًا بروح واحد أيضًا اعتمدنا إلى جسد واحد". العضو ليس "جزءًا"، بل هو في الجسد لأنه نال الحياة بالروح الواحد الذي يجمع أعضاء الجسد "الأفراد". والفرد هو عضوٌ يتمايز بما وُهِب له من مواهب وعطايا وضعها الروح القدس الواحد من أجل تنوع الأعضاء في الجسد الواحد حسبما ذكر الرسول بولس: "الأعضاء كثيرة ولكن الجسد واحد" (١كو ١٢: ٢٠)، ولذلك شرح الرسول نفسه وظيفة الأعضاء: "فوضع الله أُناسًا في الكنيسة أولًا رسلًا ثانيًا أنبياء ثالثًا معلمين ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء أعوانًا تدابير .." (١كو ١٢: ٢٨-٢٩). هوية الكنيسة إذن هي "جسد المسيح"، والسخرية من التعليم الرسولي بأن الكنيسة تسجد لنفسها عندما نقول: "نسجد لجسدك المقدس"، تتجاهل خضوع الأعضاء للرأس، بل انعدم خطاب خضوع الرأس للأعضاء، وهو خضوع المحبة، حينما يغسل الرب جسده:

"لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب" (أفسس ٥: ٢٦). ولاحظ أن وصف "بلا عيب" هو وصف الحمل ابن الله، وهو ذات الوصف الذي يحدد حضور الرب معنا في العشاء السري: "يديه اللتين بلا عيبٍ ولا دنسٍ، الطوباويتين المحييتين".

لعلي أكون قد نجحت في الإجابة على سؤالك، ولعل غير المحدود، وهو وصفٌ سلبي في الفكر وحده، أي لا وجود له إلَّا كفكرة في عقل الإنسان، يجعلنا ندخل من باب الحياة، يسوع المسيح نفسه الذي له المجد والكرامة مع الآب بالروح القدس.

كيف نفهم إيماننا؟

المسيح الإله الكامل، والإنسان الكامل[1]

أستاذي الفاضل

إنني أدرك تماما أن الاتحاد الأقنومي -بالتعريف- يعني أن أي شق من عنصري الشخص يستعلن الشخص كاملا، ولا مجال لفكرة الإضافة أو التركيب او التجميع الميكانيكي، وأن أي تفكير في وجود منعزل لأي من العنصرين مع افتراض بقاء الشخص هو تفكير فاسد مدمر لمفهوم الاتحاد الأقنومي من جذوره.

إن مسألة موت الرب وقيامته مسألة كاشفة لحقيقة الاتحاد الأقنومي. وإنني إذ أطرح تأويلا جديدا لهذه المسألة فهذا لا يعني أنني لست على دراية بالآباء، بل على العكس تماما، لقد تتلمذت على الآباء -لاسيما أثناسيوس- بفضل تلمذتي عليكم منذ أكثر من ربع قرن من الزمان، ولكن هضمي لتراث الآباء -على الأقل لجوهر الفكرة المسيحية الرئيسية التي تعرف بمصطلح "الأمانة الأرثوذكسية"- لم يمنعني من أن أتقبل بالنعمة مزيدا من وضوح الرؤية التأويلية التي لم يطرحها الآباء ولكنها لا تصطدم معهم في ذات الوقت.

وفي هذا الصدد إنني أعصف ذهني معكم، ولا أتوقع ردًا، كما تفضلتم وصرحتم، ولكنني أتوقع أن أخاطب رحابة أمانتكم العلمية في تحري أي جزئية وعدم المصادرة، فقد يكون العبد الفقير إلى الله ملهما بالنعمة بما لم يأتِ به الأوائل، وقد يكون مخطئًا وفي هذه الحالة فلا أقل من أن تفند طروحاته بدقة حتى تكون هدايته لصواب الفكر على يديكم كأستاذ له

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٤ مايو ٢٠١٣ ردًا على سؤال لأحد القراء.

كيف مات يسوع؟ والإجابة عند أثناسيوس في كتيب قديم لكم هي أن نفسه قد انفصلت عن جسده ولكن اللاهوت لم ينفصل عن جسده في القبر ولا عن نفسه في الهاوية إلى أن اجتمعت النفس بالجسد ثانية فقام الرب من الأموات. والسؤال هو: هل موت يسوع بهذه الطريقة هو موتنا نحن؟ ثم إذا كانت النفس قد حفظت –وكان الجسد قد حفظ– من الهلاك بفضل "الوحدة الأقنومية" مع اللاهوت، فكيف سمح من الأصل بموت من هو جسد الكلمة الخاص؟ هل يموت جسد الحياة؟ ألسنا بهذه الطريقة نكون قد انزلقنا إلى نظريات وهمية وفلسفات بعيدة عن الحقيقة الكيانية؟ هل الأمر تمثيلية تعسفية: تركٌ مؤدٍّ للموت واستدعاءٌ مؤدٍّ للقيامة؟

ألا تبدو القيامة –على هذا النحو– حدثا تعسفيا طارئا، مغيرا لطبيعة شخص الرب المولود من العذراء؟

في لحظة موت الرب هل ظهر شخص الرب يسوع كشخص انتقالي ينتظر التكميل بالقيامة؟

إن رؤيتي هي أن شخص الرب يسوع هو شخص كامل منذ أول لحظة له في رحم العذراء هو الإنسان الكامل بقدر ما هو الإله الكامل، ولكنه لأنه جسد الكلمة الخاص وبفضل الاتحاد فهو حي وخالد بطبيعته، بل هو مصدر حياة وخلود الجميع، وهو إذ قد سبق فسكن خيمة طبيعتنا الفاسدة فقد اختار بإرادته الحرة أن يجتاز الفساد والموت والعدم في هذه الخيمة وخرج منتصرا ومعلنا ذاته كخميرة لخلود جميع الذين يقبلونه كرأس لوجودهم الجديد.

ذلك هو الطرح الذي وضعه أحد القراء على شبكة المعلومات، وهو في رأينا طرحٌ لا يخلو من تهور، بل وتجاوز لما هو معقول وثابت.

وفي البداية نشير إلى قوله بأنه تتلمذ على الآباء لا سيما أثناسيوس، وأن هذه التلمذة "لم تمنعني من أن أتقبل بالنعمة مزيدًا من وضوح الرؤية التأويلية التي لم يطرحها الآباء، ولكنها لا تصطدم معهم ..". "وقد يكون العبد الفقير إلى الله ملهما بالنعمة بما لم يأت به الأوائل".

وعلى ذلك فهو –إن كان ملهمًا– فالمقارنة بين ما لديه وبين ما عند الأوائل

هي واجبه الأول، فعليه أن يذكر لنا بالتفصيل كيف تفوق على الآباء الذين يقول إنه درسهم، ويؤكد على القديس أثناسيوس الرسولي بالذات.

هل هذا إلهام أم تخبط؟

يقول: "إن رؤيتي هي أن شخص الرب يسوع هو شخص كامل منذ أول لحظة في رحم العذراء هو الإنسان الكامل بقدر ما هو الإله الكامل".

هذه الفكرة هي فكرة عامة تتجاهل ما ورد في رسالة العبرانيين: "لأنه لاقَ بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد **أن يُكمِّل رئيس خلاصهم بالآلام** .." (عب ٢: ١٠).

بل وتتجاهل أيضًا ذكر صراع الرب في البستان: "الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر ان يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه، مع كونه ابنًا تعلم الطاعة مما تألم به، **وإذ كُمِّلَ** صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي .." (عب ٥: ٧).

وبالرغم من أن صاحب السؤال يقول إنه درس أثناسيوس، يبدو أنه لم يدرسه بشكل كاف. فعند أثناسيوس العظيم:

"أخذ الرب جسدًا قابلًا للموت (تجسد الكلمة ٩: ١).

"جسدٌ لا يختلف عن جسدنا (٨: ١) قابلًا للموت ويبقى في عدم فساد بسبب اتحاده بالكلمة (٩: ١ – ٩: ٤ – ١٣: ٩).

ولا أدري ما إذا كان صاحب هذا الرأي قد درس الفصل العشرين من كتاب تجسد الكلمة أم لم يقرأه، فالفصل ٢٠ كله عن جسد الرب، يقول أثناسيوس:

"فالجسد لكونه من طبيعة البشر ذاتها لأنه كان جسدًا بشريًا ... كان قابلًا للموت لذلك كان لابد أن يموت كسائر البشر نظرائه غير أنه بفضل اتحاده بالكلمة فإنه لم يعد خاضعًا للفساد الذي بحسب طبيعته، بل بسبب كلمة الله

الذي حلَّ فيه فإن الفساد لم يلحق به" (٢٠: ٤). وبعد ذلك يقول أثناسيوس، وأرجو الانتباه:

"**موت الجميع قد تم في جسد الرب**".

"الموت والفساد قد أبيدا من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به" (٢٠: ٥).

هذا هو معنى "كُمِّلَ بالآلام"، وهذا هو معنى الكمال الحقيقي، لا ما وصل إلى السائل عن طريق الإلهام، حيث يقول: "لأنه جسد الكلمة الخاص وبفضل الاتحاد الأقنومي فهو حي وخالد، بل هو مصدر حياة وخلود الجميع ..".

أن يكون الجسد خالدًا بطبيعته، فهو إذن جسد غير قابل للموت، وبالتالي لم يمت الرب على الصليب. وعلى ذلك لا يمكن أن يكون ما وصل إليه صاحب هذا الطرح سبقًا جديدًا، بل تهورًا ورجوعًا إلى الخلف، يتمثل في إنكار فداء الإنسانية بسبب تسلط فكرة "الكمال" التي لا وجود لها في الأسفار حسب شرح هذا الأخ، لأن ما في الأسفار هو "الكمال" الذي تم بالصلب والقيامة، وهو تحرير الإنسانية.

ولأنه لم يدرس أثناسيوس كما يجب، فقد كان عليه أن يتوقف أمام عبارتين في الرد على الأريوسيين المقالة الثانية:

"الطريق الأول الذي كان من خلال آدم، قد ضاع وانحرفنا إلى الموت بدل الفردوس وسمعنا القول، "إنك تراب وإلى التراب تعود" (تك ٣: ١٩)، لذا فإن كلمة الله المحب للبشر لبس الجسد المخلوق –بمشيئة الآب– لكي يحيي بدم نفسه (بدم ذاته) هذا الجسد الذي أماته الإنسان الأول بسبب تعديه، كما قال الرسول "وكرس لنا طريقًا حيًا حديثًا بالحجاب أي جسده" (عب ١٠: ٢٠) ..." (٢: ٦٥).

وبعدها يقول اثناسيوس العظيم:

"هكذا خُلِقَ المخلص –بحسب الجسد– وصار أول الذين خُلِقوا من جديد .. ومرةً أخرى حيث أن عمل الله –أي الإنسان– الذي خُلِقَ كاملًا قد صار ناقصًا

بسبب المخالفة وصار ميتًا بالخطية، فلم يكن لائقًا أن يظل عمل الله ناقصًا .. لأجل ذلك فإن **كلمة الله الكامل** قد لبس **الجسد الناقص** ولهذا يقول (عن المسيح) إنه خُلق من أجل الأعمال لكي يوفي الدين عنا، ويكمِّل بنفسه ما هو ناقص عند الإنسان فالإنسان ينقصه الخلود والطريق إلى الفردوس... (٢: ٦٦).

فما هو الكمال الذي حقَّقَه المسيح؟

في نفس المقالة الثانية ضد الأريوسيين فقرة ٦٧ يقول أثناسيوس إن الأعمال التي أكملها الرب هي: "شافيًا جراحنا ومانحًا إيانا القيامة من الأموات" هذه كانت "ناقصة ومشوهة بسبب التعدي"، والنتيجة هي: "إذن فقد كَمُل فيه الجنس البشري، وأُعيد تأسيسه كما كان في البدء، بل بالأحرى بنعمة أعظم من الأولى".

تحرير الجسد بالاتحاد الأقنومي فقط هو وضع التجسد خارج الحياة الإنسانية والتاريخ الإنساني برمته:

يقول أثناسيوس العظيم في المقالة الثانية فقرة ٦١:

"بما أن كل البشر قد هلكوا بسبب مخالفة آدم، فإن جسده كان هو أول ما تم تخليصه وتحريره؛ إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة ذاته، وهكذا إذ قد صرنا متحدين بجسده قد خلصنا على مثال جسده. وبهذا الجسد صار الرب هو قائدنا ... لأنه أخذ على عاتقه أن يموت لأجلنا وقد أبطل هذا الموت، فإنه هو الأول الذي قام كإنسان، إذ قد أقام جسده لأجلنا، وتبعًا لذلك حيث أن ذلك الجسد قد أقيم، **هكذا نحن أيضًا نقوم من بين الأموات منه وبه**".

لم يكن ناسوت الرب خالدًا عديم الموت قبل القيامة، وإن كان الرب قد أقام الموتى وشفى المرضى، فهذا هو "التدبير": أن يُعلن لنا ما هو حقيقي وكائن فيه كشخص يسمح به وما يقبله هو "لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا" (قانون الإيمان).

ومن ذلك يتبين لنا أن العبارات الغامضة الاعتراضية التي وردت في الطرح المشار إليه هي عبارات من لم يدرس أثناسيوس ولا قرأ -ولو بشكل سطحي- ما جاء في المقالة الثالثة ضد الأريوسيين، وليس هنالك من عذر؛ لأن هذه المقالات نُشرت في القاهرة باللغة العربية.

يقول العظيم أثناسيوس شارحًا الإنجيل، أي بشارة الحياة:

"قيل عن خواص الجسد إنها خاصةٌ به؛ لأنه كان في الجسد، ومثالٌ لذلك أن يجوع، وأن يعطش، وأن يتألم، وأن يتعب، وما شابه ذلك من الأمور الخاصة بالجسد، ولكن كانت الأعمال الأخرى الخاصة بالكلمة ذاته مثل إقامة الموتى، وإعادة البصر للعميان .. قد فعلها بواسطة جسده، والكلمة حَمَلَ ضعفات الجسد كما لو كانت له، لأن الجسد كان جسده، والجسد خدم أعمال اللاهوت، لأن اللاهوت كان في الجسد، ولأن الجسد كان جسد الله، وحسنًا قال النبي إنه حملها (أش ٥٣: ٤ – متى ٨: ١٧) ولم يقل أشعياء إنه شفى ضعفاتنا (من جسده) لئلا تكون هذه الضعفات خارج جسده هو وهو يشفيها فقط –كما كان يفعل دائمًا ... ولذا كان يليق بالرب بأخذه جسدًا بشريًا أن يكون لهذا الجسد كل الخواص التي للجسد ... فمن الذي لا يُعجب بهذا؟ أو مَن الذي لا يوافق على أن هذا الأمر (التدبير) هو إلهيٌّ بالحقيقة؟ .. لو كانت الضعفات الخاصة بالجسد لم تُنسب للكلمة، لما كان الإنسان قد تحرر منها تمامًا .. لظلت الخطية وظل الفساد باقيان في الإنسان، كما كان الحال مع الجنس البشري .." (٣: ٣١-٣٢-٣٣ ص ٦١-٦٣ طبعة مركز دراسات الآباء).

وبعد ذلك – وكأن أثناسيوس العظيم يراقب ما قد يحدث من تدهور للعقيدة – يكتب بروح النبوة؛ فهو لم ينل لقب الرسولي اعتباطًا أو لمجرد التفخيم؛ إذ يكتب في الفقرة ٣٤ من نفس المقالة، ويقول:

"ولكي نفهم وبمعرفة أدق عدم تألم طبيعة الكلمة رغم خصوصية الضعفات التي نُسبت له بسبب الجسد ... "فإذا قد تألم المسيح بالجسد لأجلنا" (١بط ٤:

١) ولذلك حينما قال عنه إنه يجوع وإنه يعطش وإنه يتعب وإنه لا يعرف وإنه ينام وإنه يبكي وإنه يسأل وإنه يهرب وإنه يولد وإنه يتجنب الكأس ... فإنه فعل هذا بالجسد لأجلنا ... وأيضًا بينما هو نفسه غير متألم بالطبيعة، ويظل كما هو دون أن تؤذيه هذه الآلام، بل بالحري هو يوقفها ويلاشيها لكي يلاشي ويغيِّر آلام البشر ... لكي يصبح البشر أنفسهم غير متألمين ... فلا يعترض أي من الهراطقة قائلًا: كيف يقوم الجسد وهو مائت بالطبيعة؟ وإن قام، فلماذا لا يجوع ويعطش ويتألم ويظل مائتًا؟ .. عندئذ يستطيع الجسد أن يرد على الهرطوقي المقاوم ويقول:

أنا من تراب وبحسب الطبيعة مائت
ولكني لأنني صرت جسد الكلمة، وهو حامل أوجاعي
....
صرت أنا حرًا من هذه الأوجاع
ولم أعد بعد مستعبدًا لها
لأن الرب حررني منها
وإن كنت تعترض على تحرري من الفساد

انتبه لأنك بهذا (الاعتراض) تعترض على كلمة الله الذي أخذ صورة العبد الخاصة بي.

وكما أن الرب بلبسه الجسد صار إنسانًا
هكذا نحن البشر نتأله بالكلمة باتحادنا به بواسطة جسده
ونحن لهذا نرث الحياة الأبدية" (ص ٦٦-٦٧).

وقبل ذلك، وكأنه يسمع صوت الذين يريدون أن يضعوا الرب والمخلص خارج حياتنا يقول: "أمَّا الآن، فإذ قد صار الكلمة إنسانًا وجعل الأمور الخاصة بالجسد خاصةً به، فلم تعد تلك الأمور تمسك بالجسد بسبب الكلمة الذي جاء في الجسد، فقد انهزمت هذه الأوجاع بواسطته .. ومنذ ذلك الحين .. لم يعد

البشر خطاة وأمواتًا بسبب أوجاعهم بل لقد قاموا بقوة الكلمة، وصاروا غير فاسدين وغير مائتين وأقوياء .. الكلمة نفسه قد وُلِدَ وهو الذي يعطي بداية الوجود للكائنات الأخرى، لكي ينقل بداية تكويننا (نحن البشر) إلى ذاته، ولكي لا نرجع فيما بعد مجرد تراب إلى التراب .. لأننا لم نعد نموت حسب بدايتنا الأولى في آدم، بل بسبب أن بدايتنا وكل ضعفات الجسد قد انتقلت إلى الكلمة فنحن نقوم من الأرض ... (ص ٦٤).

مراهقة فكرية عقائدية:

يقول صاحب هذا الطرح: "إذا كانت النفس قد حُفِظَت، وكان الجسد قد حفظ من الهلاك (الأصح الفساد) بفضل الوحدة الأقنومية (الأصح الاتحاد الأقنومي) مع اللاهوت (الأصح الاتحاد الأقنومي للاهوت والناسوت أو اتحاد أقنوم الله الكلمة بالناسوت) فكيف سمح من الأصل بموت مَن هو جسد الكلمة الخاص؟ هل يموت جسد الحياة؟ ألسنا بهذه الطريقة قد انزلقنا إلى نظريات وهمية وفلسفات بعيدة عن الحقيقة الكيانية؟ هل الأمر تمثيلية تعسفية: تركٌ مؤدٍّ للموت واستدعاء مؤدٍّ للقيامة؟ ألا تبدو القيامة –على هذا النحو– حدثًا تعسفيًا طارئًا، مغيرًا لطبيعة شخص الرب المولود من العذراء؟

في لحظة موت الرب هل ظهر شخص الرب يسوع كشخص انتقالي ينتظر التكميل بالقيامة؟

وهنا نرصد ما فُقِدَ تمامًا من وعي هذا الكاتب، وهو بالتحديد:

١- إن ما قام به الرب لم يكن من أجل ذاته بل لأجلنا.

٢- إن الموت حقيقة كيانية، ولذلك تعذَّر تجديد الإنسان بمجرد كلمة من الله، بل كان من الضروري، وقد قال أثناسيوس نفسه: "صار الموت داخل نسيج الجسد وبوجوده في كيان الجسد صار سائدًا عليه، لذلك كان من الضروري أن تصير الحياة داخل نسيج الجسد أيضًا حتى إذا لبس الجسد الحياة بدل الموت، فإنه يطرح عنه

الفساد". وكأن أثناسيوس قد قرأ فكر صاحب هذا الطرح، فأضاف: "لو افترضنا أن الكلمة قد جاء خارج الجسد وليس فيه، لكان الموت قد هُزِمَ منه (من الكلمة المتجسد) بحسب قانون الطبيعة إذ أن الموت ليس له سلطان على الحياة، ولكن رغم ذلك كان الفساد سيظل باقيًا في الجسد، لهذا السبب كان من الصواب أن يلبس المخلص جسدًا لكي إذ اتحد الجسد بالحياة لا يعود يبقى في الموت كمائت، بل إذ قد لبس عدم الموت، فإنه يقوم ثانيةً ويظل غير مائت فيما بعد، ولأنه كان قد لبس الفساد، فإنه لم يكن ممكنًا أن يقوم ثانيةً ما لم يلبس الحياة ... لذلك لبس الكلمة جسدًا لكي يلاقي الموت في الجسد ويبيده، لأنه كيف كان مستطاعًا البرهنة على أن الرب هو الحياة ما لم يكن قد أحيا ما كان مائتًا ... كلمة الله الذي بدون جسد قد لبس الجسد لكي لا يعود الموت والفساد يُرهب الجسد لأن الجسد قد لبس الحياة كثوب وهكذا أُبيد منه الفساد الذي كان فيه" (تجسد الكلمة فصل ٤٤: ٥ – ٨ ص ١٣٠ – ١٣١ ترجمة د. جوزيف فلتس).

أن يتم تغيير كيان الإنسان في الرب نفسه، هل يمكن أن يوصف بأنه تمثيلية تعسفية؟ هل وصلت الجسارة إلى هذا الحد؟!!

٣- وكيف كان ممكنًا بعد كل الذي اقتبسناه من أثناسيوس الذي يزعم الأخ كاتب هذا الاعتراض أنه دَرَسَه .. كيف كان من الممكن أن يتم تحول الإنسان؟ تحول خارجي، أم تحول كياني يقبل فيه الكلمة المتجسد الولادة – النمو – الموت – الدفن – ثم القيامة لكي نولد نحن وننمو فيه لكي نموت مع المسيح ونغلب معه (رو ٦: ١ – ٨) ولكي نقوم معه وهو مركز الحياة الجديدة..؟

أي مأساة هذه التي حلَّت بنا، أن يتحول الخلاص ومجد الإنسانية في يسوع إلى تمثيلية توصف بأنها تعسفية – تعسف مع من؟ وضد من؟ تعسف مع موت الإنسان الذي يحتاج إلى القيامة؟ أم مع الفساد الذي نشب في حياتنا ويحتاج إلى تجديد.

٤- ولعل ما هو أغرب ما في هذا الطرح هو السؤال: كيف سمح الكلمة لجسده أن يموت؟ وهو سؤالٌ غريب جدًا على مَن درس أثناسيوس؛ لأن ابن الله "أنقص ذاته لأجلنا، لكي بتواضعه نستطيع نحن أن نتقدم وننمو .. تواضعه ليس سوى اتخاذه لجسدنا .. فالتقدم هو للجسد، لهذا ففي تقدمه كان يزداد أيضًا ظهور اللاهوت لأولئك الذين رأوه وكلما كان اللاهوت يُستعلن أكثر فأكثر كلما ازدادت نعمته كإنسان .." (ضد الأريوسيين ٣: ٥٢ ص ٩٣ - ٩٤). ويضيف: "لأنه هكذا بازدياد الجسد في القامة كان يزداد فيه ظهور اللاهوت أيضًا ويظهر للكل أن الجسد هو هيكل الله وأن الله كان في الجسد" (٣: ٥٣ ص ٩٥) فالتقدم هنا هو "للطبيعة البشرية" (٣: ٥٣ ص ٩٥).

لقد كانت "مريم قابلة للموت"، وهي التي "أخذ منها جسده" (٣: ٥٦ ص ٩٩) ولذلك ذاق أوجاع الجسد والموت لكي "يبطل أوجاع الجسد ويحرر الجسد منها" (٣: ٥٦ ص ٩٩).

وعن صلاة الرب في بستان جثيماني "إن أمكن أن تعبر عني هذه الكأس" (متى ٢٦: ٣٩) يقول المعلم الرسولي: "حينما أخذ جسدًا يخاف ولأجل هذا الجسد ربط إرادته الذاتية (الخاصة) بالضعف البشري، لكي بإبادته لهذا الضعف يعطي للإنسان أن يكون شجاعًا أمام الموت .. خوفنا (نحن) ذلك الذي نزعه المخلص، لأنه كما أباد الموت بالموت .. هكذا أيضًا بهذا الذي يُدعى خوفًا نزع خوفنا، وأعطى البشر أن لا يعودوا يخافون الموت فيما بعد" (٣: ٥٧ ص ١٠١).

كيف مات؟

في شرح قول الرب الذي لم ينكر فيه صاحب الاعتراض "لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها" بل "ليس أحد يأخذها مني" (يوحنا ١٠: ١٨) يشرح المعلم السكندري: "له سلطان أن يضع نفسه وأن يأخذها حينما يريد، فهذا أمر لا يخص طبيعة البشر، بل بقوة الكلمة لأن الإنسان لا يموت بسلطانه الخاص بل باضطرار الطبيعة ورغم إرادته، أمَّا الرب فلأنه هو غير مائت ولكن لأنه أخذ جسدًا

مائتًا، فله السلطان كإله أن يفصل النفس عن الجسد، وأن يعيدها أيضًا، حينما يريد، وداود يرتل عن هذا قائلًا: "لا تترك نفسي في الجحيم ولا تدع قدوسك يرى فسادًا" (مزمور ١٩: ١٠) لذلك كان يجب أن الجسد الذي كان قابلًا للفساد أن لا يبقى فيما بعد مائتًا حسب طبيعته الخاصة، بل بسبب الكلمة الذي لبسه يبقى في غير فساد لأنه كما صار هو في جسدنا وشابه الذي لنا، هكذا نحن إذ نقبله، فإننا ننال عدم الموت الذي هو منه" (٣: ٥٧ ص ١٠١ - ١٠٢).

بعد كل هذا، هل يمكن لأي إنسان منا أن يتجاسر متهورًا، ويصف اتحاد الرب بنا في الولادة وفي الموت وفي تحولنا من آدم إلى حياته لكي ننال الأفضل، بأن هذه تمثيلية ..؟ عيب كبير لا يليق، ومراهقة فكرية تحتاج إلى نمو ونضوج؛ لأن الرب شاركنا في كل شيء لكي نشترك نحن في حياته:

"أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له"

(التسبحة السنوية).

تألُّه ناسوت الرب يسوع المسيح[1]

سؤال نسمعه من آنٍ لآخر: ما هو المقصود بالضبط، وعلى وجه الدقة بأن ناسوت الرب يسوع قد تألَّه؟ ما هي مظاهر أو علامات هذا التأله؟ وهل يمكن إثبات هذا من الكتاب المقدس (العهد الجديد)؟

والشطر الأخير من السؤال هو أكثر ما يزعج كاتب هذه السطور؛ لأن الأرثوذكسية تعاني من فيروس أدخله في جسدها قادة عصرنا، وهو أن الكتاب المقدس هو المرجع الأول، وهي فكرة لا أصل لها في تاريخ وكتابات الأرثوذكسية؛ لأن الكتاب المقدس هو أساس التسليم الكنسي، ولكنه لا يؤخذ حسب فكر القارئ أو الباحث، وإنما حسب التسليم الكنسي الذي تقدُّمه الليتورجية؛ لأن صلوات الكنيسة هي نبضات قلبها. ولذلك وعلى الرغم منه، نريد أن نسأل أصحاب هذا السؤال الذين يقدِّمون الشطر الأخير من السؤال عن الكتاب المقدس: كيف تفهمون هذه العبارات التي وردت على فم الرب يسوع المسيح نفسه:

* "اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ، لأَنَّ هذَا اللهُ الآبُ قَدْ خَتَمَهُ" (يوحنا ٦: ٢٧).

* "خُبْزَ اللهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ" (يوحنا ٦: ٣٣).

* "أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ" (يوحنا ٦: ٣٥ – ٦: ٤٨ – ٦: ٥٠).

لقد حاولت الشيِّعُ أن تزيِّف كلام الرب وتدعَّي بأن الرب كان يقصد الإيمان به.

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٥ أغسطس ٢٠١١.

حسنًا. لنسمع كلمات الرب ونسأل:

* هل الإيمان يوصف بأنه خبزٌ؟ هل توجد قرينة واحدة في العهدين تدل على ذلك؟

* هل يجوز لنا أن نقول إن الإيمان "نازلٌ من السماء"، أم أن الذي نزل من السماء هو ابن الله نفسه.

* بعد أن قال الرب: "أنا هو خبز الحياة" وكرر هذه الكلمات، كيف نفهم الضمير "أنا"؟ هل يمكن لشخص أن يقول: "أنا الإيمان"؟ لو قال ذلك لتعذَّر علينا أن نقول إن لنا إيمان. نحن نؤمن والإيمان هو خضوع القلب وقبول الإرادة وهو عمل الله بكل حق فينا، ولكن الإيمان ليس هو شخص المسيح؛ لأننا نؤمن بشخص المسيح، وإيماننا هو ما يتحرك فينا إراديًا ويدفعنا نحو الخضوع والتسليم لشخص المسيح، فهو عمل خاص بنا لم "ينزل من السماء".

* ثم عندما يقول الرب: "أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ"، فهو يقصد شخصه وليس الإيمان، ثم يشرح هو بنفسه هذه الحقيقة: "إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ". ولو توقف يسوع عند هذه الكلمات لوجدنا في افتراض الشيِّع مجالًا، ولكنه أضاف قائلًا: "وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ" (يو ٦: ٥١). وهنا يجب أن نلاحظ:

١- أنا الخبز الحي.

٢- أنا أبذل نفسي.

٣- أنا أعطي هذا الخبز.

٤- هذا الخبز هو جسدي.

وخاتمة هذه الاستعلانات قول الرب: "إن من يأكل هذا الخبز يحيا إلى الأبد" (يو ٦: ٥١، ٦: ٣٣، ٦: ٤٠)، فقد جاء الوعد بالقيامة (يو ٦: ٤٠)، ثم بالحياة الأبدية.

وأخيرًا يقول الرب نفسه: "إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ"، وهي عبارة دالة على تجسده؛ لأن لقب "ابن الإنسان" هو لقبٌ خاص بتجسد الرب، ثم "وَتَشْرَبُوا دَمَهُ"، فهو كلام عن سفك الدم. ولكن علينا أن ندقق في قول الرب: "فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ" (يو ٦: ٥٢). ويضيف الرب نفسه: "مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ" (يو ٦: ٥٥).

وطبعًا سوف يطفو في وعي القراء أصحاب هذا السؤال عن تأليه ناسوت الرب يسوع، سؤالٌ عن ما علاقة هذا الكلام بتأليه ناسوت الرب؟ وهو سؤال سمعته من أساقفة وكهنة عاشوا تحت وطأة تعليم العصر الوسيط. ولكي نجيب عن هذا السؤال، يجب أن نتوقف عند هذه الحقيقة:

هل يمكن أن يعطي جسد ابن الإنسان الحياة الأبدية؟

حسب لاهوت العصر الوسيط المتجذر في الفلسفة اليونانية، الإنسانُ خالدٌ بالطبيعة، له طبيعة خالدة لا تقبل الموت. هذا تعليم شائع. وإذا سألنا عن خلود الطبيعة الإنسانية: كيف يمكن لمن هو خالد أن يموت؟ قالوا لنا إن الجسد هو الذي يموت، أمَّا الروح فهي حية إلى الأبد.

عجيبٌ حقًا أن ينقسم الكيان الإنساني إلى مائت، وخالد. وطبعًا موت الجسد هو الموت الذي يقصده هؤلاء. ولكن لا توجد فقرة واحدة في الكتاب المقدس بعهديه تقول إن الإنسانَ خالدٌ، وإن الموت قاصرٌ على الجسد وحده. صحيح أن الرسول يقول: إن الجسد ميت بسبب الخطية (رو ٨: ١٠)، ولكن هذه العبارة يجب أن تُقرأ مع استعلان الرب يسوع: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي (الآب) فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ" (يو ٥: ١٤)، فالموت يشمل الجسد والروح. لأن الخطية جاءت بالموت إلى العالم (رو ٥: ١٢)، ولاحظ عبارة الرسول: "وَهكَذَا اجْتَازَ (عَبَرَ) الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ" (رو ٥: ١٢)، ومَلَكَ الموت مثل ملكٍ king وعرشُ هذا الملك هو الخطية. "مَلَكَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْمَوْتِ" (رو ٥: ٢١). بل لعل

كلمات الرسول تدق بعنفٍ آذان الذين وقعوا في براثن التعليم اليوناني القديم – القائل بخلود الإنسان بالطبيعة– والذي قبلته الثقافة الإسلامية، إذ يقول الرسول: "وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ" (أف٢: ٥)، وأيضًا: "وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا أَحْيَاكُمْ مَعَهُ" (كول٢: ١٣).

عجيب حقًا، الخطية نابعة من القلب والإرادة والفكر حسب قول الرب نفسه: "لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ: زِنىً، فِسْقٌ، قَتْلٌ، سِرْقَةٌ، طَمَعٌ، خُبْثٌ، مَكْرٌ، عَهَارَةٌ، عَيْنٌ شِرِّيرَةٌ، تَجْدِيفٌ، كِبْرِيَاءُ، جَهْلٌ" (مرقس٧: ٢٢). والعجيب أن الخطية النابعة من الروح تقتل الجسد، دون أن تصيب المصدر ينبوع الخطية، أي القلب والعقل والروح نفسها؟! ولذلك السبب قال الرب يسوع للفريسيين: "تموتون في خطاياكم" (يو٨: ٢١).

الموت ليس هو الفناء؛ لأن الإنسان حسب الطبيعة فانٍ، وهي عبارة المعلم العظيم أثناسيوس (تجسد الكلمة ف ٤)، **لكن الله لم يسمح بالفناء، بل سمح بالموت؛ لأن الإنسان ليس خالدًا،** بل هو تحت الخطية. والموت هو أول ثمار الخطية.

هنا تفترق الطرق:

الطريق الأول: هو طريق الفلسفة اليونانية والثقافة السائدة، وهو ينادي بأن الإنسان خالدٌ بالروح ميتٌ بالجسد. ولذلك، فالتوبة والتجديد قاصران على الأعمال الجسدانية التي ترضي الله من صوم وصلاة ... إلخ

الطريق الثاني: هو تعليم الله نفسه في الكتاب المقدس، والمعلن بواسطة ربنا يسوع المسيح: الإنسان خاضعٌ للموت بالروح والجسد، والمسيح جاء لكي يجدد الروح والجسد معًا. ولذلك، الحياة الأبدية هي لكيان الإنسان كله الجسد والروح. وقيامة الجسد بقوة قيامة المسيح هي قيامة خاصة بالجسد وبالروح أيضًا؛ لأن الروح بدون جسد ليست كيانًا إنسانيًا كاملًا، بل كيانا إنسانيًا مشطورًا، ولذلك، فإعادة الوحدة الإنسانية، أي إقامة الإنسان كاملًا تتم في اليوم الأخير. وهكذا

نلنا عربون القيامة هنا للجسد والروح، ولكن فداء الجسد هو في اليوم الأخير حسب عبارة الرسول بولس: "نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا" (رو ٨: ١٣). ولاحظ أن التبني هو أيضًا خاص بالجسد وليس بالروح وحدها، وهو ما يجعلنا نصل إلى غاية هذه النقطة بالذات: كيف ننال الحياة الأبدية؟

أليست الحياة الأبدية هي إحدى صفات الله؟ أليس الله هو "مَلِكُ الدُّهُورِ الَّذِي لاَ يَفْنَى وَلاَ يُرَى، الإِلهُ الْحَكِيمُ وَحْدَهُ" (١ تيمو١: ١٧). ويقول الرسول عن الرب يسوع الإله الحق: "مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ، الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ ... لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الأَبَدِيَّةُ. آمِينَ" (١ تيمو٦: ١٥). وإلى جوار ذلك، يجيء صوت الكنيسة واضحًا أيضًا: "قدوس الله .... قدوس الذي لا يموت".

هكذا يجب أن نفهم عبارة واضحة: "هبة الله هي حياة أبدية"؛ لأن كلمة هبة χάρισμα هي العطية الحرة. وإلَّا فكيف يهب الله أو يعطي عطيةً موجودةً بالفعل –حسب فكر العصر الوسيط– أي أن يكون الإنسان أبدي غير قابل للموت؟ ولذلك سأل الشاب الغني الرب: "أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟" (مت ١٩: ١٦). ويقول الرب نفسه عن الدهر الآتي إن من قدَّم شيئًا لله "يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ الآنَ فِي هذَا الزَّمَانِ ... وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ" (مر ١٠: ٣٠). وجاء استعلان الرب يسوع بأن من يؤمن به له "حياة أبدية" (يو ٣: ١٥ – ٣: ٣٦). وقال عن عطية الروح القدس إنها سوف تكون ينبوع حياة أبدية (يو ٤: ١٤)، وهو كراعٍ صالح سوف يعطي حياةً أبديةً للخراف التي تتبعه (يو ١٠: ٨). وجاء قانون التلمذة بأن مَن يبغض نفسه في هذا العالم "يحفظها إلى حياة أبدية" (يو ١٢: ٢٦). وإذا عدنا إلى فعل يعطي حياة أبدية لوجدناه يرد في: (رو ٢: ٧ – ٦: ٢٢ – ١ تيمو ١: ١٦ – يو ٥: ٢١). كما أن الدعوة هي للحياة الأبدية: (١ بط ٥: ١٠ – ٢ بط ١: ١١).

محصلة هذا كله هي أن هبة الحياة الأبدية تُعطى في الإفخارستيا، وبالإيمان، بل وبسكنى الروح القدس نفسه الذي يقدِّسنا للحياة الأبدية (رو ٦: ٢٢ – غلا

٦ : ٨). هذه هي شركتنا في ألوهية الابن المتجسد، وهي شركة جاء بها التجسد، وصارت ثابتة بالصليب وبالقيامة؛ لأن الرب يسوع أشركنا في **جسد مجده**، أي جسده الذي مُجِّد بالقيامة بحسب النص الطويل للرسول بولس في (١ كور ١٥: ٤١ - ٥٠)[١]. وقيامة الرب يسوع هي محور هذه الاستعلانات.

لقد كررنا هذا الكلام عدة مرات وفي مناسبات عديدة، ولكن الذي لا يسمع ولا يريد أن يفهم هو تلميذ الثقافة المعاصرة، وليس تلميذًا للرب يسوع. ولاحظ كيف يشبِّه الرسول القيامة بـ"الزرع":

+ يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ،
وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ.

+ يُزْرَعُ فِي ضَعْفٍ،
وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ.

+ يُزْرَعُ جِسْمًا حَيَوَانِيًا،
وَيُقَامُ جِسْمًا رُوحَانِيًا.

+ صَارَ آدَمُ، الإِنْسَانُ الأَوَّلُ، نَفْسًا حَيَّةً،
وَآدَمُ الأَخِيرُ رُوحًا مُحْيِيًا.

+ الإِنْسَانُ الأَوَّلُ مِنَ الأَرْضِ تُرَابِيٌّ.
الإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ.

(١) "مَجْدُ الشَّمْسِ شَيْءٌ، وَمَجْدُ الْقَمَرِ آخرُ، وَمَجْدُ النُّجُومِ آخرُ. لأَنَّ نَجْمًا يَمْتَازُ عَنْ نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ. هكَذَا أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ: يُزْرَعُ فِي فَسَادٍ وَيُقَامُ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي ضَعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ. يُزْرَعُ جِسْمًا حَيَوَانِيًا وَيُقَامُ جِسْمًا رُوحَانِيًا. يُوجَدُ جِسْمٌ حَيَوَانِيٌّ وَيُوجَدُ جِسْمٌ رُوحَانِيٌّ. هكَذَا مَكْتُوبٌ أَيْضًا:«صَارَ آدَمُ، الإِنْسَانُ الأَوَّلُ، نَفْسًا حَيَّةً، وَآدَمُ الأَخِيرُ رُوحًا مُحْيِيًا». لكِنْ لَيْسَ الرُّوحَانِيُّ أَوَّلًا بَلِ الْحَيَوَانِيُّ، وَبَعْدَ ذلِكَ الرُّوحَانِيُّ. الإِنْسَانُ الأَوَّلُ مِنَ الأَرْضِ تُرَابِيٌّ. الإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ. كَمَا هُوَ التُّرَابِيُّ هكَذَا التُّرَابِيُّونَ أَيْضًا، وَكَمَا هُوَ السَّمَاوِيُّ هكَذَا السَّمَاوِيُّونَ أَيْضًا. وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ، سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ. فَأَقُولُ هذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ: إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لاَ يَقْدِرَانِ أَنْ يَرِثَا مَلَكُوتَ اللهِ، وَلاَ يَرِثُ الْفَسَادُ عَدَمَ الْفَسَادِ".

+ وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ،
سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ.

ويختم الرسول التعليم:

فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. لأَنَّ هذَا الْفَاسِدَ لاَبُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ" (١ كور ١٥: ٥٢ – ٥٤).

لقد جاء الموت بإنسانٍ، هو آدم (١كور ١٥: ٢١)، ولكن قيامة الأموات جاءت بإنسان هو آدم الأخير: "لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ" (١ كور ١٥: ٢١ – ٢٢).

السؤال الحاسم الذي لا يمكن لأحدٍ أن يتهرب منه هو: هل المسيح في السماء الجالس عن يمين الآب يحيا الآن حياةً جسدانية مثل حياته قبل القيامة، حياةً قابلةً للموت والشيخوخة؟ لقد مضى على حياة ناسوته ٢٠١١ سنة، فهل هذا ناسوت طبيعي بيولوجي مثل أي إنسان، أم ناسوت يحيا في مجد اللاهوت؟

في عبارة الرسول بولس: "إِنَّ مواطنتنا (سِيرَتَنَا[١]) نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ" (فيلبي ٣: ٢٠ – ٢١).

وهكذا رأى يوحنا الإنجيلي الرب في مجده في الرؤيا، بل علينا أن نفهم هذه العبارات اللاهوتية التي وردت في الأناجيل، وهي كلها تقول إن الرب يسوع أظهر ذاته بعد القيامة:

- ظهر أولًا لمريم المجدلية (مر ١٦: ١٩).
- ظهر بهيئةٍ أخرى (مر ١٦: ١٢).

---

(١) وردت ترجمة هذه الكلمة سيرتنا، وهي ترجمة غامضة.

- ظهر للأحد عشر (مر ١٦: ١٤).
- ومع تلميذي عمواس "أمسكت أعينهما عن معرفته" (لو ٢٤: ١٦).
- أظهر أيضًا يسوع نفسه لتلاميذه (يو ٢١: ١ وما بعده).

لقد أكل الرب يسوع بعد القيامة ليؤكد أنه ليس شبحًا، أو مجرد روح بلا جسد، وهو ما يؤكده الرسول بطرس: "هذَا أَقَامَهُ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَعْطَى أَنْ يَصِيرَ ظَاهِرًا (مُستعلنًا)، لَيْسَ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ، بَلْ لِشُهُودٍ سَبَقَ اللهُ فَانْتَخَبَهُمْ. لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلْنَا وَشَرِبْنَا مَعَهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أع ١٠: ٤٠ - ٤١).

ولاحظ أن اختيار شهود القيامة من الرسل له عدة أسباب، أهمها (في الوقت الحاضر) أن يكون تلميذًا للرب، وتبع التعليم، واستلم الخدمة من الرب يسوع نفسه، وهو ما نلاحظه في التدقيق في اختيار من يخلف يهوذا من "الرِّجَالَ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا مَعَنَا كُلَّ الزَّمَانِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ إِلَيْنَا الرَّبُّ يَسُوعُ وَخَرَجَ" (أع ١: ٢١ - ٢٢).

الجسد الطبيعي البيولوجي هو عودة وثنية للحياة بعد الموت في جنةٍ ملؤها ثمار الأرض واستمرار للحياة الآدمية لآدم الأول، وإلغاء لمحبة آدم الأخير.

أرجو ألَّا نكون قد سقطنا في هوة حياةٍ خالدةٍ أرضية فيها نعيم الأرض وثمار الأرض والزواج ... إلخ هذه صورة تطالعنا في أدبيات ديانات ما قبل المسيح. لكن المسيح هو رأس الجسد، وهو البكر الحي، وهو بداءة حياة جديدة سماوية لا يمكن أن تكون لثمار الأرض أو للدورة البيولوجية: الولادة – النمو – الشيخوخة دورٌ فيها.

عجيبٌ حقًا أن يكون عمر المسيح بحسب التاريخ ٢٠١١ سنة، أمَّا حسب التعليم الإلهي، فهو بلا بداءة أيام ولا نهاية لحياته (عب ٧: ٣). البدء الأزلي دخل في بدء الخليقة الجديدة ورفع الإنسان إلى حياة تبدأ بالله، وغايتها أو منتهاها هو الله. فالمسيح يسوع ربنا هو صورة أو أيقونة الحياة الجديدة التي يشرق فيها الخلود من الألوهة، وعدم الموت من الشركة في الطبيعة الإلهية، وعدم الفساد بالاتحاد بالرب بحلول الروح القدس وبالتناول من جسد مجده (فيلبي ٣: ٢١).

هل يكفي هذا؟ وهل جاءت كراهية تعليم الآباء برد فعل مضاد للتسليم الكنسي، ولأن بعض القادة لا يعرف ما كتبه الآباء، فصار الكتاب المقدس -وهو حسب زعمهم مجال لرأي فردي- هو المرجعية الوحيدة.

صدقني يا من تقرأ هذه السطور أننا بذلك نعتنق المذهب البروتستانتي دون أن نعرف. وحقًّا قال الرب يسوع إن الأعمى الذي يقود أعمى كلاهما -القائد والمقود- يسقطان في حفرةٍ واحدة.

المجد كتعبير عن الألوهة في العهد الجديد

سوف يأتي الرب في مجده في اليوم الأخير (مت ٢٥: ٣١)، وهو ذات مجد الآب (مر ٨: ٣٨)، وهو تعبير عن الملك kingdom ولذلك ظهر الرب بمجد الألوهة على جبل طابور (لو ٩: ٣١ - ٣٢)، وهو مجد الابن الوحيد (يو ١: ١٤)، وقد أعلن الرب مجد ألوهيته في تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل (يو ٢: ١١)، وبالمناسبة فقد كانت أول معجزة في عرس زواج. الابن هو أيضًا إله العهد القديم الذي رأى أشعياء مجده (يو ١٢: ٤١).

المجد سيعطى لنا كنعمة من الله؛ لأن المدعوين لهذه النعمة سبق الله ودعاهم ثم بررهم ثم "هؤلاء مجّدهم" (رو ٨: ٣٠)، ولذلك قال الرب يسوع: "أَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي ... أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ" (يو ١٧: ٢٢ - ٢٤). ولما كان بولس يعرف تعليم الرب، لذا نجده يكرر ذات معاني طلبة الرب يسوع في إنجيل يوحنا ص ١٧ فقال: "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ" (٢ كور ٣: ١٨)، ولاحظ أن التغيُّر في الشكل أو الصورة هو تغيُّرٌ لصورة الرب المجيدة "مجد المسيح" (٢ كور ٤: ٤). المسيح فينا، وهو "غِنَى مَجْدِ هذَا السِّرِّ فِي الأُمَمِ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ" (كو ١: ٢٧).

لاحظ أن الإنجيلي في بشارة الرعاة يقول إن "مجد الرب أضاء حولهم " (لو ٢: ١٠)، وهو ذات المجد الذي ظهر على جبل طابور، حتى أن ثياب الرب يسوع كانت تلمع "بَيْضَاءَ جِدًّا كَالثَّلْجِ، لاَ يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الأَرْضِ أَنْ يُبَيِّضَ مِثْلَ ذلِكَ" (مر ٩: ٣). واستعلان الرب في اليوم الأخير سيكون "بمجد أبيه" (مت ١٦: ٢٧). والاعتراف بألوهية الرب يأتي في ذكصولوجية الصلاة الربانية التي وردت بشكل خاص في إنجيل متى ٦: ١٣؛ لأن الصلوات الآرامية والعبرانية تنتهي بالذكصولوجيات. والملك kingdom والقوة والمجد هي علامات مُلك الله واستعلان ألوهيته. وحلول واستعلان الله في وسط الشعب هو مجد هذا الشعب (لو ٢: ٣٢). ولعل نشيد الصبية في دخول الرب أورشليم يكشف عن صحة ما نذكره "سلام في السماء ومجد في الأعالي" (لو ١٩: ٣٨)؛ لأن المجد في الأعالي هو استعلان ألوهية الرب. "سلام في السماء واستعلان الله كملك"، وهو المقصود بعبارة "مبارك الآتي باسم الرب"، وهي عبارة تُذكر في صلوات القداس مؤكدة استعلان ألوهية يسوع المسيح الذي يجيء باسم = شخص، والرب = يهوه، فهو الآتي لكي يملك؛ لأنه مجد الابن الوحيد الذي له ذات مجد الآب (يو ١: ١٤). ومن لا يطلب مجد الله، أي من لا يعترف ولا يقبل أبوة الآب السماوي هو من لا يعترف بيسوع (يو ٥: ٤١ – ٤٤)، بل أن مرض وموت لعازر هو "لمجد الله" (يو ١١: ٤)، ولذلك يقول الرب نفسه لمرثا: "إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللهِ" (يو ١١: ٤٠)، أي استعلان قوة اللاهوت في إقامة لعازر بعد أن أنتن. وتعبير "إله المجد" (أع ٧: ٥٥)، هو تعبير يؤكد استعلان الله؛ لأن "مجد الله لا يفنى" (رو ١: ٢٣)، أي هو القوة الإلهية، ولذلك السبب يقول الرسول إن الذين يطلبون هذا الاستعلان وهم "بِصَبْرٍ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَطْلُبُونَ الْمَجْدَ (لله) وَالْكَرَامَةَ (الإلهية) وَالْبَقَاءَ، (هؤلاء ينالون ذلك) بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ" (رو ٢: ٧). ومعرفة الإله الحقيقي هي التي يعبر عنها الرسول بـ"مجد الله" (رو ٣: ٢٠)؛ لأن الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم معرفة الله الحقيقية.

شركة ألوهية مجد الرب يسوع

يقول الرب يسوع إننا إذا أخذنا "رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا abba الآبُ». اَلرُّوحُ نَفْسُهُ (ذاته) أَيْضًا يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ ... إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ" (رو ٨: ١٦ – ١٨)؛ ولذلك قيل عن المؤمنين إنهم "آنِيَةِ رَحْمَةٍ قَدْ سَبَقَ فَأَعَدَّهَا لِلْمَجْدِ" (رو ٩: ٢٣). والرب يسوع الذي عُلِّق على عود الصليب هو "رب المجد"، الإله الحقيقي الذي استُعلن مجده في الصليب (١ كور ٢: ٨). ولأننا نلنا صورة الله عندما خلقنا ولأن هذه الصورة جُدِّدت في المسيح، يقول رسول المسيح إن الإنسان هو "صورة مجد الله" (١ كور ١١: ٧)، ولذلك نحن نتغير من صورة إلى صورة، صورة الترابي الآدمي الميت إلى المجد الذي يوهب في المسيح (٢ كو ٣: ١٨)؛ لأننا قبلنا "إنجيل مجد المسيح" (٢ كور ٤: ٦). هذا المجد "يُعطى"؛ لأننا لا نراه لمجرد الفرجة والمشاهدة مثل أي أمر من الأمور الزمنية العابرة، بل نراه لكي نشترك فيه وهو مستعلن من أجل الشركة "لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ، أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ" (أف ٣: ١٦)، هذا الغنى هو ما يطلبه الرسول لكي يملأ الله كل احتياجات الكنيسة "بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. وَللهِ وَأَبِينَا الْمَجْدُ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ. آمِينَ" (فيلبي ٤: ١٩ – ٢٠).

لقد جاء المسيح إلينا الذي هو "بهاء مجد الله" (عب ١: ٣)، وهو الذي سوف يأتي بأبناء كثيرين إلى عطية التبني (عب ٢: ٩ – ١٠). لقد قام الرب بمجد الآب (فيلبي ٢: ٦)، ونحن الذين نؤمن بمجد قيامة الرب ننال شركة في هذا المجد؛ لأن الروح القدس سوف يقيم أجسادنا كما أقام ناسوت الرب (رو ٨: ١١). وبهذه القيامة وشركتنا التي دعينا إليها بالتبرير هي شركة مجد المسيح (رو ٨: ٣٠)؛ لأن الذي مات عنا سوف يعطي لنا "**الآب ومعه كل شيء**" (رو ٨: ٣٢). ورغم اعتراض الأنبا شنودة الثالث على عبارة "كل شيء"، إلَّا أنها وردت في العهد الجديد نفسه. فحسب النص اليوناني لدينا كلمة ἄπας وقد وردت عدة مرات مثل متى ٦: ٣٢ والأكثر استعمالًا كلمة ὅλος مثل متى ٢٢: ٤٠ أمَّا

كلمة πάς فقد استُعملت حوالي ٣٠٠ مرة، وهي التي وردت في رو ٨: ٣٢. وعندما يقول الرسول "كل إنسان"، فهو يقصد كل البشر. وكذلك "كل ملء الله" (أف ٣: ١٩) – ولنا عودة إلى تعبير "كل"، لكن تبقى القضية الأكبر التي لا بد من إدارة حوار شامل عنها، وهي هل شركتنا في يسوع المسيح ابن الله المتجسد هي شركة محدودة، أم هي شركة المحبة الفائقة التي تعلو على كل أبعاد الإدراك، أي: "العرض والطول والعمق والعلو"؟ (أف ٣: ١٨)، التي يطلب الرسول أن نكون "متأسسين في المحبة"، ونعرف "محبة المسيح الفائقة المعرفة" (أف ٣: ١٨)؛ لكي "تمتلئ إلى كل ملء الله"، ذلك الملء المعلَن في يسوع المملوء نعمة (يو ١: ١٤). هذا الملء هو ما يريد جيل ثقافة الفصل والتغريب (من الاغتراب) أن يطمسوا معالمه وأن يحاربوه لكي يبقوا هم القوة التي تسود الكنيسة، وليس الرب يسوع المسيح نفسه.

تألُّه ناسوت الرب يسوع حسب العهد الجديد

تُرى بعد هذه الرحلة القصيرة مع العهد الجديد، هل يمكن فصل ألوهية الرب عن ناسوته؟ هذا الناسوت الذي لما لمسته المرأة نازفة الدم شُفِيّت، ولما تفل على الأرض وصنع طينًا وضعه على عيني الأعمى شفيت (لاحظ تعبير الإنجيل: "طلى بالطين" (يو ٩: ١٦)، أي غطَّى بالطين عيني الأعمى، ولم يكن مجرد قطعة صغيرة وضعت على عيني الأعمى، بل هو مثل دهن كامل).

لقد سمعنا ملايين المرات عبارة: "دم يسوع"، وهي عبارة إنجيلية (نسبةً إلى الإنجيل) وبالرغم من ذلك لم نسأل ما هي قوة هذا الدم؟

١- هو دم العهد الجديد (مت ٢٦: ٢٨)، ولكن لاحظ أنه ليس عهدًا مؤقتًا خاصًا بالزمان الحاضر وحده، وإنما هو دم العهد الأبدي (عب ١٣: ٢٠)، هو دم عهد القيامة حسب تعبير الرسول نفسه: "ولكن الذي أقام يسوع بدم العهد الأبدي"، فهو الراعي الصالح الذي يبذل حياته، أي دمه.

وقد جرى تزييفٌ عن جهلٍ مؤداه أن الدم نزف على الصليب، وأنه يستمد

قوته من هذا، ولكن وبكل أسفٍ، هذه قطعة من رغيف كبير اسمه **الحياة** التي قُدِّمَت، **الشخص الإلهي** الذي قدَّم ذاته وبذلها لأجلنا، ولذلك يقول رسول الرب: "صانعًا سلامًا بدم صليبه" (كو ١: ٢٠)، فالدم الذي صنع السلام الأبدي هو دم العهد الأبدي، الدم الذي تبرر به الخطاة ونالوا القبول الأبدي (رو ٥: ٩).

٢- هذا الدم لنا شركة فيه حسب عبارة رسول الرب نفسه: "كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا، أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟" (١ كور ١٠: ١٦). هو دم الفداء (أف ١: ٧)، وبه، أي بهذا الدم، أي **بالحياة** التي بُذلت، صار لنا مع الكل، نحن الذين كنا قبلًا "بعيدين صرنا قريبين بدم المسيح" (أف ٢: ١٣)، ولم يقف الرسول عند هذه العبارة، وكأنه رأى بروح النبوة تزييف التعليم، فقال: "لأنه هو سلامنا" (أف ٢: ١٤)، والضمير "**هو**" عائد على الشخص وليس على مجرد سفك الدم.

٣- وبالمقارنة بدم ذبائح العهد القديم الذي كان يطهِّر الجسد، يقول الرسول: "فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ للهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَال مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ" (عب ٩: ١٤)؛ لأن هذا التطهير هو عمل اللاهوت الذي بذل لأجلنا حياته الخاصة به، وهو العمل الدائم الذي قُدِّمَ واستُعلِن في الناسوت، (وهنا أحذِّر الأخوة الكذبة من نقل هذه العبارة مبتورة؛ لأنني أعرف "مكر الحية")، فكل استعلانات ألوهية الرب تمت في جسده، أي في حياته، في ميلاده ومعموديته وانتصاره في البرية ثم بموته ودفنه وقيامته وصعوده. ولاحظ: الولادة في بيت لحم – المعمودية في الأردن – الصلب على الجلجثة – الدفن في القبر – القيامة في اليوم الثالث – الصعود إلى السموات، هذه كلها استعلانات تمت بناسوت الرب ومن خلال حياته المتجسدة، أي الإلهية المتأنسة.

إن كل الأعمال الإلهية تمت في الجسد، وبواسطة الجسد والدم، أي في يسوع الإله المتأنس؛ لأنه هو الذي جاء "بالماء والدم". ولم يُقسِّمك يا يسوع تلميذك الذي قال: "الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا،

مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ" (١ يو ١: ١)، فقد رآه بالعينين، ولمسته اليدين، لكنه رأى ولمس "الحياة"، فيسوع قد "أتي بماء ودم" (١ يو ٥: ٦)، وهي شهادة يسوع وشهادة الروح القدس، وهي شهادة الآب عن ابنه (١ يو ٥: ١٠). ولعل القارئ الذي لا يزال لديه إيمان **بيسوع المسيح كله**، يسمع هذه الشهادة: "أَنَّ اللهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ" (١ يو ٥: ١١)، فهل كان الدم والماء والروح والحياة الأبدية مجرد عناصر متباعدة تفصل بينها الحروف والكلمات ونظريات العقل الماهر في التقسيم؟!

تألُّه ناسوت بطرس الذي أنكر الرب يسوع

حقًا قال الإنجيلي: "كَانُوا يَحْمِلُونَ الْمَرْضَى خَارِجًا فِي الشَّوَارِعِ وَيَضَعُونَهُمْ عَلَى فُرُشٍ وَأَسِرَّةٍ، حَتَّى إِذَا جَاءَ بُطْرُسُ يُخَيِّمُ وَلَوْ ظِلُّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ... وَكَانُوا يُبْرَأُونَ جَمِيعُهُمْ" (أع ٥: ١٥ - ١٦). لقد امتلأ رسول الرب بالروح القدس، وتألَّه ناسوت الرسول، أي صارت فيه قوة اللاهوت. وهل يشفي ظل إنسان؟ وهل تشفي مناديل وعصائب؟ أليست هذه هي قوة الشركة في المسيح التي صارت تتجلى في حياة هؤلاء الذين امتلأوا من الروح القدس، وتجلى هؤلاء مثل سيدهم لكي ترى البشرية كيف يُستعلَن "مجد" اللاهوت في البشر.

الإفخارستيا وتألُّه ناسوت الرب يسوع

إن تألُّه ناسوت الرب يسوع يعد صدمةٌ كبرى لمن لا يفهم سر الإفخارستيا.

تُرى من الذي استلم من الشيوخ "تسليم السر المجيد"؟ ونقصد على وجه التحديد استعلان سر المسيح في الوليمة السماوية، أي ظهور الرب يسوع الذي تؤكده صلاة استدعاء الروح القدس في طقسنا القبطي الأرثوذكسي، حيث ينقل الروح القدس الخبز والخمر ويحولهما إلى جسد الرب ودمه، و"يظهرها قدسًا لقديسيك"؛ لأن الفعل "يُظهر" هو ذات الفعل الخاص بظهور الرب بعد القيامة واستعلانه حيًا للتلاميذ.

وجديرٌ بالذكر أنه حيثما تذكر الصلوات "الجسد المحيي"، وهو تعبير فخم، فإن ذلك يعني أن هذه الصلوات لا تؤكد فقط قيامة الرب والمخلص، بل تعني أنه هو ذاته الرب يسوع الذي يهب الحياة لكل من يتناوله. يؤكد ذلك صلاة قبل التناول: "يا رئيس الحياة وملك الدهور كلمة الله الآب ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، الخبز الحقيقي الذي نزل من السماء، واهب الحياة لمن يتناوله" (يو ٦: ٣٣، ٤٨، ٥٨)، وهو ما تؤكده أيضًا صلاة بعد التناول: "فمُنا امتلأ فرحًا ولساننا تهليلًا من جهة تناولنا من أسرارك الإلهية غير المائتة".

ولأننا دخلنا الوليمة السماوية، واشتركنا في الأسرار الواهبة الحياة، فإن الرب يسوع – حسب آخر الصلوات: "عبيدك يا رب ... حِل فيهم وسِر بينهم" – هو بيننا بحلول الروح القدس علينا وعلى القرابين؛ لأننا نتحول في الإفخارستيا كما تحولنا في المعمودية من العبودية إلى البنوة، نتحول إلى ذات شكل المسيح الحي القائم من بين الأموات، وذلك كما تقول صلاة الخضوع للآب قبل التناول في القداس الكيرلسي: "يا الله الذي أحبنا هكذا وأنعم علينا برتبة البنوة ... طهِّر إنساننا الداخلي ⲉⲧⲥⲁϫⲟⲩⲛ كطُهر ابنك الوحيد، إذ نصير شركاء في الجسد وشركاء في الشكل وشركاء في خلافة مسيحك".

هذه النقلة إلى المجال الإلهي هي التي ترفعنا إلى فوق حيث "قلوبنا عند الرب"؛ لأن السر يبدأ بـ: "مجدًا وإكرامًا، إكرامًا ومجدًا للثالوث القدوس"، وهذا المجد هو استعلان ألوهية الرب، واستعلان تألُّه ناسوته الذي يعطى في الإفخارستيا حاملًا فيه اللاهوت؛ لأن المسيح "غير منقسم من بعد الاتحاد إلى طبيعتين".

أولًا: طعام لا ينفذ.

هل توقف هؤلاء عند السؤال الجريء: لماذا لا ينفذ جسد الرب، إن كان ناسوتًا فقط؟ ولكن الخبز الحي النازل من فوق من عند الآب هو الخبز الواهب الحياة، أي أنه غير خاضع للموت؛ لأنه يحمل قوة حياة اللاهوت، وهو يعطي هذه القوة لمن يأكله.

ثانيًا: جسدٌ لا ينقسم.
نقلت الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية التسليم الكنسي الذي عبَّر عنه القديس كيرلس السكندري الكبير: "يُقسَّم ولا ينقسم، ويوزَّع ولا ينفذ، بل يقدِّس المتناولين"؛ لأن الانقسام والتقسيم هو خبرة الموت، هو عمل الفساد، أمَّا يسوع فهو يُعطى كله لكل متناول.

ثالثًا: طعام الخلود وترياق عدم الموت.
والعبارة للقديس أغناطيوس الأنطاكي. ومع كنيسة الرسل يقول كل من يؤمن: "جسد ودم عمانوئيل إلهنا. هذا هو بالحقيقة آمين". إنه جسد الإله، الواهب الحياة الأبدية.

رابعًا: هبة القيامة من الأموات.
وما أكثر ما تقوله الليتورجيات الأرثوذكسية: القبطية واليونانية والسريانية والأرمينية عن الإفخارستيا هبة القيامة والشفاء والحياة الأبدية.

ماذا يريد المعاندون من الإكليروس؟

١- هل يريدون يسوع ابن الإنسان الذي عاش كإنسان ومات وقام كإنسان لكي يكون عمله -فقط- إنسانيًا؟ وهذا هو لُب هرطقة نسطور!

٢- هل يدافعون عن التقسيم لكي يبقى ملكوت الرب ملكوتًا أرضيًا؟ لأننا إن لم نشترك في حياة الله، تعذَّر علينا أن نحيا بدون الشركة في اللاهوت إلى الأبد، وهذه هي دعوة الإسلام!

٣- هل -عن جهلٍ- يقاومون تألُّه ناسوت الرب خوفًا من الشِّرك، كما قال أحدهم؟ حسنًا، وهل أنت يا مَن تخاف الشِّرك، هل تريد يسوع النبي، أو ابن الله الذي احتاج إلى الولادة والمسحة والموت والقيامة، أم نحتاج فعلًا إلى مَن فعل هذا لأجلنا لكي ننال فيه وبه حياة عدم الموت التي تعطى بالشركة في حياته؟

٤- يا من تفصلون الناسوت عن لاهوت الرب يسوع، هل سألتم أنفسكم كيف تتَّحدون بالرب يسوع؟ وهل اتحادكم به هو اتحاد أدبي كما قال واحدٌ منهم، أي مجرد تشبُّه بالسلوك الاخلاقي الإرادي؟ فكيف قال الرب: "أنا هو القيامة والحياة"، وكل من يتشبه بي أخلاقيًا سيقوم في اليوم الأخير بدوني.

غفر الله لكل من يجهل، وأنار عقل كل من يسأل، وسكب نار محبته الإلهية في قلب كل مشتاق لأن يعرف ويطلب الرب يسوع.

ضياع الهوية[1]

ماذا يعني إسقاط علاقة الثالوث بالإنسانية في الابن والروح القدس؟

على موقعه الرسمي -وبالمناسبة لا يزال يحتفظ بلقب "سكرتير المجمع المقدس"، رغم وجود نيافة الأنبا روفائيل، فهو يهوى جمع الألقاب: الرجل الثاني - اللاهوتي الأول - الرجل الحديدي، وألقاب أخرى لا يصدقها إلَّا ضعاف العقول- يقول الأنبا بيشوي أن أحد أخطاء جورج بباوي هو: "الادعاء بأن البشر أقانيم لهم طبيعة واحدة مثل أقانيم الثالوث".

وطبعًا في عصر فقدان الهوية وسيادة الجهل بالتسليم الكنسي -بناءً على ذلك- سوف يصرخ الصغار والرعاع: ياه إحنا أقانيم ... أمعقولٌ هذا الكلام؟!!!

ما الذي ضاع من الهوية؟

أولًا: أسقطت اللغة المعاصرة تعبير "إخوة الرب" على الفقراء والمعوزين فقط. تسمع هذا اللقب الآن يقال في الكنائس بلا تمييز، في حين أن الرب نفسه هو الذي استخدم هذه العلاقة الحميمة في بشارة القيامة؛ إذ يقول لمريم المجدلية: "اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم ..." (يو ٢٠: ١٧)، وصار الرب هو "البكر بين إخوةٍ كثيرين" (رو ٨: ٢٩)، فهو الأخ البكر الذي لا يجاهر أحدٌ بإخوَّته لنا لأننا أفرزناه بعيدًا وملأنا الفراغ الذي تركه بأشخاصٍ هم بشرٌ مثلنا.

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٦ نوفمبر ٢٠١٣.

والأخوَّة تعبير متواتر عند رسول المسيح بولس: (رو ١: ١٣ – ٧: ١ – ٨: ١٢ – ٩: ٣ – ١١: ٢٥ – ١٤: ١٠ – ١ كـــور ١: ١ – ١: ١٠ – ١: ٢٦ – ٢: ١ – ٣: ١ – ٤: ٦ – ٥: ١١ – ٦: ٦ – ٧: ١٢).

وإذا اخترنا اقتباسًا واحدًا من كل الرسائل لوجدنا: (٢ كور ١: ١– غلا ١: ٢ – أف ٦: ٢١ – في ١: ١٢ –كولو ١: ١ – ١ تسا ١: ٤ – ٢ تسا ١: ٣ – ١ تيمو ٤: ٦ – ٢ تيمو ٤: ٢١ – فل ١).

وفي باقي أسفار العهد الجديد: (عب ٢: ١١ – ٢: ١٢ – ٢: ١٧ – ٣: ١ – ٣: ١٢١ – ٧: ٥ – ٨: ١١ – ١٠: ١٩ – ١٣: ٢٢، ٢٣ – يع ١: ٢ – ١: ٩ – ١: ١٦ – ١: ١٩ – ٢: ١ – ٢: ٥ – ٢: ١٢ – ٢: ١٥ – ٣: ١ – ٣: ١٠ – ٣: ١٢ – ٤: ١١)، وباقي الأسفار: (١ بط ٥: ١٢ – ٢ بط ١: ١٠ – ١ يو ٢: ٩ – ٢: ١٠ – ٢: ١١ ... إلخ).

المسيح البِكر بين إخوة كثيرين (رو ٨: ٢٩)

جاء التجسد بهذه الحقيقة الجديدة التي أعثرت الأريوسيين وحدهم. هؤلاء الهراطقة بكل ما تحمله الكلمة من عداء لشخص الرب قالوا إنها تعني أن الرب مخلوقٌ، ولكن تنازُل الرب ابن الله وتجسده هو الذي جعل الأسفار تُطلق عليه لقب "البِكر"، ولذلك يقول أثناسيوس العظيم: "سُميَ بكرًا بسبب التنازُل للخليقة وصيرورته أخًا لكثيرين" (ضد أريوس ٢: ٦٢، راجع الترجمة العربية ص ٩٨). وفي فقرةٍ تشبه النشيد وذات إيقاع لاهوتي خاص في الرسالة إلى الوثنيين يقول أثناسيوس ثالث عشر الرسل بكل حق عن الآب:

"هو صالحٌ ويسود على الخليقةِ ... ويبقى الكون كله بواسطة الكلمة الذي هو الله نفسه لكي تستنير به الخليقة وتحت قيادته وترتيبها بواسطة الكلمة، تبقى الخليقة ثابتة لأنها تشترك في الكلمة الذي من

الآب والتي أُعينت بواسطة الكلمة لكي تبقى في الوجود حتى لا تعاني، ما يمكن أن يحدث لها أن تسقط في عدم الوجود إن لم يحفظها الكلمة؛ لأنه هو "صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة ..." (كولوسي ١: ١٥ - ١٦)" (فصل ٤١، راجع النص اليوناني ١١٤ طبعة جامعة أكسفورد - راجع أيضًا الترجمة العربية الجديدة التي أنجزها د. جوزيف فلتس، ونشرها مركز الآباء بالقاهرة ٢٠١٣، ص ١٣٢ - ١٣٣).

ولذلك يحمل اللقب عدة معانٍ، ولكن المعنى الأول هو ألوهية الكلمة، والمعنى الثاني هو تجسده؛ لأن تجسده لا يحقق لنا شيئًا بدون ألوهية الكلمة. ومن خلال هذا الاقتباس يظهر لنا أن الكلمة تجسد لكي يعطي الخليقة:

* البقاء في الوجود.

* إن تدبير التجسد جعل الابن "البكر"؛ لأنه جاء لكي يؤسِّس بقاء الخليقة (راجع أثناسيوس De Decretis - غريغوريوس النيصي: ضد أنوميوس ١: ٥٧٣ - هيلاري: الثالوث ٨: ٤٩ - ٥٠ - ذهبي الفم: عظة على كولوسي ٣: ٢ مجلد ٦٢ عامود ٣١٨ - ٣٢٠).

لماذا سقطت أخوَّة المسيح الرب لنا؟

جاء هذا بسبب توالي عصورٍ تغيَّرت فيها لغة الكنسية ثلاث مرات من اليونانية إلى القبطية، ومن القبطية إلى العربية، ثلاث لغات لا يوجد بينهم صلة. وجاء عصر تدمير التراث في غزوة الفرس لمصر، وتلاه الفتح العربي، ثم عصر قهر لكل شعب مصر وليس للأقباط فقط في ظل الحكم الأموي - العباسي - المماليك - الأتراك العثمانيين، ولم تعرف مصر الاستقرار إلَّا في عصر محمد على مؤسس مصر الحديثة، ومع هذا جاء الاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢ ثم الحروب المتوالية ١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ١٩٦٧ - ١٩٧٣، تلك الحروب التي كانت لها آثار سلبية على حياة مصر وعلى كنيسة مصر؟

وانقطعت الصلة بالتراث بسبب تغيُّر اللغة.

طبعًا سبق ذلك انقسامٌ مخيف في ٤٥١ م حوصرت فيه الكنيسة المصرية حصارًا نفسيًا بإطلاق لقب "أصحاب الطبيعة الواحدة" (المونوفيزيين) الذي لا يزال يطاردنا في الكتب الحديثة حتى تاريخ كتابة هذه السطور. وحصار عقائدي بالكتابات اللاهوتية ضد كنيسة مصر، وبأقلام المشاهير مثل يوحنا الدمشقي، ثم الهجوم الشرس للإرساليات الإنجيلية والكاثوليكية ابتداءً من القرن الثامن عشر ....

ودارت معارك كبيرة في الكتب والمقالات لا سيما في القرن التاسع عشر والعشرين، ولا تزال دائرة حتى الآن. ولعل أخطر هذه المعارك هو معركة تدمير الكنيسة القبطية من الداخل بأكبر حركة تبشير يقودها د. القس سامح موريس، ويشترك معه -بكل أسفٍ - بعض أساقفة عن جهلٍ وتعنُّت؛ لأنهم بالهجوم على ما يزيد عن ١٥٠ كتاب للأب متى المسكين، هي الكتب الوحيدة التي تستحق القراءة، بجانب ما صدر من مركز الآباء المتهم الثاني بأنه يتبع الأب متى المسكين، ثم الهجوم على كاتب هذه السطور "الذي يدير الكنيسة" حسب زعم الأنبا بيشوي، لا يجد الشباب القبطي سوى الهجرة الصامتة. ولعل سكرتير المجمع المقدس خلال ٢٢ عامًا لم يحاول القيام حتى بإحصائية عن عدد الشباب الذي هجر الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في صمتٍ مطبق، وترك الصراعات حول المواهب والأقنوم، وتناول ناسوت المسيح لا لاهوته، ثم العظات السيئة التي تدور على الحلال والحرام، لا حول الخير والشر (الفرق كبير جدًا).

وقد قدَّر أحد الباحثين من الكاثوليك أن عدد الشباب الذي يترك الكنيسة القبطية كل سنة يقارب ٢٠٠٠ شخص ينضم إلى الكنيسة الإنجيلية، وأن حركة الهجرة تكاد تكون محصورة في المدن الكبرى القاهرة والإسكندرية، وإن كانت قليلة في القرى ومراكز الوجه القبلي.

لقد تجمعت كل هذه العوامل لتنال من الخلقة الجديدة التي جاء بها "البكر"،

وأصبح الحديث عن الأخ البكر بمثابة هرطقة، أو موضوعًا يثير ردة فعل تنال من تدبير تجسد الرب نفسه.

أذكر أنني كنت في زيارة لأحد أديرة وادي النطرون، وجاء أب راهب ليأخذ البركة بعد القداس، وقال للأب الكاهن الذي أعطاه نصيبًا كبيرًا من القربان: "كتَّر خيرك يا ابن الله"، فانزعج الأب الكاهن، وقال للراهب: "أنا لا أحب الهزار، لأن الهزار موش في هذه الأمور". فقال الراهب: "إذا كنت أنت موش ابن الله، واقف ليه عند مذبح رب القوات؟". وهنا جاء أحد المتوحِّدين وهمس في أذن الراهب، فانصرف من الكنيسة، وقبل أن يخطو برجله عتبة باب الكنيسة قال له المتوحِّد: "إن هذه اللغة وهذه المفردات والألقاب قد غابت من الوعي، نحن حقًا أولاد الله، وهذه هي هوية الخلقة الجديدة، لكن أبونا من الطقس القديم، موش عارف كده. فقال الراهب: "لكن أنا أقدم منه في الرهبنة، ولمَّا أنادي على أي راهب أقول له يا أخ، وأحيانا يا أخو الرب، يا ابن الله".

هنا ظهرت الحقيقة. نحن نخاف من النعمة، ولذلك أصبح شغل البعض الشاغل هو تجريد النعمة وحصار المسيح في مكانه ليبقى هو وحده ابن الله، ونخسر نحن بنوتنا لله ولا تبقى هذه البنوة في الهوية الكنسية طبقًا لإعلان الإنجيل: "أما كل الذين قبلوه أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أبناء الله، أي المؤمنون باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله ولدوا" (يو ١: ١١ – ١٢).

ولذلك لم يقبل الأنبا شنودة الثالث هذه البنوة، واعتبرها مجرد انتساب شرفي، فهي ليست شركة في بنوة الابن، خوفًا من الشركة في الطبيعة الإلهية؛ لأن هذه الشركة تحدد السلطان، بل تجعل من هذا السلطان خادمًا لا سيدًا.

الأقنوم والشخص

هل لنا طبيعة واحدة؟ نعم. ولكن ماذا يقصد الأنبا بيشوي بعبارة "مثل طبيعة الثالوث الذي له طبيعة واحدة؟". لا أدري من أين أتى بهذه الفكرة التي ليس لها وجود في أي مقال أو كتاب نُشر. أما تزوير الشرائط، فهذا اختصاصه الذي تفوق فيه على كثيرين.

"الأقنوم" ليست كلمة عربية، بل هي سريانية الأصل. والأقنوم عربيًا، والترجمة عائدة إلى اللغات الأوربية، واللاتينية، ثم الإنجليزية هي "الشخص".

والسؤال: هل نحن أشخاص؟

طبعًا عندما يتم احتجاز كلمة "أقنوم" للثالوث وحده -عن جهلٍ- يتم تدمير:

١- الإنسان صورة الله ومثاله (تك ١: ٢٦).

٢- إعادة الصورة في المسيح إلى مجد لم يكن لها في آدم الذي نشترك معه في طبيعة واحدة حسب عبارة الرسول: "في آدم يموت الجميع" (١كور ١٥: ٢٢). ويبدو أن المطران لم يدرس رو ٥: ١٢ - ٢١، وبالذات ٥: ١٢ "اجتاز الموت إلى جميع الناس ..."، "بخطية واحد مات الكثيرون ...."، "صار الحكم إلى جميع الناس ...".

هكذا لا بُد من البحث عن خطأ، فإن لم يجد، إذن لا بُد من اختراعه كذبًا حتى يلصقه بالعدو اللدود جورج بباوي.

٣- ولكن المسيح فينا، هو حتمًا أقنوم متجسد، فهل هو فينا، أم أنه ساكن في حيوانات أو كائنات مادية، أو آلات؟ أوَلسنا -حسب تعليم الرب نفسه- هو الكرمة ونحن الأغصان (يو ١٥: ٥)، وهو الجسد الواحد، ونحن أعضاء هذا الجسد، فكيف صار الرب رأسًا لجسد واحد منه تولد كل الأعضاء -حسب قول الرسول- ولا تولد هذه الأعضاء أشخاصًا، بل شيءٌ آخر، ولا يكون هو "بكرًا بين إخوةٍ كثيرين"؟

٤- وأنا أعذر المطران لأنه لم يدرس اللاهوت حتى في الكلية الإكليريكية، ولعله -وهو لم يكتب إلَّا قليلًا- لم يسمع ولم يقرأ عن تأقنم طبيعة الرب الإنسانية بسبب اتحادها بألوهية المخلص، وهو ما يُعرف باسم *en - hypostasis* فقد جاءت النسطورية لتقول بأن المسيح إنسانٌ له أقنوم متصل بأقنوم الكلمة، فهو أقنوم آخر، أي لدينا أقنومين: الابن كإله، والمسيح كإنسان، ولذلك جاء التعليم بأن الطبيعة الإنسانية في المسيح ليست أقنومًا *an - hypostasis* بل هي طبيعة تتأقنم بالاتحاد بأقنوم الله الكلمة، ولذلك هي *en - hypostasis* وهذا التأقنم بالاتحاد هو مصير كل مسيحي يصبح متأقنمًا كإنسان بسبب اتحاده بالرب. وأتمنى أن ينكر المطران هذا لكي نحاكمه أمام القديس كيرلس الكبير، فهو -أي المطران- لم يدرس المقالات الخمس ضد نسطور، ولم يدرس المقالات الأربع ضد أريوس، ولا قرأ المسيح واحد للكبير كيرلس بطريرك الإسكندرية.

ونكتفي هنا بعبارات رسول رب المجد، إذ يقول إن المسيح مات وقام لكي بموته تموت الإنسانية كلها حسب تعبير القديس أثناسيوس: "إننا قد متنا جميعًا في المسيح" (الرد على الأريوسيين ١: ٤١)، ولكن المطران اعتنق عقيدة الفداء والكفارة حسب لاهوت الكنيسة الإنجيلية، ومقتضاها أن المسيح مات على الصليب لكي يقدِّم فدية ويدفع ثمنًا للآب، ولذلك لا يمكن لأحدٍ أن يشترك مع المسيح في الصليب. ولذلك فهو يعتقد -خطأً- مثل كل الإنجيليين أن موت المسيح قاصرٌ عليه هو وحده، وهو ما يسجله بقلمه في كتابه، إذ يكتب كأي إنجيلي: "إذا كنا قد صُلبنا مع المسيح في يوم الصلب بحيث لم يُصلب عنا بل بنا -كما يقول البعض- فهل نُصلب معه مرةً ثانية في المعمودية أم لا؟" (ص ٤٣). فكيف أجاب المطران: "نحن ننال شركة الموت مع المسيح في المعمودية. وفي قوله (بولس) "صرنا متحدين معه" يدل على أن هذا شيء قد حدث وقت العماد ولم يكن حادثًا من قبل، وإلا فما معنى الصيرورة هنا (من كلمة صرنا)، إننا نحذِّر من هذا التعليم الغريب والخطير الذي يهدم عقيدة الفداء ..." (ص ٤٤).

عقيدة الفداء التي ينادي بها المطران هي ما تعلَّمه من كتاب اللاهوت النظامي

الخاص بالكنيسة الإنجيلية، وهنا لا يوجد فرق جوهري بين الأنبا بيشوي والقس د. سامح موريس، ولأن كلاهما يظن أن كل شيء تم يوم الجمعة، يوم الصلبوت لأن الصليب والمصلوب -عندهما- هو حدث وليس شخصًا، هو حدث تاريخي ينتهي، وهو ما يعني أن بولس أيضًا كان قد اعتنق ذلك التعليم الغريب والخطير الذي يهدم عقيدة الفداء عندما كتب بعد موت الرب على الصليب: "مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ" (غلا ٢: ٢٠)، وكان أثناسيوس العظيم حقًا لا يعرف التعليم الصحيح ويهدم عقيدة الفداء! ولكن المسيح الرب جاء لكي يهدم الموت الذي يخص الإنسان، وقد هدم الموت في جسده أولًا، ولذلك مات وأبطل الموت، "أما القيامة وتمجيد (الإنسانية) فإنهما يدومان فينا بالضرورة بسببه" (ضد الأريوسيين ١: ٤٥). فقد أخذ ما هو مائت لأن الرب "قد صار إنسانًا لكي يصوغنا (يُعيد تكويننا) نحن المائتين والزمانيين ويجعلنا غير مائتين" (ضد الأريوسيين ١: ٤٨)، ولذلك هو كشخص "كنا نحن الذين اعتمدنا فيه"، وهو كشخص كنا نحن الذين مُسحنا فيه لأن ذلك الشخص أو الأقنوم المتجسد له حضور جسدي دائم" (ضد الأريوسيين ١: ٤٨ - ٤٩).

ولأن جوهر الخلاص في الأرثوذكسية هو اتحادنا بالثالوث في الابن بالروح القدس، يكتب أثناسيوس: "لأن الذين يخلقهم يتحدون به ويكون هو فيهم مثلما يكونون هم فيه" (المرجع السابق ٢: ٥٥). ولأن الخلاص هو عمل شخصي وليس مجرد حدث تاريخي فقط، بل يسوع المصلوب الذي مات مرةً واحدة جعل موته الواحد على الصليب هو قوة حياة وتحرير الجسد، وليس ثمنًا يُدفع للآب - حسب اعتقاد الإنجيليين والأنبا بيشوي- ولذلك يكتب أثناسيوس العظيم: "فإن جسده (الرب يسوع) كان هو أول ما تم تخليصه وتحريره، إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة ذاته. وهكذا، إذ قد صرنا متحدين بجسده قد خلصنا على مثال جسده ...، فإنه هو الأول الذي قام كإنسان، إذ قد أقام جسده من أجلنا ... هكذا نحن أيضًا نقوم من بين الأموات **فيه وبه**" (المرجع السابق ٢: ٦١).

إنكار شركتنا في المسيح في موته وقيامته

هكذا يشرح غريغوريوس اللاهوتي تدبير الخلاص:

"لنحتفل بالميلاد لأنه حررك من قيود ميلادك.
أكرم قرية بيت لحم الصغيرة لأنها أعادتك للفردوس.
أحترم المذود لأنك الذي غاب عنك عقلك الآن تتغذى بالكلمة"
(المقالة ٧: مجلد ٣٥: ٧٨٥).

ثم

"أخيرًا يجب أن تصلب مع المسيح وأن تموت معه وتدفن معه لكي تقوم وتتمجد معه"
(المقالة ١٨: مجلد ٣٥: ٣٣٣).

بل يقول في عظة عيد القيامة:

"بالأمس عُلِّقتُ مع المسيح على الصليب، واليوم أنا أتمجد معه.
بالأمس كنت أموت معه
اليوم عُدتُ بواسطته إلى الحياة
بالأمس أنا دُفِنتُ معه
اليوم أنا أقوم معه
لنصبح مثل المسيح لأن المسيح صار مثلنا
لنصبح آلهة لأنه صار إنسانًا لأجلنا"
(مقالة ١: ٤ مجلد ٣٥: ٣٩٧).

وفي قداسنا الغريغوري نقول: "شعبك يطلبون بك ومعك إلى الآب".

وعن شفاعة الرب يقول اللاهوتي:

"هو الآن كإنسان يتشفع لأجل خلاصنا لأنه لازال في الجسد الذي أخذه لكي يجعلني إلهًا بفضيلة (حقيقة) تجسده"

(مقالة ٣٠: ١٤ مجلد ٣٦: ١٢١).

الهوية التي يسعى التراث الشعبي لكي يهدمها، ويهدم معها السرائر

هكذا ينكر المطران الشركة في موت المسيح، ويجب عليه أن يُحاكِم غريغوريوس اللاهوتي، ويحاكِم معه باقي الآباء لا سيما القديس كيرلس الأورشليمي الذي شرح نص رسالة رومية ٦: ١ – ٨ مؤكدًا أن شبه موته تعني عدم دق المسامير، إذ يقول:

"يا له من أمرٍ عجيب مدهش: أننا لم نمت حقًا ولم نُدفَن حقًا ولن نُصَلَب حقًا ونقم حقًا، وإن كان التشبه هو بالمثال، ولكن الخلاص تم حقًا. لقد صُلِب المسيح فعلًا، ودُفِن فعلًا، وقام فعلًا من الموت، فكل هذه النعمة أُعطيت لنا نحن حتى إذا اشتركنا في آلامه بالتشبه بها، ننعم بالخلاص الحق. يا للمحبة غير المحدودة للبشر. يسمَّر المسيح في قدميه ويديه الطاهرتين ويتحمل العذاب لكي يمنحني هذه المشاركة أي أن أحصل على نعمة الخلاص بدون مشقة ولا عذاب" (عظة ٢٠: ٥).

ثم يضيف:

"يجب أن نتعلم أن كل ما تحمَّله المسيح من عذاب، تحمَّله من أجلنا ولأجل خلاصنا، وقد تألم فعلًا ... لكي نشاركه آلامه ولذلك يقين بولس بكل وضوح: لأننا إذا كنا قد غُرسنا معه على شبه موته فنكون على شبه قيامته أيضًا (رو ٨: ٥)، وحسنًا قال: "غُرسنا معه"؛ لأن الكرمة الحقيقية قد غُرِست (يو ١٥: ١ – ٨)، **غُرِست هنا**، فنحن إذ نشترك **بمعمودية موته**، نصبح غرسةً واحدةً معه. وأرجوكم أن تنتبهوا إلى كلمات الرسول، إنه لا يقول "إذا كنا قد غُرسنا معه في موته"، بل "على شبه موته"؛ لأن المسيح مات فعلًا ... أمَّا بالنسبة لنا فالحالة تختلف لأن موتنا شبه موته وآلامنا كانت شبه آلامه،

ولكن خلاصنا لم يكن شبه خلاصٍ، وإنما خلاصًا حقيقيًا".

وفي العظة ٢١ على الميرون يذكرنا:

"أنكم أنتم الذين "اعتمدتم في المسيح ولبستم المسيح" (غلا ٢: ٢٧)، فأصبحتم على مثال المسيح ابن الله (رو ٨: ٢٩)؛ لأن الله اختارنا لكي نكون أبناء بالتبني" (٢١: ١).

وعن الميرون يقول ما تذكره صلواتنا القبطية:

"في الوقت الذي يُمسَح فيه جسدك بالدهن المنظور، تتقدس نفسك بالروح القدس المحيي" (٢١: ٣).

ولكن كل هذا يجب تدميره لكي لا يبقى أيٌّ منا ابنًا وعضوًا في جسد الرب، بل آلة لا شخص يتشبه بالثالوث، بل شيئًا هلاميًا لا كيان له.

هدم الوحدة الروحية التي ننالها في الإفخارستيا

هذه الوحدة الروحية تعبر عنها الليتورجية بعد استدعاء الروح القدس، فتقول:

"أجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من قدساتك طهارةً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا لكي نكون جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا".

لكن المطران الذي يبدو أنه لم يستلم لاهوت خدمة الليتورجية، بل استلم الطقس وحده لا يرى هذه الوحدة، ولذلك يحاكمه القديس غريغوريوس النيسي:

"بالاشتراك في الجسد الواحد للمسيح نصبح جسدًا واحدًا، أي جسده" (مجلد ٤٤: ١٣١٧).

وأيضًا:

"هو (الرب يسوع) في الكل، ويأخذ إليه الكل الذين اتحدوا به بالشركة في جسده، ويجعل الكل جسده حتى أن كل الأعضاء تصبح جسدًا واحدًا" (المرجع السابق ٤٤: ١٣٢٠).

وعند ذهبي الفم الذي كان له لاهوت اختباري، ولم ينشأ على كتب الإرساليات:

"يجب أن ندرس هذا السر الفائق، وأن نفهم سبب تأسيسه ونتائج عمله فينا، فنحن جسد واحد كما يقول الكتاب: "أعضاء من لحمه وعظامه" (أف ٥: ٣٠)، وعلى الذين نالوا سر المعمودية أن يتابعوني: هو يريد أن نكون جسده ليس بالمحبة وحدها، ولكن عندما ننضم إلى جسده. هذا الاتحاد يتم فينا بالتناول من الطعام الذي أعطاه لنا كبرهان على محبته لنا. فهو يتحد بنا ويزرع جسده فينا لكي نكون واحدًا مثل اتحاد الرأس بالجسد. ما أعظم استعلان هذه المحبة" (عظة ٤٦ على يوحنا مجلد ٥٩: ٢٦٠).

"إنه لم يسفك دمه فقط، بل يعطي دمه للكل لكي نشرب جميعًا ...".

ثم يقول:

"إن الأحباء يقدمون هدايا لمن يحبون، ولكن لا يقدمون دمائهم، ولكن المسيح قد برهن لنا على محبته النارية وشفقته بنا عندما "قدَّم لنا دمه".

ثم يشرح كلمات الرسول: "الخبز الذي نكسره ..."، وبقول:

"لماذا أضاف بولس "الذي نكسر"، هذا الكسر هو ما نراه في الإفخارستيا، ولم يحدث على الصليب، بل العكس لأنه كتب "وعظمٌ منه لا يكسر" (عدد ٩: ١٢).، وما لم يعانيه على الصليب يسمح "به لأجلنا عندما نكسر الخبز لكي يأخذ كلٌ منا ما يملأه"
(عظة ٢٤ على كورنثوس الأولى مجلد ٦١: ٢٠٠).

انكسار الهوية بالاعتداء على سري المعمودية والميرون وإنكار سر الإفخارستيا

يتهم المطران كاتب هذه السطور بأنني أحرض السيدات على العصيان بالادعاء بأن دم الطمث لا ينجس، وهو وإن كان ينجس حسب التعليم الشعبي السائد، فقد جحد هذا التعليم التقديس الذي يناله كل مؤمن في سر الانضمام إلى جسد المسيح، أي المعمودية – الميرون – الإفخارستيا.

كيف يسود القهر والاستبداد؟ بالتحكم في الوظائف البيولوجية للجسد، وهي وظائف شبه دائمة لا تغيب عن الوعي، وينقض التعليم الشعبي غير المسيحي على التقديس الأبدي الذي لا يمكن انتزاعه إذا مارست أعضاء الجسد الوظائف التي وضعها الخالق نفسه. كان دم الطامث يؤخذ في العبادة الكنعانية للسحر وأعمال أخرى لا أريد الإشارة إليها، ولذلك جاءت شريعة العهد القديم بكل هذه الممنوعات لكي تفرز "الشعب"، وتجعله يحيا حياةً مستقلةً، وكانت الممارسات الجسدانية التي وصفها رسول المسيح بأنها موضوعة إلى زمان التجديد أو حسب دقة النص: "هي قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح" (عب ٩: ١٠). لكن يجب فرض حصار نفسي على المرأة واعتبارها نجسةً، وحرمانها من التناول، بل ومن الصلاة ومن دخول الكنيسة لكي تبقى الممارسة أقوى من السرائر التي نالت بها التقديس، ولكي تصبح العودة إلى طقوس وممارسات العهد القديم أهم من التبني وسكنى الروح القدس. لذلك لم يكن غريبًا طوال ٤٠ عامًا أن يقال من على المنابر إننا لا ننال سكنى الروح القدس، بل ننال مواهبه الوقتية لكي نميت في المستمع الحس الروحي بالانتماء الأبدي إلى جسد المسيح، وهو سبب القيامة من الأموات، بل ويضاف إلى ذلك أننا نتناول ناسوت الرب فقط.

ما ذكرناه سابقًا هو شرح التعليم الرسولي الغائب عن فكر المطران؛ لأن رسول الرب يقول عن الرب إنه صُلب لكي يُبطل بجسده "ناموس الوصايا في فرائض"، أي العهد القديم برمته، والسبب "لكي يخلق في ذاته أو في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا صانعًا سلامًا" (أف ٢: ١٥). الإنسان الجديد ليس يهوديًا ولا أمميًا، بل آدم الثاني السابق على الشريعة وعلى ابراهيم وموسى (١ كور ١٥: ٤٥ – ٥٠)، ولكن المطران مع الإنجيليين يضعون الصليب في إطار العدل كما يمارسه ويعرفه البشر وينسبون هذا إلى الله نفسه، وليس لدى المطران عذر لأن العدل والبر وردت في الترجمة القبطية للعهد الجديد ⲙⲉⲑⲙⲏⲓ أي الحق؛ لأن الحق هو العدل حسب لغة الأسفار في العهدين، والحق أو العدل هو استعلان المحبة التي تقبل رد الحياة إلى الخطاة. هذا نراه واضحًا بمراجعة النص القبطي لسفر المزامير الذي يتطابق مع الترجمة السبعينية، حيث البر = الحق = العدل = الصدق. والخطاة الذين يطلبون عدل الله في المزامير حسب الترجمة العربية المتداولة لا يعرفون أن العدل أو البر في المزامير هو صدق الله في مواعيده، فما هو عذر مطران قبطي لم يدرس الكتاب المقدس بلغة الكنيسة القبطية، أي اللغة القبطية؟

أعود فأقول إن الشخص أو الأقنوم هو رأس الكنيسة، وهو يعطي حياةً تحرر العبيد، وتجعل من العبد شخصًا لأن الخطية تهدم كينونة الشخص، وتحول الشخص إلى عبد، والعبد آلة خاضعة مستعبَدة فاقدة الإنسانية، وكل عبد للقوة ومحبة المال والمكان الأول والمناصب والألقاب هو فاقد للإنسانية، شوَّه صورة الله فيه ولذلك يعتبر أن الله جاء لكي يخلص البشر دون أن يجدد حياتهم من العبودية لكي يتأقنموا ويتحولوا إلى الإنسان الجديد الكامل الذي استُعلِن أولًا في المسيح يسوع والذي يحيا فينا محولًا إيانا إلى أقانيم أو أشخاص لكي نحيا به حسب كلمات أوشية الإنجيل: "لأنك أنت هو حياتنا كلنا".

ليكون الجميع واحدًا كما أننا نحن واحد (يو ١٧: ٢١)

من المؤكد أن وحدة الثالوث الكاملة والتامة بين الآب والابن والروح القدس هي المثال الذي يتطلع إليه المؤمنون بالمسيح للوصول إلى أعمق درجات الوحدة وكمالها. نضع هنا تعليق القديس كيرلس السكندري على هذا النص، ونعتذر عن طوله المفرط، فلم نشأ أن نحرم القارئ من درة من درر التفسير والشرح الآبائي، ولذلك قسمناه إلى الفقرات الآتية:

الوحدة الروحية للمؤمنين في الجسد الواحد

"إنه يريد أن يحفظ تلاميذه في اتحاد العقل والهدف كما لو كانوا قد جُمعوا معًا وصار لهم نفس واحدة وروح واحد هو روح المحبة الأخوية، وأن تربطهم معًا رابطة المحبة القوية التي لا تنكسر لكي يكمل اتحادهم وتصبح رغباتهم موحَّدة مشابهة للوحدة الطبيعية بين الآب والابن، وتبقى غير منقسمة ولا منفصلة ولا يقوى عليها شيء من قوات هذا العالم ولا رغبات الجسد وشهواته التي تقود إلى الاختلافات وتعدد الأهداف، بل يبقى اتحادهم في التقوى والقداسة وبقوة المحبة الكائنة فيهم. وقد قرأنا عن هذا في سفر الأعمال "وكان لجميع الذين آمنوا قلبٌ واحدٌ ونفسٌ واحدة" (أع ٤: ٣٢).

وحدة من الروح القدس

وهذا الاتحاد من الروح القدس، وهو ما يعبر عنه الرسول بولس بوضوح عندما قال: "جسد واحد، وروح واحد لأننا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح لأننا جميعًا نتناول من الخبز الواحد" (١ كورنثوس ١٠: ١٧). ونحن الذين أخذنا المسحة من الروح الواحد،

أي روح المسيح، نصبح واحدًا مثلهم (الرسل) جسد واحد؛ لأننا نشترك في نفس الروح. وهكذا أراد المسيح أن يحفظ الآب تلاميذه في وحدة الروح حتى لا يقدر أحد أن يفرّقهم، وفي العقل الواحد غير المنقسم *unbroken singleness of mind*

وحدة على مثال الثالوث

ومن يقول إن التلاميذ اتحدوا وصاروا واحدًا مثل الآب والابن في الجوهر، في الإرادة، لان طبيعة الله القدوس لها إرادة واحدة، فهو ليس بعيدًا عن الحق؛ لأننا نرى ذات الهدف الواحد عند المسيحيين الحقيقيين، إلَّا أننا لسنا مولودين من ذات الجوهر مثل ولادة الابن من الآب الذي هو منه وفيه" (تفسير يوحنا ١٧: ١١ الكتاب ١١: فصل ٩).

طلبة الرب في يوحنا ١٧ خاصة بالكنيسة عبر كل العصور

وكأن القديس كيرلس السكندري فيما هو يؤكد وحدة جميع المؤمنين، يُذَكِّرنا أن قوة هذه الوحدة لا تجعلنا سوى مثال، والمثال دائمًا لا ينطبق على الحقيقة التي يمثلها تمامًا؛ لأن الابن مولود من ذات جوهر الآب منذ الأزل أو قبل كل الدهور، وهذا هو ما يجعلهما واحدًا، أما نحن، فإن وحدتنا تتم في الزمان وتأخذ قوتها من عمل الروح القدس، ومن وحدة الحياة المسيحية، وتماثل الهدف عند المسيحيين الحقيقيين، كما أنه لا يوجد بيننا مَن هو مولود من ذات جوهر الآخر. على أية حال، لقد عالج القديس كيرلس السكندري هذه النقطة بوضوح عندما فسَّر يوحنا ١٧: ٢٠ - ٢٢ "لست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل من أجل الذين يؤمنون بي بكلماتهم (الرسل) ليكون الجميع واحدًا، وكما أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك هكذا ليكون الكل واحدًا فينا لكي يؤمن العالم أنك أرسلتني". يقول القديس كيرلس السكندري:

"المسيح هو باكورة ثمار الذين دُعُوا لكي يُبنَوا معًا للحياة الجديدة، وهو الإنسان السمائي الأول لأن بولس يقول عنه: "آدم الثاني الرب من السماء" (١ كورنثوس ١٥: ٤٧) وكما كتب يوحنا: "وليس أحد صعد إلى السماء إلّا ابن الإنسان" (يوحنا ٣: ١٣). وكل الذين على صلة به، لاسيما الذين اختارهم ليكونوا رسلًا وتابعين له، الذين جمعوا له ثمار نعمته وهم قد شاهدوا مجده وخدموه وصاروا بالنسبة له ثمار الحياة الجديدة التي جاءت بعده؛ لأنه هو رأس الجسد، أي الكنيسة (كولوسي ١: ١٨). ولقد طلب لهم بركة وتقديس الروح الذي سيأتي من عند الآب ولكن بواسطته (المسيح)... ولكن لا أحد من الذين يفحصون الكتب الموحى بها يتخيل أنه طلب أن يحل الروح على الرسل فقط، بل أنه طلب لأجلنا نحن أيضًا الذين نتبعهم ونعيش في بداية عصر المسيحية، لذلك أضاف الوسيط بين الله والبشر ورئيس كهنة نفوسنا هذا النص لكي يكبح الخيالات الغبية: "ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم"، لأنه يبدو غير معقول أن يقع كل البشر تحت عقاب الدينونة بسبب إنسان واحد، أعني آدم الأول، حتى الذين لم يخطئوا في ذلك الزمان عندما تعدَّى مؤسِّس جنسنا الوصية التي أعطيت له، هؤلاء لبسوا صورة الترابي غير الممجدة،

الصورة السمائية

وعندما جاء المسيح في وسطنا، أي الإنسان من السماء، فهؤلاء الذين دُعُوا من خلاله للبر أي البر الذي بالإيمان، يجب أن لا يحول بينهم وبين إعادة تشكيلهم حسب صورته (المسيح). وكما أننا نقول إن صورة الترابي غير المحبوبة، نراها في أمثلة عدة وفي أشكال مختلفة من البشر الذين يحملون دنس الخطية وضعف الموت والفساد وعدم

طهارة الشهوات الجسدية والأفكار العالمية، إلَّا أنه على النقيض من هذا، نتأمل صورة السمائي أي المسيح التي تشرق بالنقاء والإخلاص وبكمال عدم الفساد وبالحياة وبالقداسة، ولذلك كان من المستحيل علينا نحن الذين سقطنا من خلال العصيان الأول أن نعود إلى مجدنا القديم، إلَّا إذا حصلنا على اشتراكنا ووحدتنا في الله، لان طبيعة البشر قد أُخضِعَت من البدء للموت، وبذلك لم يعد ممكنًا لأي إنسان أن يصل إلى الاتحاد بالله إلَّا بالروح القدس الذي يزرع فينا التقديس الخاص بأقنومه، ومن جديد يعيد تشكيل الطبيعة التي أُخضعت للفساد، يعيدها إلى حياته فيعود الإنسان إلى الله وإلى شبهه وإلى المجد الذي فقده. والابن هو المثال الذي يعبِّر ويعلن عن الآب، وروحه هو المماثلة الطبيعية للابن، لهذا السبب فهو من جديد يخلق نفوس البشر ويختم هذه النفوس بصورة الله ومثال العلي.

وحدة على مثال الثالوث بسبب المحبة

لذلك يصلي ربنا يسوع المسيح ليس من أجل الإثنى عشر فقط، بل من أجل كل المختارين في كل عصر الذين يتمسكون ويطيعون كلمات تعليم الرسل، ويأخذون التقديس بالإيمان والتطهير الذي يتم فيهم من خلال الاشتراك في الروح، وهو لم ير أنه من المناسب أن يتركنا في شكٍّ بخصوص صلاته ومعناها، لأنها تُعَلّم أي سلوكٍ يجب أن يكون سلوكنا نحن البشر، وأي طريق للبر يجب أن نسير فيه لكي نصل إلى ما يسره. فما هو هدف صلاته؟ ليكون الجميع واحدًا كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكون الكل واحدًا فينا. فهو يطلب رابطة المحبة والاتفاق والسلام لكي يصل إلى الاتحاد الروحي، كل الذين يؤمنون لكي تشبه وحدتهم التي تتم من خلال المحبة الكاملة والاتفاق غير المفترق للنفوس، ملامح وحدة الجوهر التي

للآب والابن. لكن رابطة المحبة التي تربطنا كلًا بالآخر، وقوة الاتفاق لا تقوم ولا تدوم من ذاتها، وهي لذلك ليست مثل وحدة الآب والابن غير المتغيرة التي هي قائمة بذاتها لأنهما يحفظان وحدتهما بسبب وحدة الجوهر، وهذه الوحدة طبيعية وحقيقية لأنها قائمة على كل ما في طبيعة الله من صفات.

مثال الحق، ليس الحق نفسه

أمَّا وحدتنا نحن البشر، فهي مظهر للوحدة الإلهية، مظهر للحقيقة. وكيف يمكن للشبيه Imitation أن يصبح مثل الحقيقة الواقعية؛ لأن مثال الحق لا يمكن أن يكون في محتواه مثل الحق نفسه، بل هو مجرد شكل، ويظل كذلك شكلًا للحقيقة، ما لم يدخل عليه عنصر غريب يشوهه، وإذا ظن هرطوقي أو تخيل أنه قادر على أن يقلب تعاليم وحدة أقانيم الثالوث، وبالذات الآب والابن، وحاول أن يبرهن على نظريته الجنونية وقدَّمها لنا على هذا النحو (نحن لسنا واحدًا لأن شكل جسد كل واحد منا مختلف عن الآخر كما أن أرواحنا لم تنصهر كلٍ في الأخرى، ولكن وحدتنا هي في الطبع وفي محبتنا لله وفي الاتفاق ووحدة الهدف ورغبتنا في إتمام إرادة الله، هكذا الابن وعلى نفس هذا الشرح هو واحد مع الآب أي واحد معه في الإرادة والاتفاق وليس في الجوهر)، فإننا نرفض مثل هذه النظرية كلها، ونعتبر قائلها مذنبٌ بالجهل وعدم الفهم، لماذا؟ لأن الأمور التي هي أعلى وأسمى من الطبيعة الإنسانية، لا يمكن مقارنتها بما للإنسانية، ولا يمكن أن نُخضِع مَن ليس له جسد للقوانين التي خضع لها الذين لهم أجساد. لا تُشابه الأشياءُ الإلهية، الأشياءَ الإنسانية. ولو انعدمت الفوارق التي بيننا وبين الله، لأمكن لنا أن نُقارن بين ما يخص الله وبين ما يخصنا، ولكن إذا كانت هناك اختلافات بين

طبيعة الله والبشر، وهي اختلافات تفوق التصور، فلماذا يحاولون أن يفهموا الطبيعة الإلهية التي لا ترتبط بأي ناموس يخص البشر الضعفاء، ويخطئون بارتكاب ما هو غير معقول، وإذا فعلوا ذلك فهم يبنون الحق من الظلال أو يؤلفون الحق من صورته التي تشبهه فقط، وبذلك يعطون الكرامة للمخلوق ويجعلون ما هو ثانٍ مكان الأول، ويَصِلون إلى فهم سبب كل الأشياء من الأشياء نفسها. ولكن حتى لا نبقى طويلًا في مناقشة هذا الموضوع ونتوه عن معاني النص الإنجيلي نقول إنه عندما يقدِّم المسيح وحدته مع الآب ووحدة الآب معه كمثال وصورة للشركة غير المفترقة والاتفاق والوحدة التي يمنحها هو للنفوس الملتهبة بمحبته، فهو يرغب أن نتآلف معًا بقوة الثالوث الواحد في الجوهر ونصبح واحدًا، وتصبح الكنيسة بأسرها جسدًا واحدًا صاعدة بالمسيح إلى تلك الوحدة التي تجعل الشعبين شعبًا واحدًا[1] لأن بولس يقول: "هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحدًا وهدم حائط السياج المتوسط ونقض العداوة بجسده وحتى الناموس والفرائض أزالهم لكي يخلق الاثنين في ذاته إنسانًا جديدًا واحدًا صانعًا سلامًا ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلًا العداوة به" (أفسس ٢: ١٤ – ١٦). ولقد تم هذا في الذين آمنوا بالمسيح وصاروا نفسًا واحدة وأخذوا قلبًا واحدًا في تماثلهم الكامل في حياة التقوى ومحبة الله وفي طاعة إيمانهم واشتياقهم للفضائل، وما قلته ليس بعيدًا عن الحق، بل هو مناسب وضروري، وإذا كان معنى النص يلزمنا بأن نغوص وراء ما هو أعمق – خصوصًا – وإن كلمات المخلص تدعونا إلى ذلك "كما أنك أيها الآب فيَّ وأنا فيك هكذا ليكون الكل واحدًا فينا"، فإننا يجب أن ننتبه إلى ما معنى هذه الكلمات. لأننا فيما سبق، قد أكدنا وبكل صواب أن تُشبِه وحدة

(١) اليهود والأمم كما هو واضح من النص.

المؤمنين وإتقان قلوبهم ونفوسهم، وحدة الثالوث وتماثل الأقانيم. ولكننا في هذا المجال يجب أن نشير إلى الوحدة الطبيعية التي تشملنا جميعًا وكلنا معًا بالله دون أن نفقد الوحدة المادية Physical القائمة بيننا رغم أن لكل منا جسده الخاص به الذي يملكه والذي يحفظ له فرادته Individuality لأن بطرس لا يمكن أن يُصبح بولس، ولا يمكن أن نتكلم عن بطرس ونحن نقصد بولس، رغم أن كلاهما واحد بسبب وحدتهما في المسيح، فإذا سلّمنا بالوحدة الجوهرية التي للآب والابن والروح القدس؛ لأننا نؤمن ونمجد الله الواحد في الثالوث القدوس، لنبحث كيف صرنا واحدًا كلٍ مع الآخر ومع الله بالمعنى الحسي والروحي لكلمة وحدة: الابن الوحيد المولود من ذات جوهر الله الآب، والذي فيه كل طبيعة الآب الذي ولده هذا صار جسدًا حسب الكتب واتحد بطبيعتنا في اتحاد لا يُعَبَّر عنه وصار واحدًا من اثنين أي جسده الأرضي ولاهوته، وهو الذي بطبيعته الله، هو الإنسان من السماء، وظل دائمًا الله والإنسان بعكس ما يقوله الذين لا يفهمون هذا السر، ولما اتحد فيه العنصران اللذان لا يمكن أن يتحدا، أصبح الإنسان قادرًا على أن يشارك ويأخذ من الطبيعة الإلهية، ولهذا حصلنا فيه نحن على شركة وحضور الروح القدس الذي بدأ في المسيح ومن المسيح أولًا عندما صار إنسانًا مثلنا ولأجلنا، وأخذ المسحة والتقديس رغم أنه بالطبيعة الله لأنه مولود من الآب نفسه، ولكنه قَدَّس بروحه هيكل جسده، بل كل الخليقة التي تدين له بالوجود والتي يمكن أن يشملها التقديس. هذا السر بدأ أولًا في المسيح وصار طريقًا يؤهلنا لنوال الروح القدس والاتحاد بالله لأننا فيه تقدسنا كلنا حسبما ذكرت لتوي.

اتحاد الكل مع بقاء الفوارق

ولكي نتحد كلٌ مع الآخر وبالله، رغم وجود فروق بين كل شخص وآخر، لأن لكل منّا فرادته وروحه وجسده الخاص به، إلَّا أن الابن الوحيد جَهَّز الوسيلة حسب حكمته وحسب مشورة الآب. لأنه بجسدٍ واحدٍ، أي جسده بارك بالوحدة كل الذين يؤمنون به ويأخذونه في سر الإفخارستيا الذي فيه أيضًا (الإفخارستيا) نصبح كلنا جسدًا واحدًا معه، ومَنْ يمكنه أن يُفرِّق ويُقسِّم الذين اتحدوا بوحدة طبيعية وعُقِدوا Knit معًا في جسده المقدس الذي هو واحد مع المسيح. لأننا إذا اشتركنا في الخبز الواحد، نصبح جسدًا واحدًا؛ لأن المسيح واحدٌ لا يقبل التقسيم. لذلك، الكنيسة هي جسد المسيح، وكلنا كأفراد أعضائه حسبما قال الحكيم بولس. لأننا كلنا اتحدنا بالمسيح بجسده المقدس حيث أننا أخذناه في أجسادنا، أي الواحد غير المنقسم، تصبح خدمة أعضائنا مملوكة له وليس لأنفسنا. وهنا يصبح المسيح الرأس، ولكن الكنيسة تصبح جسده المكون من المسيحيين، وبولس يبرهن لنا هذا بهذه الكلمات: "لكي لا نكون فيما بعد أطفالًا مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم، بحيلة الناس، بمكر إلى مكيدة الضلال. بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس: المسيح، الذي منه كل الجسد مركبًا معًا، ومقترنًا بمؤازرة كل مفصل، حسب عملٍ على قياس كل جزء، يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة" (أفسس ٤: ١٤-١٦). وإن كل الذين يأخذون جسده المقدس يحصلون على هذه الوحدة الحقيقية الحسية في المسيح. يقول بولس مرة أخرى ويشهد مشيرًا إلى سر التقوى "الذي في أجيال أُخر لم يُعَرَّف به بنو البشر كما قد أُعلِن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال الموعد في المسيح" (أفسس ٣: ٥ - ٦). فإذا كنا كلنا من

ذات الجسد واحدًا في المسيح، من خلال جسده، ألا يعني هذا أن كلَ واحدٍ منّا هو واحدٌ مع الآخر وفي المسيح؟ وبالإشارة إلى الوحدة في الروح، حيث أننا نسير من ذات الطريق، نقول إننا نأخذ الروح الواحد، وهذا يوحِّدنا كل بالآخر وبالله، ولكن الذي يسكن في كل فرد منّا هو الروح الواحد غير المنقسم الذي يحفظنا، ولكنه يجعلنا واحدًا، وكما أن قوة جسده المقدس يجعل الذين يأخذون هذا الجسد من ذات الجسد الواحد وواحدًا معه وفيه، هكذا الروح غير المنقسم يسكن في الكل، ولكنه يظل الواحد الذي يجمع الكل في وحدة روحية؛ لذلك يخاطبنا بولس الملهَم "محتملين بعضكم بعض في المحبة. مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسد واحد وروح واحد كما دعيتم إلى الرجاء الواحد لدعوتكم. رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة. إله وأب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي الكل" (أفسس ٤: ٢ – ٦) ... وإذا تركنا حياتنا الطبيعية وأسلمنا ذواتنا إلى ناموس الروح القدس، فإنه لا يبقى مجال التساؤل أنه بإنكارنا لأنفسنا وبحصولنا على الحياة العليا التي تشبه حياة الروح القدس، الذي يحل فينا، فإننا نتحول إلى طبيعة أخرى ونصبح ليس بَعدُ بشرًا، بل أبناء الله وبشرٌ سمائيون، وبذلك نبرهن على أننا شركاء الطبيعة الإلهية.

وحدتنا في شركة الروح القدس

لذلك نحن كلنا واحد في الآب والابن والروح القدس. وواحدٌ، وأنا أعني في الهوية Identity أو الفكر وكذلك في الحياة حسب البر وفي شركة جسد المسيح المقدس وشركة الروح القدس الواحد" (هنا انتهى نص القديس كيرلس الكتاب ١١ فصل ١١ تفسير يوحنا (١٧: ٢٠ – ٢١).

كانت كلمات الرب في يو ١٧: ٢١ (ليكون الجميع واحدًا كما أننا واحد)، كانت هذه الكلمات محور صراع مع الأريوسية، يؤكد لنا ذلك القديس هيلاري أسقف بواتييه (أثناسيوس الغرب) في الكتاب ٨، فصل ١١ عن الثالوث حيث يقدم لنا ادعاء الأريوسيين، هكذا:

"يطلب ربنا في صلاته لأبيه أن يكون الذين يؤمنون به واحدًا كما أنه هو والآب واحد لأنه في الآب والآب فيه لكي يكون الكل واحدًا فيهم. فلماذا تحاولون هنا إدخال الفكر الواحد ووحدة النفس والقلب في اتفاق الإرادة كمعنى لكلام الرب؟ لم تكن هذه الكلمات المناسبة غير معروفة للرب عندما صلَّى، وكان يمكنه أن يقول "أيها الآب كما أننا واحد في الإرادة اجعلهم هم أيضًا واحدًا في الإرادة لكي يكون الجميع واحدًا بالاتفاق (الإرادة)، أم أن الكلمة الذي هو الكلمة لا يعرف هذه الكلمات: الإرادة - الفكر ... إلخ؟ أم أن الرب الذي هو حق لا يعرف كيف ينطق الحق؟ أم الذي هو حكمة قد ضلَّ الطريق وتكلم بغباءٍ؟".

وبعد أن نفى هيلاري كل هذه، وهي تفاسير الأريوسيين يقول:

"لكنه علم بأن الذين يؤمنون سيكونون "واحدًا كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا واحدًا فينا"؛ لأنه قبل أي شيء آخر قد حدد المؤمنين الذين قال عنهم "ليكونوا واحدًا"، ثم بعد ذلك الارتقاء نحو الوحدة بتقديم مثال الوحدة بقوله: "كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا واحدًا فينا"، وكما أن الآب في الابن والابن في الآب معلة هذا المثال يصبح الكل واحدًا في الآب والابن".

ولكن ما هي هذه الوحدة نصل إليها في المسيح. يقول هيلاري:

"أريد أن أسأل بعض أسئلة للذين يعترفون فقط بأن هذه الوحدة هي اتحاد إرادة بين الآب والابن: هل المسيح معنا اليوم باتفاق الإرادة أم

بحق طبيعته؟ حيث أن الكلمة حقًا صار جسدًا، وأننا في عشاء الرب نقبل بكل حق جسد الكلمة، فكيف يمكن لأي إنسان أن يقول إنه لا يحل فينا؟ عندما صار جسدًا أخذ على الدوام وعبر كل العصور وحقًا جسدنا ووحد حقيقة جسده بحقيقة ألوهيته في سر جسده الذي نتناوله. هذا هو سبب وحدتنا؛ لأن الآب في المسيح والمسيح فينا. لذلك، كل من ينكر أن الآب حقًا في المسيح سوف ينكر أولًا أنه ليس حقًا في المسيح، أو أن المسيح ليس حقًا فيه؛ لأن الذي يجعلنا واحدًا في الآب والابن هي حقيقة أن الآب في المسيح والمسيح فينا" (الثالوث كتاب ٢: فصل ٢٤).

ولنا عودة مع باقي الاتهامات، ومرحبًا بكل اتهام مهما كان لأن من يدخل عرين الأسود (الآباء) لا بُد له وأن يكون أسدًا، وإلاَّ أكلته الأسود.

وها أنا أُكرر دعوتي إلى حوارٍ مفتوح أمام شعب الكنيسة، لا أمام أي جهة أخرى؛ لأننا لا نريد أن نجلب عارًا على الكنيسة، يكفي ما يلحق بنا كل يوم من شتائم تأتي من كل جهة تحاول النيل من أم الشهداء.

أدعو بالغفران للجميع، ولكن ليعلم الجميع أن التاريخ لا يغفر، لأن الكل سوف يقف يومًا أمام محكمة التاريخ.

إفراميات الاتحاد الأقنومي[1]

قبل عواء الجهل، وهو كثير عندنا، فقد فقدنا لغتنا الأصلية وهي القبطية، وهي باب دخولنا إلى مؤلفات الآباء التي كتبت باللغة اليونانية لأن المفردات والمصطلحات اللاهوتية اليونانية هي ذات المفردات اللاهوتية في القبطية، فهي تراث الكنيسة الجامعة.

"تبادل الصفات"، ويُختصَر في اللاتينية إلى *Communicatio Idoimatum* وهو أصلًا في اليونانية αντιδοσις τώ ιδιωμάτων والكلمة الأولى من الأصل اليوناني αντιδίδωμι وتعني يعطي في مقابل، أي يعطي لكي يأخذ، ومن هنا نشأت كلمة تبادُل. أما الكلمة الثانية، فهي ليست مجرد صفات كما في العربية، بل هي ما يجعل الكائن فعلًا كائنًا، مثل الحياة والحرية والحركة، وهي ليست مجرد صفات تضاف إلى الكائن، بل هي ذات الكينونة. فليست ما يوصف بالصفات شيئًا يُؤخذ أو يضاف، بل هي ما يجعل لحياة الكائن كيانًا أو وجودًا حقيقيًّا. فالإنسان له صفة الإدراك أو العقل، ولكنه بدونها لا يمكن أن يكون الإنسان إنسانًا. هذا مثلٌ واضح، ورغم نمو الإدراك والفهم في الإنسان إلَّا أن هذا النمو يعتمد على ما هو كائن في الإنسان.

سر تجسد الرب يسوع المسيح إله المجد والقوة

إخلاء الذات الذي يمارسه الابن حتى نهاية التاريخ (راجع فيلبي ٢: ٦ – ٨)، هو حركة الحياة الإلهية التي تنازلت واتحدت بالحياة الإنسانية. وخطر كلمة الناسوت (سريانية الأصل) هو التجريد العقلي الذي تحتويه الكلمة؛ إذ يختفي

(١) قصائد نُشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية ما بين ١ مارس ٢٠١٤، ٩ نوفمبر ٢٠١٤.

الوعي "بالإنسان يسوع المسيح"، ابن البشر أو حسب قول الرب نفسه "ابن الإنسان"، أي "آدم" حسبما شاع في اللغة الآرامية المعاصرة للرب.

وهكذا نحن نرى الإخلاء الإلهي في الابن، وفي الروح القدس:

أولًا: في الابن لأنه يطهر ويجدد الحياة الإنسانية القديمة التي فينا ويحولها إلى حياته.

ثانيًا: في الروح القدس الذي يسكن في كل إنسان مؤمن، و"يئن" حسب تعبير رسول الرب في (رو ٨: ٢٦)؛ لأن كل مؤمن -مهما كان- هو "دنِس"، وصلاة الساعة الثالثة تشهد لنا: "طهرنا من كل دنسٍ أيها الصالح"، وهي تشهد أيضًا للنعمة الإلهية الوافرة.

الإخلاء وتبادُل الصفات في السرائر

عندما نعتمد، فإن إنسانية كل شخص تدخل دائرة تبادُل الصفات؛ لأن آدم القديم يجب أن يموت ويُصلَب لكي يُولد فينا ويُخلَق من جديد آدم الجديد، أي حياة يسوع نفسه، وهي الحياة الإنسانية التي تحولت فيه هو أولًا بالاتحاد الأقنومي.

عندما نأخذ سر الشركة[1]، وهو الاسم القديم لسر الإفخارستيا، فإننا فعلًا نشترك في حياة يسوع الإله المتجسد، حيث يأخذ حياتنا بذات الإخلاء الذي مارسه هو في تجسده لكي يعطي لنا حياته الممجدة، وهي حياته المتأنسة.

---

(١) لاحظ أن اسم "الشركة" دخل حتى في اللغة العربية النسكية، وهو اسم الحياة الرهبانية؛ لأن الشركة هي مشاركة، والاسم يعود أصلًا إلى الاتحاد الأقنومي (أكليمنضس السكندري – المؤدِب ٨: ٣٠٩ ب، ورسالة القديس باسيليوس رقم ١٦٠: ٢)، والكنيسة شركة لأنها الجماعة التي لها جسد واحد يشترك فيه الكل.

الإفرامية الأولى

تأخذ الوجود الآدمي القديم

لكي بالاتحاد، يصير فيكَ جديدًا

لا تُجدِّد من الخارج

لأن الموت في داخلنا[١]

اتحدت بالميِّت mortal

الذي عندما ظنَّ

أن حياته منه

وله

مات

لكي تنقل الوجود المحاصَر في الذات

إليكَ

اتحادنا بكَ

اتحادكَ بنا

مسيرةٌ

و

مصير

نسير معك من بيت لحم

فنأخذ بداية الوجود[٢]

---

(١) تجسد الكلمة للعظيم أثناسيوس، ف ٤٤ كله.

(٢) راجع شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الكبير، المجلد الأول من الترجمة العربية التي أصدرها مركز دراسات الآباء بالقاهرة، ص ١٧٥ حيث يقول في شرح معجزة عرس قانا الجليل: "جاء إلى العرس لكي يقدس

ونحيا معكَ وبكَ

حتى ننمو في

القامة

والنعمة

عندكَ

وعند الآب

تمسحنا فيكَ

وبكَ

بروح الآب

لكي ينال وجودنا

الجديد فيكَ

ذات الشِّركة

التي لكَ مع الروح

ومع

الآب

حياة البرية

هي

جولة النعمة

في

برية العالم

يجب أن نرفض

بداية الميلاد الإنساني".

أي مصدر
للحياة
غيركَ
فلا حياةَ بالخبز وحده
ونرى الدنيا
تقدم لنا المجد
في الاتعاب
والأسماء
والمراتب
والقنية
ومن يعشق
ذلك
بالعشق
يصبح أسيرًا
يحاربنا البشر
في
صدق مواعيد الله
في
تجلي الحياة
في
حكمة الوصايا
بل في قوة المحبة

لكي نصبح عبيدًا

للنظام

للعقائد

فأنت شخصٌ

وليس عقيدةً

قلَّدنا غيرنا

وحلَّت

العقيدة

محل

الإيمان بكَ

شخصًا

وصار

للمصطلحات

سبقٌ

على المحبة

***

تأخذني

كما أنا

كما

أخذت

إنسانيتي في بيت لحم

فلم

تتحد

بفكرةٍ، بل

بي

وبكل البشر

لم تكن الإنسان

الكوني

عند أفلاطون

الإنسان

العام

الشامل، بل

الإله الكلمة

خالق الكل

الذي تجسد

لكي يعيد

خلق الكل

كإله

أعدتَ

تكوين

الإنسان فيكَ

قَبلتَ الضعف

لكنكَ بالضعفِ

تبحثُ عن كل خروفٍ ضال

لأنكَ ذقتَ ضعفَ الإنسان

واتحد الضعفُ بالمحبة

النارية

فتحول الضعفُ

إلى عطاءٍ

بلا قيود

لم يقيِّد الضعفُ المحبةَ

بل رفعَ القيود

فحيث الضعف

أنت كائنٌ

معنا

و

فينا

الإفرامية الثانية

أنتَ حياتنا كلنا[1]

نحن حياتك[2]

أنتَ محبتنا الكاملة

نحن محبتكَ النامية[3]

***

تحلُّ في كياننا

لأن الحلول في كياننا

هدفُ تجسدكَ[4]

حلول اتحاد[5]

حلول محبة

في المحبة

اتحاد[6]

***

(١) أوشية الإنجيل.

(٢) الكرمة والأغصان.

(٣) (رو ٥: ٥)

(٤) المسيح فيكم رجاء المجد (كولوسي ١: ١٧)

(٥) (أف ٣: ٧)

(٦) أنتم جسد المسيح وأعضاؤه أفرادًا (١ كور ١٢: ٢٧)

كما نما جسدكَ

في الاتحاد

بأقنومكَ[١]

ننمو نحن

في

الاتحادِ،

فهو

الخميرةُ

التي تخمِّر

العجينَ

كله

***

نحن حياتكَ

التي لا تنفصل عنكَ

فليس في المحبة انفصال[٢]

تحاصرنا التجاربُ

مثل تجاربكَ

في البريةِ،

لكنك غلبتَ

وتغلبُ بنا

***

(١) أثناسيوس العظيم، (الرد على الأريوسيين ٣: ٥٢)

(٢) (رو ٨: ٣٥ - ٣٩)

قتلتَ الموتَ

لتحيا فينا

***

قمتَ

لكي نقوم

فيكَ

وبكَ

ثمرةُ

اتحادكَ

بنا[١]

***

تعطي حياتكَ

عطاءٌ لا يتوقف

كيف تمتنع عن مزج

حياتكَ بحياتنا

لكي تجمعنا

وتحوِّلنا

إلى

أعضاء جسدك

عند المذبح

تقابلنا

(١) (رو ٦: ٥ - ٩)

عطاءُ جسدكَ

ودمكَ

عطاءُ

الحياة الغالبة[١]

***

أخذتَ الضعفَ

أخذتَ الموتَ

أخذتَ لعنةَ الشريعة

أخذتَ حكمَ القبر

جعلتَ من الضعف

محبةً للضعفاء

فاض لاهوتك

بعطاء وسخاء

الحياة الأبدية

أخذتَ الموتَ

فَدُستَ عليه

ورفعتَ الدينونةَ

من الوسط[٢]

أخذتَ حكمَ القبر

حُسِبتَ مع الأموات

---

(١) "من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية" (يو ٦: ٥٤)

(٢) (كولوسي ٢: ٩)

ولم تفسد إنسانيتك

لأن هذا هو مصيرنا

إنسانيتنا فيكَ

***

من أُلوهيتك

فاض

مجد البنوة

قطَّعتَ سلاسل العبودية

عبودية الشخص للطبيعة

لأنك تؤقنم طبعنا(١)

فنصير الأحرار أبناء الله

وكما تأقنمتْ إنسانيتنا فيكَ

تؤقنمنا فيكَ

باتحادٍ ابدي

لكي نحيا بكَ

وفيكَ

إلى الأبد.

---

(١) (رو ٨: ٢٩ على صورة ابنه)

الإفرامية الثالثة

-١-

قَبلتَ الإنسانيةَ المحدودة،

فلم تكن حدودًا لعملك.

لم ترسم إنسانيتي

حدودًا لمحبتك،

بل صارت

حدودُ طبيعتي فيك

أساسات استعلانِ جودكَ

الحَبَلُ في الحشا البتولي

حيِّزٌ ضيِّقٌ لكل بني البشر

الرَحِمُ بابٌ صغيرٌ لحياةِ مَن هو حياةُ الكونِ.

أخذتَ الحدودَ،

فعرفتَ الضعفَ

عشته

نقلتَ بالجودِ

حدودَ الطبع الإنساني

إلى مجد ألوهيتك؛

فتألَّق وتجلى بالخلود.

كان الموتُ حدًا

رَسَمَ فناء الكيان الإنساني (تجسد الكلمة: ٤)

ولمَّا قمتَ

صارت القيامة

حياةً بلا حدود

رفعتَ حاجز الموت

لكي تأتي إلى الموتى

إلينا نحن

الجالسين في كورة الموت وظلاله.

-٢-

الجهلُ حدٌّ للمعرفة

لا تعرف اليوم

ولا حتى الساعة (مر ١٣: ٣٢)

وقبلتَ الجهلَ؛

لأن المحبةَ حرةٌ

تقبل التنازل الحر (يو ١٠: ١٨)

ترفض أن تعرف

عندكَ وفيك

المعرفةُ ثمرةُ المحبة

تحب وتعرف

ولم تسبق أيهما الآخر

فالترتيب والسبق لنا

أخذته طواعيةً

لأنك لم تُستعبَد للإنسانية

أخذتَ صورة العبد

وأنت الابن الحر

-٣-

طبعُنا مستعبدٌ للموت

قيَّد الموتُ حريتنا

جعل كلَّ اختبارٍ عندنا

ينسجمُ مع حبِّ البقاء

-٤-

حريتُكَ وأنت في الجسد

استعلانُ الاتحاد بنا

الابنُ الحرُّ أخذَ صورةَ العبدِ

تحرر العبدُ بالاتحاد

مارَس الحريةَ عندما

وحَّدتَ محبتك الإلهية

بالمحبة الإنسانية

البذرةُ التي زرعتها

في كلِّ إنسانٍ

-٥-

محبتُكَ إلهية إنسانية

أزليةٌ ذاقت طعمَ الزمانِ

قويةٌ عرفت الشوقَ

الرفضَ والحرمانَ

تغفر، فلا حدودَ للغفرانِ

تكتئبُ في البستانِ

الموتُ ظلمةٌ

بريقُ ألوهيتك

سينيرُ، حتى الجحيم

كيف استقرت نفسُكَ

في الجحيم، وهي لا تعرف الإثم؟

متَّحدةٌ بملء قداستك

مشتعلةٌ بنار المحبة

متَّحدةٌ بالحياة

-٦-

قبلتَ ما لنا كله

عاشت المحبة

في قلبك

بلا نسيان

أنت بعينين إنسانيتين

ترى الآبَ والروح القدس
لكي أنال أنا معك ذات الرؤيا
تلك التي عاشت في قلب
أنطونيوس وأثناسيوس وكيرلس

-٧-

حدودُ الاتحاد بك
هي حدودُ اتحادِكَ بالبشرية
التي أخذتها من الأم القديسة
رسمتَ هذه الحدود
بالقيامة،
فصار الخلود حدًّا ثابتًا
وصارت الحياةُ شركةً
سمائيةً بالصعود
لأنك بالناسوت جلستَ على عرش الألوهة
لكي ترسم حدودَ الحياة الجديدة
عندما نجلس معك (رؤ ٣: ٢١)
عن يمينك

-٨-

أيها الحيُّ فينا

حياتُكَ فينا لا تموت

لأنكَ أنت القيامة

-٩-

أيها الإلهيُّ في محبتك

محبتُكَ الإنسانية تجلَّت إلهيًا

والإلهية تجلَّت إنسانيًا

لأنك لا تزال تعطي جسدك ودمك لنا

محبة لا تنقسم

تجعل الإلهي متجسدًا

والمتجسد إلهيًا

الجوهر – الأقنوم – النعمة[1]

ورد إلى الموقع سؤال من الأخ أشرف زكي:

أ- هل عندنا أباء في كنيستنا الأرثوذكسية عبَّروا عن اتحادنا بالروح القدس على أنه اتحاد أقنومي؟

ب- هل هناك من أباء في الكنيسة المسكونية حتى القرن الثاني عشر من استخدم مصطلح الاتحاد الأقنومي للتعبير عن حلول الروح القدس على المؤمنين؟

ج- نحن نسأل عن آبائية مصطلح بعينه، وليس أي مصطلح آخر، لأنه لا خلاف على بقية المصطلحات كالتأله والتبني والخلاص الأبدي.

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٤ مايو ٢٠١٥.

الأخ العزيز/ أشرف

سلام ربنا يسوع يكون معكم ويدوم فيكم،

بسبب اللغط الذي ساد في السنوات الماضية، أثيرت محاولات شريرة تهدف إلى إدخال الشك والريبة إلى قلوب وعقول الكثيرين من النعمة الإلهية، وذلك باعتبارها مجرد إنعام وعلاقة أدبية أخلاقية لا تمس الكيان الإنساني، منكرةً أن النعمة الإلهية تحوِّل:

- المائت إلى خالد.
- المستَعبَد إلى ابنٍ حُرٍّ من الموت ومن الخطية.
- المخلوق من التراب إلى مخلوقٍ من جديد، سمائي.
- من آدم الأول إلى يسوع المسيح. (هذا ملخَّص ١كو ١٥: ٤٢-٤٩).

فقد حاولت أيادي الإثم أن تعبث بالإيمان، فتجعل علاقتنا بالله علاقة عارضة بلا تحوُّلٍ في الكيان. واستهدفت حملات الرعب تلك، لفظتين: "الجوهر" و"النعمة". واضطلع بالهجوم أشخاصٌ لم يدرسوا اللاهوت دراسةً منهجيةً؛ لذا اكتفوا بعباراتٍ قُطعت من السياق، لفصل جوهر الثالوث عن النعمة.

قبل ذلك الفصل، تمَّ تقسيم الآب والابن إلى غاضبٍ، وهو الآب، ومغضوبٍ عليه، وهو الابن. وهكذا دخلت الخطية إلى أعماق جوهر الثالوث؛ لكي تفصل الآب عن الابن المعلَّق على عود الصليب.

ولكي نوضح مدى الخسارة التي تلحق بالإنسان نتيجة هذا الفصل، وذلك العبث، كان من اللازم أن نعقد هذه المقارنة:

الثالوث – الجوهر	الإنسان – النعمة – تدبير الخلاص
+ أزلي – كائن – واجب الوجود لا يستمد كيانه من آخر	خُلق من العدم – ليس له حياة ذاتية، بل يستمد وجوده من الله. ليس واجب الوجود، بل خاضع للتغيير، وخَضَعَ للموت.
+ الخلود والحياة الأبدية هي صفات حياة الثالوث، هي طبيعة الثالوث.	الخلودُ منحةٌ؛ لأن الإنسان الذي خُلق من العدم لا يمكن أن يكون خالدًا أو حيًا إلى الأبد بالطبيعة.
+ تجسَّد الابنُ، فأخذ الطبيعة القابلة للموت والفساد، فحوَّل هذه الطبيعة إلى طبيعة مجيدة غالبة الموت وقام حيًا بمجد الآب. المجد الذي كان له قبل خلق الكون.	أعطى الابنُ للإنسانيةِ ذات التحوُّل الذي حدث لناسوته الذي أخذه من العذراء والدة الإله. ونحن في طريقنا إلى هذا التحول من بعد اتحادنا بالمسيح بالروح القدس. فما حدث لناسوت الرب يحدث لنا.
+ تألَّه ناسوت الرب، فلم يعُد بعد ذلك الجسد الذي يمكن أن ينزف دمًا أو يعاني الموت أو الضعف أو الفساد.	ونحن نتألَّه كما تألَّه ناسوت الرب؛ إذ ننال ذات التحوُّل، فلا يسود علينا الموت أو الألم أو الفساد، بل ننال ذات المجد.
+ حاولت الهرطقات القديمة أن تفصل النعمة عن الجوهر كما حاولت من قبل أن تفصل الأقانيم: فقد ادَّعَت الأريوسية أن للابن جوهرًا آخر غير جوهر الآب. وفصلت النسطورية	+ يفقد الانسان كل شيء إذا فُصل أقنوم الابن عن الآب، أو إذا اعتُبِرَ الابن مخلوقًا مثل باقي المخلوقات. بهذا الفصل يفقد الإنسان:

بين اتحاد الطبيعتين. واعتبرت الأنومية أن الابنَ قوةٌ خلقها الآب، وأنها قوة غريبة عن جوهر الآب؛ لأن جوهر الابن ليس مثل جوهر الآب.	- البنوة - القيامة - سُكنى الروح القدس لأن هذه العطايا نابعة من الثالوث تعطى من الآب بالابن في الروح القدس. وعدم فقدان هذه العطايا يجد مرجعيته في أنه لا يوجد كيان أو شيء منفصل عن الثالوث اسمه النعمة، ولا توجد طاقة كائنة بذاتها. أمَّا إذا ساد منهج الفصل والتقسيم؛ عندئذٍ يلوح الخطر الحقيقي، وهو تحول المسيحية الأرثوذكسية إلى مجرد دعوة أخلاقية سامية.

هل نشترك في جوهر الثالوث؟

الإيمان الأرثوذكسي هو الخبر السار، أي الإنجيل، وهو لا يبدأ بالنفي (راجع قانون الإيمان النيقاوي، فلا نفيٌ فيه).

الشركة في جوهر الثالوث هي:

أولًا: أن نعرف الله كما استُعلِن في الابن المتجسد.

ثانيًا: أن نتحول بهذه المعرفة والرؤيا إلى ذات شكل وحياة الثالوث، "نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو ٣: ١٨). والتحول بالمعاينة يؤكِّده يوحنا الانجيلي: "أيها الأحباء نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا ظهر (الرب يسوع) نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (١يوحنا ٣: ١-٢).

ولكن شركتنا فيما هو مستعلَن تعني أولًا: أننا لا نقتحم الله ونستولي عليه ونأخذ منه ما نشاء حسب إرادتنا. والسؤال الخبيث جدًا الذي يحاول إلقاء الرعب في القلوب يكشف عن النزعة العدوانية لأصحاب السؤال. فمن قال منهم -مثل المطران- إن سكنى الروح القدس فينا يحولنا إلى الله، لديه نزعة استيلائية *Possessive* وتدميرية *Distractive* وكلاهما من مظاهر العدوانية النرجسية *Narcissism* [1]، هذه النزعة تنفي تمامًا كل تعليم عن النعمة.

مَن يفكر بهذا الشكل هو كمن يفصل جسدًا عن رأسه، ويكتفي بالرأس أو الجسد، دون الإنسان كله. أما الشركة حسب النعمة، فقد جعلت الآباء يقدمون لنا عبارات تحذيرية تؤكد أن جوهر الثالوث يعلو على الإدراك، وأننا إذا اشتركنا في جوهر الثالوث، فسوف نعرف حقيقة الكيان الإلهي، أي سوف نصبح الله. هذا مستحيل للأسباب التالية:

١- المخلوق من العدم لا يملك كيانه، وهو محدد *Defined* بالطبيعة التي خُلِق بها، والتي لا يمكن أن تصبح مثل طبيعة الله؛ لأنها، أي طبيعة الانسان، أتت من العدم، فلا يمكن أن تتجاوز الحدود *Boundaries* التي أعطيت لها كنعمة من الله، وهي نعمة الصورة الإلهية (تجسد الكلمة فصل ٣ – ٤).

٢- لأن الرب يسوع نفسه -كما رآه يوحنا واسطفانوس بعد صعوده إلى مجده- ظَلَّ متجسدًا. حقًا، صار الجسد هو "جسد مجده" (فيلبي ٢: ٢١)، لكنه ظلَّ إنسانًا، وسيظل بالطبيعة الإنسانية التي أخذها من والدة الإله إلى الأبد. نحن سنصير مثله، حسب ما أُعلن في التدبير، أي أننا سنبقى بشرًا.

٣- الابن المتجسد رأس الخلقة الجديدة (٢كو ٥: ١٧)، ورأس الجسد الكنيسة (كو ٢: ١٩)، هو واحدٌ مع الآب والروح في ذات الجوهر الواحد،

---

[1] راجع في ذلك د. علي زيعور: قطاع النرجسية في النفس. وتبدو المشكلة في أن الاستيلاء على قوة الله – كما يدعي الأنبا شنودة والأنبا بيشوي- يكشف عن حقيقة التكوين النفسي لكل منهما. فعندما يقول الأنبا بيشوي إن حلول الروح القدس علينا يجعلنا آلهة مثل الروح القدس، فهذه عدوانية واستيلائية اسقطها على الثالوث.

جوهر الثالوث القدوس. نحن في المسيح في هذه الحياة المستترة في الله (كو ٣: ٣)، ولسنا في حالة انفصال عن جوهر، أي حياة الثالوث. ولكن ما هو متاحٌ لنا، هو ما أُعطي بالابن في الروح. نحن لا نقتحم الحياة الإلهية؛ لأن التعدِّي هو من سمات الطبيعة الساقطة، أمَّا الشركة بالمحبة وبخضوع هذه المحبة، فهو من سمات الحياة الجديدة. نحن نشترك في حياة الثالوث بالقدر الذي استُعلِن، وما هو متاحٌ لنا، محققٌ وثابتٌ في شركة الابن يسوع المسيح في حياة الآب والروح القدس.

التألُّه هو أن نصبح مثل يسوع المسيح؛ لأننا سنأخذ من ملئه (يوحنا ١: ١٨)، وفينا نفس محبة الآب للابن (يوحنا ١٧: ٢٦). ومثال التألُّه هو ناسوت الرب، وهو لم يتألَّه إلَّا بسبب الاتحاد بأقنوم الابن الكلمة، فصار "الجسد المحيي"، وصار بلا ألم وبلا موت، وهذه خاصة بالابن. ونحن نأخذ بكل يقين الخلود وعدم الألم والحياة الأبدية ولكن لا يملك أيٌّ منّا أن يكون "محييًا"؛ لأن هذه النعمة لم توهَب لنا.

الاتحاد الأقنومي:

ظهر هذا التعبير في حلبة الصراع ضد النسطورية، وهو خاصٌّ بتجسُّد الابن الوحيد. نحن نتَّحد بالرب في المعمودية (رو ٦: ١-٨)، وفي شركتنا في جسده الواحد (١كو ص ١٢ كله)؛ لأننا جسده. وهو نفس الاتحاد الذي حدث في تجسد الرب: بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. لا يوجد لدينا إلَّا اتحادٌ واحدٌ حسب التدبير. أمَّا وحدانية جوهر الثالوث، فهي ليست اتحادًا، بل هي الطبيعة الواحدة للثالوث، بينما الاتحادُ تعبيرٌ خاصٌّ باتحاد الطبيعتين، وقد وُلِدَ هذا التعبير في حقبة الدفاع عن الإيمان ضد النسطورية.

نحن نتَّحدُ بأقنوم الابن المتجسد؛ لنكون أعضاء جسده (١كو ١٢: ٧): "أنتم جسد المسيح وأعضاؤه أفرادًا"، **لكننا لسنا أقانيم متجسِّدة**، ومَن ينسبُ إلينا عكس هذا، يفتقر إلى العقل قبل الدليل؛ لأننا أصلًا بشرٌ وسنظل بشرًا، ولا يمكن أن يُقال على مَن هو في الأصل جسد، إنه تجسَّد، وبالتالي يظل هذا التعبير

مقصورًا على الرب يسوع، فهو وحده المتجسِّد، ونحن أعضاء جسده. نحن لن نكون أقانيمَ تضاف إلى الثالوث. هذا جنونٌ وتهوُّرٌ يحتاج إلى علاج عقلي. التجسُّد رَدَّ إلينا إنسانيتنا، وتألُّهنا هو بقاء كل إنسان، إنسانًا حقيقيًا خالدًا وحيًّا إلى الأبد مثل مخلصنا الصالح.

لكن من ناحية أخرى، لا يجب التهور وإنكار أن الإنسان أقنوم؛ لأن هذا الإنكار يعني أن الرب تجسَّد وهو الأقنوم لكي يفتدي أشياء *Objects* ونحن لأننا خُلقنا على صورته ومثاله، فنحن أقانيم، والخداع اللغوي ظاهر؛ لأن الكلمة "أقنوم" السريانية الأصل، تعني "شخص". والشخص جاء لكي يخلِّص مَن هم أشخاص لا من هم أشياء. ولكن لأننا درجنا على استخدام كلمة "أقنوم"، نسينا أنها تعني "شخص".

حلول النعمة:

"الكلمة يحل فينا" إلهًا متجسدًا. وحلوله فينا هو النعمة التي تجعل ليس الابن وحده مَن يحل فينا، بل الآب والروح القدس أيضًا (يوحنا ١٤: ٢٣) "إليه نأتي وعنده نصنع منزلًا". ونحن ننال من ملء أُلوهية الابن.

لاحظ ما يقوله الرسول عن تجسد الرب:

"يحل فيه كل ملء اللاهوت جسديًا". ولم يفصل الرسول ربنا عنا، بل أضاف: "وأنتم مملؤون فيه" (كو ٢: ٩-١٠).

حلول الثالوث، وليس الابن وحده فينا، هو دخولنا شركة الروح القدس (٢كو ١٣: ١٤)، وهي شركة حياة الثالوث، أي الحياة الأبدية التي أُظهِرت، وهي "الحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرت لنا .. وشركتنا نحن، فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح" (١ يوحنا ١: ٢-٣). وكما ذكرنا سابقًا، نحن نتحول إلى صورة المسيح لأننا سنراه كما هو. هذا التحول تمَّ في الناسوت بسبب الاتحاد الأقنومي، ومِن أُلوهية الابن أخذ الناسوت عدم الفساد وصار جسده

محييًا. نحن نتناول ونشترك شركة كاملة في جسد الرب ودمه، ولكن لا يصبح أيٌّ منَّا له "جسدٌ محيي"، ليس بسبب عدم الاتحاد، أو لأن النعمة ضعيفة، ولكن لأن "الجسد المحيي" هو الجسد الخاص والذاتي للابن الوحيد الذي بسبب اتحاده بلاهوت الله الكلمة صار محييًا، وهو يُحيي كل مَن يأخذ، ولكن مَن يأخذه من المؤمنين لا يصبح مثل المسيح له جسدٌ محيي؛ لأن لكل إنسان طبيعة محددة *Defined* جاءت من العدم، وتبقى في الوجود، ليس بقدراتها، ولكن بالنعمة. وبالتالي، فأجسادنا بالرغم من اتحادها بالابن المتجسد، إلَّا أنها لا تأخذ إلَّا ما هو مستعلَن لأن الاتحاد ليس سرقة ونهب لخيرات الله. بينما طبيعة المسيح ربنا، رغم انها أُخذت من والدة الإله ولها طبيعة آدمية كاملة -بلا خطية- إلَّا أنها بسبب الاتحاد بأقنوم الكلمة صارت واهبةَ الحياة، حتى أن نازفة الدم لما لمست هُدبَ ثوبه شُفِيَت، ولأننا عندما نتناوله ننال حياةً أبديةً، ولكن لا نستطيع أن نعطي للآخرين لا القيامة من الأموات ولا الحياة الأبدية؛ لأن هذا عمل الأُلوهة وحدها، وإذا تم بواسطة الناسوت -كما في المعمودية والإفخارستيا- إلَّا أن المصدر هو اللاهوت، والفاعلية والقوة هي بسبب الاتحاد الأقنومي.

الرعب السائد نتيجة سوء استخدام المصطلحات اللاهوتية:

بسبب سوء استخدام كلمات مثل: اتحاد، تألُّه، تبني ... إلخ ظلَّ جيلٌ سابق -كنا منه- يسمع على مدى أربعين عامًا عبارات مجنونة ... أنت أصبحت المسيح .. أنت أصبحت مثل الله قادر على كل شيء، وموجود في كل مكان .. إلى آخر ذلك من عبارات تكشف عن جنونٍ مُطبِق. ولكن يجب أن يترسخ في أذهاننا أن هناك ثلاثة أسباب وراء هذا الجنون:

السبب الأول: هو إنكار أُلوهية النعمة.

وأدعوك عزيزي القارئ أن تتأمل ما قاله رسول الرب: نحن ورثة الله ووارثون مع المسيح، والروح القدس نفسه، أي الأقنوم، يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله (راجع

رو ٨: ١٨-١٧)، فهل يمكن لقدرةٍ أو طاقةٍ أو قوةٍ أن تجعل أيَّ إنسانٍ منا أن يجلس على عرش المسيح نفسه، أي عرش الأُلوهة: "مَن يغلب فسأعطيه أن يجلس معي على عرشي كما غلبت أنا أيضًا وجلست مع أبي على عرشه" (رؤ ٣: ٢١)؟ ولاحظ فعل "سأعطيه"، ولاحظ أيضًا أن عرشَ الأُلوهة هذا هو عرشٌ واحدٌ للآب والابن. فهل يمكن أن توجد طاقة أو قوة مخلوقة تعطي للإنسان هذا الإنعام الإلهي؟

السبب الثاني: وهو خاصٌّ بتدبير الحياة الكنسية، لأننا بنوال ذات مجد المسيح، وسكنى الثالوث فينا، لا بُد وأن يتقلص سلطان الإكليروس إلى الصفر، ويعود الكهنوت ليخدم بالنعمة؛ لأنه يخدم أخوة الرب. ولاحظ خداع بعض قادتنا عندما أطلقوا اسم أخوة الرب وحصروه في الفقراء والمعوزين؛ لكي لا نبقى نحن جميعًا أخوة الرب!!!

السبب الثالث: هو أن الذين يحاربون مرةً بفقه اللغة، ومرات بقواعد الإعراب، ومرة ثالثة بالبحث الدقيق عن كلمة، .. هؤلاء جميعًا ليس لديهم اختبار مسيحي حقيقي حي، وهم لا يعرفون إلَّا الخطية. وقد قال لي -في هذا السياق- أحد شيوخ الأسقيط: "إذا كنت أنت ابن الله، وكل مسيحي هو ابن الله، لتغيَّرت كل حياتنا، وسادت المحبة والنعمة"[1] حقًا. آمين. فكيف يمكن لمن لم يتذوق حلاوة المحبة الإلهية -وواحدٌ منهم كان يفتخر بأنه الرجل الحديدي- أن يتكلم عن النعمة والمحبة؟

الشبح الذي يطارد أعداء الأرثوذكسية:

منذ بداية خمسينات القرن الماضي، ووصولًا إلى الستينات منه، كان موضوع الشركة في الحياة الإلهية مجهولًا تمامًا، إلى أن صدر كتاب العنصرة للأب متى المسكين، وهنا بدأت جرعة الفهم اللاهوتي الأرثوذكسي في الازدياد. لم يكن

(١) يقصد هذا الأب أن يكون لدينا إيمان حقيقي بأننا أبناء الله، وليس من قبيل الاستعارة، أو ما وُصِفَ -على لسان الأنبا شنودة- بأنه بنوة شرفية.

لـدينا سـوى نسـخ محـدودة جـدًا لـبعض كتابـات القـديس أثناسـيوس. ولم يكـن القـديس كيرلس معروفًـا. وكـان "شـرح تجسـد الابـن الوحيـد" هـو أول ترجمـة عربيـة لكتاب القديس كيرلس السكندري. ثم انفتح باب المعرفة، عندئذٍ شَنَّ الإكليروس حربًا ضد الآباء -وهنا لا داعي لذكر الأسماء، فهذا غير نافع بالمرة- فأُثيرت حملة للتشكيك في أصـالة كتابـات أثناسـيوس، وأُثـير هجـومٌ لا مـبرر لـه علـى القـديس كيرلس السكندري .. وبات علينا أن نكشف عن السبب الحقيقي لهذه الحرب. فالتعليم بالشركة في حياة الثالوث، هو قلب لاهوت الإسكندرية. هـذه الشـركة هـي نعمة لا يستحقها الإنسان. وطبعًا يضع المحاربون الخطية كمانع لهذه الشركة، بينما الشركة هي الدواء الإلهي الذي يقطع جذور الخطية.

ولم يكـن لـدينا بحثٌ واحدٌ عـن النعمـة سـوى شـذرات وعبـارات متفرقـة، ثم مقـال لـلأب متى المسكين. وجـاء د. وهيـب قزمـان برسـالة دكتـوراه عـن النعمـة في كتابات القديس اثناسيوس، ورفض الأنبا شنودة أن يقبل نسخة مجانية قدَّمها د. وهيب قزمان، كهدية. وبالطبع بدأت ترجمات عربية للرد على الأريوسيين — الرد على أبوليناريوس — شرح إنجيل يوحنا .... إلخ

ووقـع المحـاربون في ورطـة؛ لأن التعلـيم الآبـائي بـدأ يتبلـور ويحتـل مكانـه الصحيح، ولكن ظهر الهروب من المواجهة مع الآباء في عدة أشكال:

الشكل الأول: الادعاء بأن مصدر التعليم هو الكتاب المقدس وحده، وهي دعوة إنجيلية بروتستانتية معروفة.

الشكل الثاني: إطلاق موجة من الشك في صحة الترجمات العربية.

الشـكل الثالـث: وضـع اعتراضـات علـى أهـم مـا في الأرثوذكسـية في صـيغ استنكارية، مثل "أنت حتبقى زي المسيح، ولما تتناول وتطلع من الهيكل الناس تسجد لك"، ثم الوقوع الفاضح في هرطقة نسطور بأننا نتناول الناسوت وحده.

الشكل الرابع: محاولة الإفلات من حلول أقنوم الروح القدس فينا، مرةً باسم روح قدس، أي نعمة، ومرةً باسم القوة أو اسم النعمة.

هكذا سرنا، والآن يحتج البعض على استخدام كلمة "أقنوم" للبشر؛ لسببٍ واحد، وهو أن تبقى بيننا وبين الرب فجوةً لفظيةً اخترعها أعداء المحبة الإلهية بقولٍ واحدٍ منهم: "البشر ليسوا أقانيم". وبناءً على ذلك -طبقًا لقولهم- كان على الثالوث أن يرسل ما هو غير أقنوم الابن وأقنوم الروح لكي يخلصنا؛ لأننا أشياء مثل الشجر والصخور والجبال ولسنا مخلوقين على صورة الله ومثاله!!!

حقٌّ يُراد به باطل:

الحق الذي يراد به باطل هو الشركة، فهي حق. والباطل الذي يسعى محاربو الروح القدس إليه هو الادعاء بأننا نصبح مثل الروح القدس.

تاريخيًّا ولاهوتيًّا، تعبير الاتحاد الأقنومي، هو تعبير القديس كيرلس السكندري عن تجسد الكلمة. لا خلاف على ذلك، واتحاد الرب بنا ليس تمثيليةً مؤقتةً، بل هو اتحادٌ أبديٌّ لا انفصال فيه، أخذ قوة البقاء الأبدي من الاتحاد الأقنومي، وهو خاصٌّ بالرب. ولكن الربَّ إذا منع عنّا ما حوَّله في كيانه، ضاع فداء الإنسان. والهجوم على استعمال تعبير الاتحاد الأقنومي له قصدٌ واحدٌ شرير، هو فصل الإنسان عن المسيح. الاتحاد الأقنومي خاصٌّ بالمسيح، ولكن إذا مُنِعَ عنّا ما أثمره هذا الاتحاد الأقنومي، تحول التعبير إلى لفظٍ أجوف. حقًا لا يوجد في كتابات الآباء ما يدل على استعمال هذا التعبير الفائق والخاص بتجسد ابن الله، في وصف العلاقة بيننا وبين المسيح ربنا بأنه اتحاد أقنومي، ولكن الرأس الواحد والجسد الواحد والكرمة والأغصان هي الكلمات الإلهية التي تؤكد هذا الاتحاد الأبدي الذي لم يوصَف بأنه اتحاد أقنومي. لكن اتحاد الله الكلمة المتجسد بالإنسانية، وهبنا فيه هو: الثبات الأبدي — المجد — التبني — والتأله — والقيامة من الأموات — وسكنى الروح القدس سكنى أبدية فينا. هذه هي حقائق وقوام اتحادنا بالرب، ومن ينكرها فهو بعيد تمامًا عن المسيح. هذه النعم لا يمكن أن تصل إلينا ولا يمكن أن ننتزعها، بل تعطى بالاتحاد بالرب يسوع.

لا يوجد مصدر للحياة الأبدية والقيامة من الأموات وميراث الملكوت سوى اتحادنا بالرب. نحن لا ننال هذه العطايا لكي نبقى في انفصال. تأمَّل -عزيزي القارئ- حياة أبدية بدون الثالوث .. ما هو مصدرها؟ وكيف تبقى أبدية؟ هذا مستحيل.

غير أن نور المسيح سوف يطرد هذا الشبح، وسوف نعود إلى الأرثوذكسية، طبعًا بالعرق والتعب والطرد من الخدمة، بل والحرمان من السرائر. ولكن كل هذه لن تمنع نور الحق.

ولا يجب أن ننسى أن الحقَّ فيه إغراءٌ أبديٌّ، جعل شباب قرية العور يحني رأسه للسكين في هدوء؛ لأنه ذاق رؤية ما هو أبدي ونال الثبات في المسيح الرب.

الأرثوذكسية بين الشريعة والنعمة، والارتداد إلى البروتستانتية:

إذن، بدأ حصار الأرثوذكسية بنشر الخوف من الاتحاد بالرب واستبدال الأخلاق الجيدة به. ومع كون الأخلاق الجيدة ضروري جدًا، إلَّا أن ذلك **ليس هو جوهر الإنجيل**، وذلك للأسباب الآتية:

أولًا: يجب أن يكون واضحًا أن الشريعة والنعمة ليستا نسيجًا واحدًا. وقبل أي موضوعٍ آخر، يجب أن يكون واضحًا أيضًا إن محاصرة وتقييد العلاقة مع الله، وشركتنا في حياة الثالوث بأي كلمات -مهما كانت، هي من قبيل وضع اللغة والمفردات والألفاظ، أو حتى المصطلحات اللاهوتية، قبل استعلان النعمة في المسيح، وهذا مرفوض شكلًا وموضوعًا. فعندما وضع المجمع المسكوني الأول في ٣٢٥ قانون الإيمان، واستخدم الآباء تعبير "الواحد مع الآب في الجوهر"، أو "الذي من ذات جوهر الآب"، لم يقصدوا إلَّا أن يكون هذا المصطلح سدًّا منيعًا أمام هرطقة أريوس، دون أن يعنوا أن يكون هذا المصطلح نفسه تعبيرًا عن شركة الأقانيم، أو شرحًا لهذه الشركة، أو شركتنا نحن في حياة الثالوث. فتأكيدُ حقيقةٍ ضروريٌّ جدًا لنفي الخطأ وإبعاد الهرطقات، لكن لا يجب أن يغيب عن الوعي أن

الحقيقـة ليسـت لفظًـا، رغـم دفـاع اللفـظ عنهـا، وإنمـا هـي الحيـاة المسـتعلَنة سـريًا *Mystical* أي التي تعلو على اللفظ.

ثانيًـا: لقـد حـدَّد آبـاءُ القـرن الرابـع والخـامس الشـركة في حيـاة الثـالوث باسـمٍ واحـدٍ، وهـو "الاتحـاد"، وهـو تعبـيرٌ يعـود إلى (رو ٦: ١-٨)، وإلى وحـدة الـرأس والجسد، أي المسيح والكنيسة. ولكن هذا الاتحاد الذي شَرَحَهُ الاتحاد الأقنومي، أي اتحاد اللاهوت بالإنسانية التي أُخذت من القديسة مريم والدة الإله، لم يكن من أجل الآب، ولا من أجل الابن، ولا من أجل الروح القدس، بل "لأجلنا نحن البشر". لم تكن لدى الثالوث ضرورة تدعوه إلى إرسال الابن؛ لأن المحبة ليست ضرورة حتمية تفرض شريعة البذل على الثالوث، بل هي فيض الصلاح الإلهي والجـود الـذي لا يمكـن أن يخضـع للشـريعة، بـل يواجـه الضـرورة بالعطـاء والبـذل، وبسبب الجود والصلاح والمحبة الخاصة للإنسانية جاء الابن وتجسد.

واتحاد الرب بنا لا يحتاج إلى مصطلحات، بل إلى المحبة النارية التي لا تقف عند حدود الألفاظ، بل تعلو إلى الرؤيا الروحية السرية الفائقة التي يمنع المصطلح اللاهوتي انحرافها عن الغاية، وهي الشركة في حياة الثالوث، التي هي شركة محبة لا تقوم بلفظٍ، أو مصطلح، بل بالمحبة المتبادلة التي لا انقسام فيها.

ولكـن يبـدو أن الـذين أعطوا لأنفسـهم حقَّ الكتابة في موضوعات لم يدرسوها، وضعوا "العربة قبل الحصان" كما يقولون في الإعلام. ونحن نقصد مصطلح "الاتحاد الأقنومي" على وجه التحديد. فقد تم حصار المصطلح بغباءٍ شديد من أجل إنكار اتحادنا بالرأس، ربنا يسوع المسيح. فالحقيقة الباهرة التي هي أسطع من شمس النهار، هي أن مـا يخص الـرب يسـوع هـو مُسـتعلَنٌ مـن أجـل الإنسـان، لا مـن أجـل الـرب نفسـه. وشمـس الظهـيرة في نهـار الأرثوذكسـية الـذي لا يعـرف المغيـب، هـو أن الـرب "أعطانـا الـذي لـه". صـحيح أن تعبـير "الاتحـاد الأقنـومي" خـاصٌّ بالمتجسـد؛ لتأكيـد اتحـاد اللاهـوت بالإنسـانية، وتأكيـد أن أعمـال الـرب في الجسـد هـي أعمـال الأقنـوم الواحد والرب الواحد المتجسد، وعلى ذلك يمكننا أن نميِّز أهم الأهداف الشريرة التي يسعى إليها مَن يريدون حصار تعبير "الاتحاد الأقنومي"، ووضعها أمام القارئ:

الهدف الأول: هو إبعاد الرب يسوع عن حياتنا الإنسانية، لعلنا نخلص بالأعمال الصالحة[1]. وربما بسبب انهيار الحياة الأخلاقية، تحولت الدعوة إلى الأخلاق الصالحة هدفًا في التعليم، ولكن حق الإنجيل هو أن الأخلاق الصالحة هي ثمرة الاتحاد بالرب يسوع.

الهدف الثاني: تأكيد "دونية الإنسان" بشكلٍ عام، و"دونية الخاطئ" بشكل أخصّ، الأمر الذي يحذف تمامًا كل إشارة أو لمحة لمحبة الله للخطاة، ولأن الدافع الحقيقي لإبعاد الطبيب يسوع عن الإنسان المريض هو تأكيد عبودية "ودونية الإنسان"، وبالتالي تشديد العقوبات على الخطاة استنادًا إلى ما حدث مع الرب نفسه -طبقًا لاعتقادهم- الذي عوقب على خطايا البشر وعاقبه الله الآب (بالطبع، لا يخفى ما في ذلك من تجديف على المحبة الإلهية).

وما خفي كان أعظم، ونحن نقصد ذلك الجيل الذي دخل إلى الكهنوت خلسةً، وهو فيلق المطاردة وكتيبة الحرب على الأرثوذكسية من داخل الكنيسة نفسها.

حصار اللفظ والمصطلح لـ "النعمة":

عندما نقول إن الابن المتجسد يحلُّ فينا ويتَّحد بنا بالنعمة، فإن "النعمة" تُحاصَر لفظيًا على أنها زائدة، وأنها غير الأقنوم. ولكن التمييز اللفظي لا يجب أن يُحوِّل عمل الثالوث إلى عملٍ بلا أقانيم، موجَّهٍ إلى مَن هم ليسوا أشخاصًا أو أقانيم. فلك أن تخيل -عزيزي القارئ- الثالوث والبشر وعلاقة **لا – أقنومية!!!** كأن هناك فضاءً بين الثالوث والانسانية يملأه شيءٌ اسمه النعمة، أو الطاقة، أو القوة، لا مصدر له، أو أنه مجهول المصدر.

---

(1) كتب مرقس الناسك (رقد في الرب عام ٤٣٠، وهو صديق حميم للقديس كيرلس السكندري، وربما كان رئيس دير في أنقرة (تركيا حاليًا) كتابًا "ضد الذين يظنون أنهم بالأعمال الصالحة يرثون ملكوت السموات". (نُشرت الترجمة الإنجليزية في الفيلوكاليا المجلد الأول ١٩٧٩ ص ١٢٥ - ١٤٦)، وقد قامت منشورات النور في بيروت – لبنان بنشر ترجمة عربية لهذا الكتاب في عدة طبعات.

والسؤال الحاسم هنا: ما هي الغاية التي يضمرونها من وراء الحصول على النعمة، أو الطاقة، أو القوة بدون الأقنوم؟ هل يبتغون ألَّا نحب الثالوث، أم نبتعد وننفصل عن المسيح، أو نطرد الروح القدس، أو نكتفي بناسوت الرب وحده؟ ليس هناك من هدفٍ واضحٍ هنا، سوى ضياع الحياة الأبدية، وهو الموضوع الغائب من الوعي، إذ كيف يصبح الإنسان كائنًا أبديًا بدون الثالوث، وبدون شركة في أبدية الثالوث نفسه؟ هل يوجد شيء اسمه الحياة الابدية خارج الثالوث؟!!!

إن "الحلول والسكنى بالنعمة" لتأكيد تمايُزنا عن المتجسد، الابن الوحيد، لا يجب أن يؤدي إلى تفريغ النعمة من معناها وحقيقتها وزخمها بما يؤدي إلى ما يمكن أن نسميه بـ "دونية النعمة" نفسها (أي فصلها عن العاطي والواهب)؛ لأن هذا يعني –في النهاية– عدم محبة الثالوث للخطاة. وإذا وصل الأمر لفصل النعمة عن الابن، رغم تأكيد العهد الجديد نفسه أنها "نعمة ربنا يسوع المسيح"، فإننا نعود إلى الخلقة الأولى الساقطة. تأمل كلمات القداس الإلهي في كل الكنائس الأرثوذكسية القبطية – السريانية – اليونانية — الأرمينية، عن أن ما نأخذه في السر المجيد هو: خلاصًا – حياةً أبديةً – شفاءً – ميراث الملكوت – الامتلاء من الروح القدس.

عندما يقول الرب: "ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم" (أع ١: ٨)، ويكتفي المطران بنوال القوة دون ربطها بحلول الروح القدس، فكيف تعمل فينا قوة بدون الروح القدس الأقنوم الإلهي الثالث؟

إن القول بأنه لا أقنوم يعمل فينا، يعني ويساوي أننا لسنا أقانيم أو أشخاص. فماذا تبقى إلَّا أن تصبح المسيحية دعوةً لا تختلف إلَّا لفظًا عن اليهودية وغيرها.

في عصر سيادة الفضائيات، وتحوُّل العقائد إلى "مانشيتات" في صحافة هابطة، اكتفوا بالقسم الأول من تعليم الرسول: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس (الشريعة) إذ صار لعنة لأجلنا"، ليس لأن الآب لَعَنَه (وهو تجديفٌ صارخٌ)، ولكن لأن كل مَن عُلِّق على خشبة هو ملعون لأنه جدَّف على الله. ولكن الحاذقين في فن الإعلام توقفوا عند القسم الأول، رغم أن بقية عبارة الرسول: "لأنه مكتوب ملعون كل مَن عُلِّق على خشبة" (غلا ٣: ١٣-١٤). وهكذا حوكم الرب كمجدِّف؛ لأنه قال إنه ابن الله، وعلى ذلك مزَّق رئيسُ الكهنةِ ثيابه. واليوم يُحاكَم كل مَن يقول إنه ابن الآب في المسيح، ويحاول بعض الإكليروس أن يمزقوا ثياب المعترفين بالإيمان .. ويظل المصلوب شامخًا فوق كل الشرائع وكل المصطلحات لأنه ابن الله ومحبوب الآب.

الحلول الأقنومي ...

عدوٌّ مزعوم، ومعارك مختَلَقة[1]

يخوض الأنبا بيشوي معارك لا تدور إلَّا في خياله، ولذلك، يختلِق أعداء افتراضيين لا وجود لهم. ففي مقاله عن الحلول الأقنومي المنشور بمجلة الكرازة — ٢ يناير ٢٠١٥ يصطنع موقفًا لمن أسماهم (البعض)، لكي ينفيه، وكأننا فعلًا بصدد موقف حقيقي، في حين أنه وهمٌ من الوهم.

وهنا يبدو أنه لا زال لدينا طريقٌ طويل مع الذين درسوا اللاهوت دراسةً منزلية. فهؤلاء بلا شك هم أحد الهموم التي تثقل كاهل أُم الشهداء، والذي قد يظل معنا إلى سنوات كثيرة.

مشكلة الأنبا بيشوي الأولى هي أن نيافته لم يدرس اللاهوت دراسة منتظمة في معهد لاهوتي معتبر، وبالرغم من ذلك يتجاسر على تقديم فتاوى يقصد منها بث الرعب، وخلق اتهامات باطلة؛ علَّها تصب في عقول الجهال من الرعاع، فلا يحصد منها إلَّا مُرَّ الثمار.

ففي هذا المقال يختلق المطران معركة لا وجود لها على أرض الواقع، حيث يقول:

"فلا الروح القدس تجسد ولا اتحد أقنوميًا بالناسوت مثلما اتحد أقنوم الكلمة".

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٤ يناير ٢٠١٥.

ولأن المطران لا يستطيع أن ينسب هذا القول لعاقل واحد قال هذا الكلام، حتى ينفيه، لذلك من الواضح أنه يختلق هذا الكلام، فقط لكي يفتح باب الاتهام!!

ومشكلة المطران الثانية هي أنه لا يكتفي باختلاق المعارك، ولكنه يصر على أن يتوهم أن هناك أعداء أسماهم بـ (البعض)، دون أن يُفصِح عنهم، فتجده يقول: "فإذا قال البعض إن الروح القدس قد حلَّ "حلولًا أقنوميًا" على العذراء، فهو لا يقصد أنه اتحد بالناسوت "اتحادًا أقنوميًا"، بل أن أقنوم الروح القدس له دوره في التجسد الإلهي ... ولكنه هو نفسه لم يتجسد".

هذا رائع يا نيافة المطران، ولكن هذه الهواجس لم يكتبها قبطي واحد طوال عصر أُم الشهداء، فمن هم هؤلاء البعض الذين أنطقتهم هذا الكلام؟

ونظرًا لأن الدراسة المنزلية لها تبعاتها، نجده بعد ذلك يقع أسيرًا لتعليم أستاذه (الأنبا شنودة الثالث) عن الحلول المواهبي، وهذه هي كلماته هو: "أمَّا عن حلول الروح القدس في يوم الخمسين، فإننا نفضِّل أن نقول إنه "حلول مواهب" مع أن الذي حلَّ هو أقنوم الروح القدس بلا شك، إلَّا أننا لا نفضِّل أن نسميه حلولًا أقنوميًا لئلا يتمادى أحد -كما يفعل البعض- ويعتبرونه اتحادًا "أقنوميًا" وكأننا صرنا آلهة وكلٌّ منا هو الروح القدس".

وهنا يبدو أن هاجس الأوطاخية ملأ قلب المطران وسيطر على عواطفه، مما دعاه إلى مغادرة واقع الأمور إلى توهمات لم تقم إلَّا في ذهنه هو، وإلَّا فليقل لنا:

١- مَن هم هؤلاء الذين يفضِّلون تعبير "حلول مواهب"؟ في حين أننا لم نسمع هذا التعبير إلَّا من حفنة من أساقفة الأنبا شنودة الثالث، أما الأساقفة الأرثوذكسيون، فإنهم عندما يصلُّون صلاة الساعة الثالثة من الأجبية، لا يفضِّلون طلب حلول مواهب، بل طلب حلول الروح القدس الملك السمائي، وهو هنا حتمًا، الأقنوم.

٢- ومَن هم هؤلاء الذين تمادوا واعتبروا هذا الحلول اتحادًا أقنوميًا؟ فلتعلم

نيافتكم أن الغمز واللمز في الأمور اللاهوتية هو عملٌ لا يليق إلَّا بمهذار أو مدعٍ أو جاهل. لذا عليك أن تذكر أسماء هؤلاء، وأن تقدم أدلة، وأن تقدم الرد عليها، أمَّا التمادي في أسلوب نشر سحب الضباب على التعليم، فهو هدمٌ صريح للأرثوذكسية.

٣- وثمة مسألة أخطر بكثير. يقول المطران: "كما يفعل البعض ويعتبرونه اتحادًا أقنوميًّا، وكأننا صرنا آلهة، وكلٌّ منا هو الروح القدس". فأن يقول كلٌّ منا "هو الروح القدس"، فهو ما لا يتصوره عقل، وإلَّا فليقل لنا نيافته صراحةً مَن ذا الذي قال عن نفسه إنه هو الروح القدس وتمادى إلى هذا الحد الجنوني؟ نحن نؤكد أن نيافته لن يمكنه أن يجيب على هذا السؤال؛ لأن هذا الادعاء محضُ خيالٍ جامح للمطران.

أمَّا إننا صرنا "آلهة"، فذلك هو تعبير الأسفار المقدسة في مزمور ٨٢: ١ وهو ما ورد على لسان رب المجد يسوع المسيح نفسه (يوحنا ١٠: ٣٤)، وعند الآباء، فإذا ما أنكره، فليس ذلك إلَّا لأنه يخاف من تعبير الكتاب المقدس نفسه؛ لأن هذا يحد من سلطانه المدَّعى.

بقيت **المشكلة الأكبر** للرجل الثاني بعد قداسة البابا شنودة الثالث كما كان يطلق على نفسه هذا اللقب الأجوف الذي بلا معنى، ألا وهي أن يجد إجابات أرثوذكسية على هذه الأسئلة:

١- هل نحن لنا شركة في المواهب بدون الروح القدس نفسه، أي شركة مواهب بدون الأقنوم؟ أرجو أن يجيء ردك صريحًا بلا لف ولا دوران، ولن أضع أمامك ماذا تعني الشركة في المواهب بدون الأقنوم الثاني؟

٢- هل شركتنا في الروح القدس هي شركة أبدية (٢كو ١٣: ١٤)؟ وكيف يمكن مصالحة ذلك مع المواهب التي ليست كلها أبدية؟

٣- وحيث أنك استندت إلى كلمات الرب في (يو ١٤: ١٦) عن مكوث الروح القدس معنا إلى الأبد، فهل يعطيك الروح القدس الأقنوم "الفاعل في

الأسرار الكنسية" جسد ودم الأقنوم الثاني ربنا يسوع المسيح، أم يعطي لك مواهب؟ أليس هو الذي يحول الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه، وهو لذلك يعطي لنا الابن المتجسد، وذلك غير المواهب تمامًا؟

بقى جانبٌ آخر، هو أخطر ما يمكن أن يُقال عن المسيحية، وهو إذا كان لنا اتحادٌ بالثالوث، أي اتحادٌ حقيقيٌّ، فهذا الاتحاد الحقيقي لا يمكن أن يكون بواسطة مواهب. أمَا وقد حلَّت المواهب في فكر الأنبا بيشوي محل الأقنوم، وهو ما جعله يفضِّل تعبير "الحلول المواهبي"، فليعلم أن ذلك تعليمٌ غريب، بل وشيطاني؛ لأن السؤال الذي يتوجب عليه أن يُجيب عنه: هل نعمة الحياة الأبدية هي حياة أخرى غير حياة الله نفسه "العظيم الأبدي"؟

هكذا إذن يعبث المطران، ويختلق عبارات جوفاء ويلف ويدور ويدَّعي على (البعض) ما لم يقولوه، وليس ذلك إلَّا تعبيرًا عن هواجس هراطقة: أولها هرطقة أوطاخي الذي تخيل أن اللاهوت أذاب الناسوت مثل قطرة عسل في بحر من الماء، وثانيها خيال كل الأريوسيين الذين قدموا مدرسة انفصال الثالوث عن المؤمنين باعتبار أن حلول الثالوث فينا غير جائز، ولذلك جاءت الأريوسية الجديدة لتقول إنها تفضِّل الحلول المواهبي، دون مرجعية لهذا التفصيل!!!

على أن ما يُحمَدُ للمطران في هذا المقال هو تراجعه عن استخدام اسم "روح قدس" إلى "الروح القدس"[١]، فهذا تراجعٌ جيد، بل ومطلوب ولكنه لم يستطع أن يتخلص من شبح الأوطاخية القابع في وعيه، ولذلك يُصِر على بث الرعب في قلوب المؤمنين بتحولهم إلى آلهة، إذا استخدموا هذا التعبير أو ذاك. هذا الشبح يمنعه هو نفسه من أن يستوعب أن ناسوت الرب نفسه لم يتحول إلى لاهوت، فكيف يحدث للمؤمنين ما لم يحدث في جسد الرب نفسه؟

---

(١) راجع بحثنا بعنوان: أقنومية الروح القدس بين الإنكار وفساد الاستدلال، جذور للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.

ولكن، حسب الترتيب الكنسي:

- الروح القدس حلَّ على البتول؛ لكي يكوِّن جسد الرب.

- الروح القدس حلَّ على الابن المتجسد؛ لكي ننال مسحةً فيه.

- الروح القدس حلَّ في يوم العنصرة؛ لكي ننال مواهب الخدمة، ولكي تُبني الكنيسة.

- الروح القدس يحلُّ على مياه المعمودية؛ لكي نولد من الماء والروح.

- الروح القدس يعطى في مسحة الميرون؛ لكي نصير هيكل الله، ويسكن فينا الثالوث، ولذلك كلمة الرب يسوع في (يوحنا ١٤: ١٦) تعني سكنى الثالوث القدوس فينا إلى الأبد.

وبالتالي ليس كل حلولٍ للروح القدس هو لمواهب، لأن الحلول على الخبز والخمر هو لاستعلان جسد الرب ودمه بعد أن يتحول الخبز والخمر.

وبعد:

- هل يتحد الروح القدس بنا؟ نعم، إلى الأبد؛ لأن المواهب ليست أبدية.

- هل نتحول نحن إلى الروح القدس؟ بكل تأكيد لا؛ لأن الأسفار المقدسة والآباء والصلوات لم تقل لنا مطلقًا إن الروح القدس إذا سكن فينا، نفقد طبعنا الإنساني، أو أن اتحاد اللاهوت بالناسوت في الرب الواحد يسوع المسيح جعل الابن المتجسد يفقد إنسانيته. ولكن أوطاخية المطران تقف حجر عثرة يمنعه من قبول التعليم بسكنى الروح القدس. ليرحمه الرب ويرحم شعب الكنيسة.

ملحوظة هامة:

مقالات الأنبا بيشوي عن إيفاء العدل الإلهي، والموت النيابي، وأخيرًا الحلول الأقنومي هي فضائح عقائدية، لا يجب أن تسهم مجلة الكرازة في نشرها.

رُعبُ الشِّركِ، وأبديةُ الشركةِ
تفنيدٌ لخرافات ٤٠ عامًا[١]

تمر أمامي أحداث ولقاءات ٤٠ عامًا مضت، ونحن -للأسف- ننهض من حفرة لنسقط في حفر أخرى، كانت حفرة عطية المواهب بدون الواهب نفسه، إحدى هذه الحفر. تلك التي وصفها المتنيح القمص ميخائيل إبراهيم بلغته السهلة الواضحة: بأنها "دي محبة ناقصة"، يعني نأخذ حاجة تشبع احتياجات النفس، وهي المواهب، وليس الله نفسه النصيب الصالح الواهب الحياة. بلاش الكلام ده. قول الروح القدس، وسيب كل واحد يختبر، إمَّا محبة الله الكاملة، أو المحبة الناقصة، وبلاش إزعاج للكنيسة".

كان ذلك التعليم (تعليم الحلول المواهبي) هو التعليم السائد في الإكليريكية، وتربى عليه أكثر من جيل. وكان هذا التعليم يضايق القمص مينا المتوحد، وكان يقول: "ده لغو ولعب بالكلام". وتمر السنوات بلا بحث، وبلا حوار، ليصبح أسقف التعليم بطريركًا للكنيسة ومعه أجندته الخاصة، والتي حوَت:

أولًا: حلول مواهب الروح القدس، دون الروح القدس نفسه.

ثانيًا: إنكار شركتنا في الحياة الإلهية، وهو صاحب عبارة جوفاء: "شركاء في العمل"، ولم يقل لنا ما هو العمل الذي يمكن أن يكون فيه شريكًا لله.

ثالثًا: تبني التعليم بموت المسيح العقابي والنيابي على عود الصليب، وهو تعليمٌ ساد في أوساط الكنيسة الإنجيلية شرقًا وغربًا، ودافع عنه كِتاب علم اللاهوت النظامي.

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٠ فبراير ٢٠١٥.

رابعًا: إنكار أن الرب سلَّم جسده ودمه في العلية للتلاميذ، وحدَّد بعبارات قاطعة في مقالة له عن خميس العهد نُشرت في كتاب ٥ تأملات في أسبوع الآلام، بأن الرب سلَّم رمزًا ولم يسلِّم حقيقة.

خامسًا: ثم امتد الهجوم على الكنيسة جسد المسيح بالفصل بين جسد المسيح الذي أخذه من والدة الإله، وجسد المسيح في الإفخارستيا، وجسد المسيح الكنيسة، وهكذا تم تمزيق المسيح الواحد إلى ثلاثة أجساد.

سادسًا: ثم تبنى تعليم نسطور بأننا نأخذ جسد الرب، أي ناسوته فقط، دون اللاهوت، وذلك في محاولة منه للإنكار التام للشركة في الطبيعة الإلهية.

ورحل البطريرك، ولكن بقيت الأجندة مفتوحة لكي يتابع تلاميذه نشر ذات التعليم الذي يحاول مطران دمياط الآن التنصُّل منه تدريجيًا، ولكن ما نُشِر على الموقع الخاص به على شبكة المعلومات الدولية، وما يكتبه في مجلة الكرازة يكشف عن أنه يسير في ذات الاتجاه لكي يدمِّر ما تبقى من الأرثوذكسية. ويمكننا هنا رصد مراحل تطور فكر الأنبا بيشوي في الآتي:

أولًا: بدأ بإنكار أن البشر أقانيم. وكلمة "أقنوم" تعني شخص. وإنكار أن البشر أقانيم يعني أنه لا مكان لصورة الله في الإنسان عند الأنبا بيشوي، وهكذا يكون قد أنكر أننا صورة الله في آدم الأول، وأنكر أيضًا أننا صرنا صورة الله بمجد الابن الوحيد. وإنكار الصورة الإلهية يعني أننا لسنا أشخاصًا، بل آلات أو أشياء؛ لأن الثالوث في وعي المطران هو صفات فقط لجوهر الله، أو جوهر اللاهوت.

وقد حاول المطران التنصل من هذا التعليم، ولكنه فشل في تأكيد شركة الأقانيم، وهي الشركة التي فُتحت لنا بالتجسد والصلب والقيامة والصعود وانسكاب الروح القدس؛ لأن الابن له المجد أدخل الانسانية التي أخذها من والدة الإله في شركة جوهر اللاهوت. فقد هدم المطران الشركة التي وضع أساسها الرب يسوع نفسه عندما هدم الموت وأباده؛ لأن المطران حوَّل موت المسيح إلى دفع ثمن "وإيفاء العدل الإلهي"، ولم يشرح لنا مثل غيره من الإنجيليين ما هو إيفاء العدل الإلهي، واكتفى –معهم– بأن

بالقول بأن الآب صَبَّ غضبه على الابن المصلوب -وكما قال أستاذه الأنبا شنودة- وتنسَّم رائحة الرضى، فقد شبع الآب من التشفي[١].

بالطبع، إيفاء العدل الإلهي حقه، يتمثل في أن يتحول الفداء إلى عملية قانونية غير أقنومية؛ لأن الابن الأقنوم هو الثمن، والبشر ليسوا أقانيم أو أشخاص، بل هم بدورهم أشياء تكتفي بأن ترى ما دُفع من ثمن، وتؤمن بالثمن الذي دُفع منذ ما يقرب من ٢٠٠٠ سنة، وبالتالي يصبح المصلوب فكرة، ويسقط في ذاكرة الإنسان كفكرة، دون أن يبقى هو الشخص الحي الأقنوم الذي يدخل في شركة مع الأشخاص من البشر لكي يعطي لهم حياة. وبالتالي كان طبيعيًا أن يقدِّم الأنبا بيشوي نفسه -لمن قادهم حظهم العاثر أن يحاكمهم في محاكمات كانت تطول من الليل حتى الفجر- بأنه "إللي بيشوي". ونقول إن هذا التقديم طبيعي؛ لأنه استلم من أستاذه أن الآب أشعل نار العدل الإلهي في الابن حتى تحول إلى رماد[٢]، وهو ما دعاه هو نفسه إلى أن يجعل من خشبة الصليب الحطب الذي اشتعلت فيه النار يوم جمعة الصلبوت، فأصعدت رائحة الشواء[٣] (لاحظ عزيزي القارئ أن الأنبا بيشوي يقول ذلك عن شواء الابن المتجسد)، وبالتالي ليس أقل من أن يقدم الأنبا بيشوي نفسه -للخطاة- بأنه "إللي بيشوي".

ثانيًا: ويجد المطران في تمييز عقيدي أخذت به الكنيسة البيزنطية بين جوهر الله والنعمة والقوة والطاقة، المنفذ الذي يفتح له باب الهروب من هرطقة أستاذه، ولكنه يسقط في بدعة أنوميوس؛ إذ حَسِبَ الروح القدس قوةً وطاقةً[٤]، وقال إننا

---

(١) راجع ذلك في كتاب مجموعة تأملات في أسبوع الآلام، ٥ كتب للبابا شنودة الثالث. راجع أيضًا مقالة الأنبا بيشوي عن عقيدة الكفارة.

(٢) المرجع السابق.

(٣) راجع ذلك في محاضرة له مسجلة على شريطي كاسيت بعنوان العلاقة بين الأقانيم، مؤتمر الحياة الكنسية ١٩٩٨، أسقفية الشباب.

(٤) ناقشنا ذلك بالتفصيل في كتابنا: الطبيعة والجوهر والقوة الأقنومية لأقانيم الثالوث الواحد، جذور للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.

نحن لا نأخذ الروح القدس، بل "روحًا قدسًا"[1]، وكتب ذلك في بحث له قدَّمه في الحوار الدولي مع الكنيسة الإنجليزية، فجلب على أم الشهداء عار الجهل وضحالة الفهم والعجز المعرفي.

والطاقة، طبقًا لمفهوم المطران، = لا شخص، بمعنى أن الله لا يتعامل معنا بشخصه، وبالتالي فهي تعطى لمن هو ليس شخصًا، بل هي قوة تعطي لأشياءٍ هم البشر. وغاب عن المطران أنه عندما نفى علماء الكنيسة البيزنطية الشركة في الجوهر، فقد كان لديهم تسليم كنسي، مؤداه أن في الشركة معرفة، ومعرفة أو شركة جوهر الله تعني أننا سوف نفهم حقيقة الكيان الإلهي ونعرف الله، كما يعرف الله نفسه، وهذا مستحيل على أي مخلوق حتى الملائكة. ولكن شركتنا في النعمة هي تألُّه الإنسان وخلوده ومعرفته بالقوة والنعمة، لكن يظل سر الكيان الإلهي خفيًا. ويبدو أن دراسة المطران المنزلية لم تسمح له بالاطلاع على علماء الكنيسة البيزنطية مثل: لوسكي – مايندروف – وأخيرًا بابادوبولوس، وقبل هؤلاء جيشٌ من علماء سبقوهم ونُشرت أبحاثهم باللغات الأوروبية كلها بما فيها اللغة الروسية.

لكن ما هو جوهر المشكلة بعد ما نَشَرَ من سخف ومحاولة إرعاب المؤمنين؟

– الشِّركُ في الدين الحنيف، هو إضافة مخلوق إلى الخالق، ثم عبادته مع الله الواحد. هذا شِركٌ بالله. وهذه مسألة فقهية حارب فيها الإسلامُ الوثنيةَ وتعدد الآلهة. هذا هو تاريخ الإسلام.

– إنكار الشِّركِ إذن هو قاعدة إسلامية خاصة بالإسلام، وهي قاعدة صحيحة وحق، ولكنها تحولت عند الأنبا شنودة والأنبا بيشوي إلى قاعدة لإنكار الشركة، بالرغم من بُعد الشُّقة بين الاثنين، فإذا كان الشِّركُ هو عبادة آخر مع الله، فإن الشركة هي الخلود وحياة الدهر الآتي وسكنى الروح القدس فينا.

---

(1) راجع ردنا على هذا الادعاء بالتفصيل في كتابنا: أقنومية الروح القدس بين الإنكار وفساد الاستدلال، جذور للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤.

– أساس الشركة هو تجسد الابن ووحدة جوهر الثالوث. وعندما نقول في التسبحة: "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له"، فنحن هنا بصدد شركة لا شِرك. لأن الوسيط والرأس يسوع، هو الذي أدخلنا في شركته مع الآب والروح القدس، فإذا كان المطران يستطيع أن ينكر ذلك، فليقل هذا صراحةً، وإلَّا فلا داع للتشويش على العقيدة المسيحية بما ليس فيها أو منها، رحمةً بالكنيسة جسد المسيح.

– ولكن يبدو أن الاتهام بالشِّركِ كان له هدفٌ سياسي لا يخفى على أي عاقل، وهو سبب الخلط بين الشرك والشركة، بعد أن تعذَّر عليه الرد المسيحي اللاهوتي والأرثوذكسي. فعندما يلجأ البابا شنودة الثالث إلى الفقه الإسلامي الخاص بالدين الحنيف **الذي لا يقبل الثالوث أو التجسد أو حلول الروح القدس**، مستندًا على نص تحريم الآلهة: "لا يكن لك آلهة أخرى"، فهو هنا ينفي الشركة، لا الشِّرك. وعندما يلجأ بطريرك الكنيسة القبطية إلى ذات القاعدة التاريخية الإسلامية، فهو هنا يخطو خطوة واسعة خارج الشركة، بل خارج الإيمان. ولذلك كان طبيعيًا أن يرعب الناس بعبارات من قبيل إن من يشترك في طبيعة الله، يصبح مثل الله، يسجد له الناس، قادرٌ على كل شيء ... الخ إذ يفقد الإنسان إنسانيته تمامًا. وهي فكرة تعود إلى الراهب الشرير أوطاخي الذي لم يُحب جسده، وسبقه في ذلك أبوليناريوس الذي كره النفس والعقل؛ لأنه مصدر الشر، وبناءً على ذلك تصوَّر أن الابن المتجسد أخذ جسدًا بدون نفس إنسانية ولا عقل إنساني، وتم حرم التعليم والشخص معًا.

ولأن المطران لا زال أسيرًا لتعليم أستاذه، نجده في مقاله المنشور في مجلة الكرازة في ٢ يناير ٢٠١٥ يقول إن حلول أقنوم الروح القدس يحوِّل الإنسان إلى الروح القدس. وهو بذلك يستخدم ذات القاعدة، أي قاعدة نفي الشرك، إضافة إلى استخدامه القاعدة القديمة التي أسس عليها أوطاخي هرطقته، وهي قاعدة تدمر الحياة الأبدية؛ لأنها تنكر الشركة.

رعبُ الشِّركِ والحلول الأقنومي:

بدايةً، نحن نحمد للمطران عدم سقوطه في هرطقة نسطور مثل أستاذه؛ فهو يعرف أن تناول الناسوت وحده هو ما صرَّح به نسطور، وحوكم عليه في مجمع أفسس ٤٣١ ولذلك، فإن ما لديك من صواب يا نيافة المطران، نشكر الله عليه.

لكن رعبَ الشِّركِ لديك جعلك تكتب عبارات تحكم عليك بأنك لا تؤمن أصلًا بتجسد الابن، ولا بألوهية الروح، ولا بعطية الحياة الأبدية. ويمكننا أن ندلل على ذلك مما يأتي:

أولًا: اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص وأقنوم الرب الواحد يسوع المسيح:

لقد جعلنا -حتمًا- تنازل الابن وتجسده "نزل من السماء وتجسد .."كما نعترف في قانون الإيمان، واحدًا معه.

* هو الكرمة ونحن الأغصان (يوحنا ١٥: ١).

* هو الرأس ونحن جسده، وليس مجرد جسد آخر، بل "جسد المسيح".

- هل يمكن فصل الكرمة عن الأغصان؟ الغصن الذي يُفصل يموت.

- هل يمكن لعضو أن يبقى حيًا إلى الأبد بدون الرأس يسوع؟ هو حتمًا سيموت؛ لأن الحياة التي من الرأس لم تُعط له (١كو ١٢: ٢٧ كولوسي ٢: ١٩).

- وإذا كان لنا هذا الاتحاد، وهو ذات الاتحاد الذي يُعطى في "سر السرائر" الإفخارستيا، فهل هو اتحاد أقنومي لأقنوم الكلمة المتجسد بنا؟ نعم، وإلَّا صرنا أغصانًا بلا كرمة، وأعضاءً بلا رأس.

لكن المطران يفصل تعبير "الاتحاد الأقنومي"، و"الحلول الأقنومي" عن الاختبار المسيحي لهذا الاتحاد؛ لأنه مثل أُستاذه؛ يستخدم أسلوب "النفي" قاعدة لإثبات وجهة نظره، فهو يستخدم قاعدة نفي الشرك في الإسلام، وهي خاصة بنفي الشرك فقط، ويجعل منها قاعدة في دين المسيح، الذي فيه الإنسانية والبشر

هم:

- هياكل الروح القدس

- جسد المسيح الكنيسة.

وكلا التعبيرين لا يعرفهما القرآن ولا السُّنة، ولا علاقة لهما بالدين الحنيف.

وبالرغم من ذلك، تأتي فزّاعة ورُعب الشِّرك في عباراتٍ قيلت على لسان أستاذه: "يعني أنت إذن المسيح؟"، "يعني أنت إله، ولما تطلع من الهيكل بعد التناول الناس تسجد لك؟". وهو ما لم يحدث مطلقًا، ولم يخطر إلَّا على قلبٍ مملوءٍ بالفزع والرُّعب من نعمة الله؛ لأن الإنسان القاسي القلب يرفض النعمة؛ لأنها تتعارض مع ما في قلبه وفكره من قساوة.

وهكذا تبدو مأساة المطران في أن رُعبَ الشِّرك ملك عليه فكره، رغم أنه قادر على أن يفكر بحرية بعيدًا عن أستاذه، وعودته إلى الأرثوذكسية مكسبٌ كبير، إذا استطاع أن يتخلص من الولاء لسيده وولي نعمته.

* هل نحن نتَّحد بالمسيح الرب مثل اتحاد لاهوته بالناسوت الذي أخذه من القديسة مريم؟ والجوابُ صعبٌ، ولكنه هيِّنٌ على من ذاق المحبة الإلهية.

* هل اتحادنا بالرأس هو ثمرة اتحاد اللاهوت بالناسوت في الرب الواحد؟ وحتمًا الجواب بالإيجاب، وإلَّا كيف يكون المسيح فينا، وما الذي يجعلنا جسده؟ وما الذي يوحِّدنا به؟ أليس هذا هو أحد ثمار تجسد الرب؟ هل هو نفس الاتحاد؟ يعني الاتحاد نفسه؟ نعم، والرد نجده في (رو ٨: ٣٥)، إذ لا انفصال في المحبة.

والمحبة التي نقصدها ليست هي التي وجدناها في أدبيات مصر كلها من أحمد شوقي إلى رامي وغيره من الذين كتبوا أشعار الحب والهيام، تلك ليست هي جوهر الحياة الإلهية. ولذلك، الذين تعلموا المحبة من أم كلثوم أو عبد الحليم حافظ أو غيرهما، أتقنوا فقط المشاعر النبيلة الإنسانية الفخمة في حب الوطن، وهو واجب إنساني، وحب الآخر، واتقنوا لغة العشق "الحلال". لكن ما أبعد الفرق بين هؤلاء

البشر من عظماء الفن، والثالوث الذي هو "شركة المحبة"، وعطاء كل أقنوم كيانه إلى الأقنوم الآخر. وحتى عندما تغني أم كلثوم: "الله محبة — الخير محبة — النور محبة"، فهذا رغم ما فيه من نبل وشرف وجمال، لا زال بعيدًا جدًا عن (يوحنا ٣: ١٦، يوحنا ص ١٧)؛ لأن المحبة الإلهية ترفع العبد إلى مجد التبني، وهو شركة كيانية وليس شركة شرفية، كما قال أستاذ المطران.

ثانيًا الوسيط والمصالحة:

عندما حاصر المطران موت الرب يسوع على الصليب في "إيفاء العدل الإلهي"، ضاع منه دور الوسيط، والرأس، والبِكر، ورئيس الكهنة، والعريس، كلُّ ذلك ضاع في ضباب دفع الثمن. في حين أن:

* لقد توسط المسيح يسوع لا لكي يسدد الديون، بل لكي يعطي لنا شركة في حياته، ولذلك يقول رسول المسيح: "لكي أُوجد فيه" (فيلبي ٣: ٩).

* وصار الرأس الذي منه تولد وتنمو كل الأعضاء، لكي تظل حيَّةً (كولوسي ٢: ١٩).

* وهو البِكر بين إخوةٍ كثيرين؛ لأننا دُعينا لكي نكون مشابهين له (رو ٨: ٢٩)، والمشابهة لها سببٌ ظاهر، وهو أننا من لا شيء وُهبنا ما لا نملكه، وبالتالي نصير مثله؛ لأن كياننا الإنساني لا يملك ذات الحياة التي للرب، بل ينال هبةً وعطيةً ترفعه إلى مجد الابن الوحيد (يوحنا ١٧: ٢٢). ومن هنا جاء التعبير "مشابهين لصورة مجده"؛ لأن المجد ليس طبيعةً فينا، ولن يصبح طبيعة، أي واجبة الوجود، طبيعة ذاتية خاصة بنا، بل طبيعة تحيا بالنعمة وحسب عطاء النعمة.

* وهو رئيس الكهنة الذي دخل إلى قدس الأقداس، ولا زال يخدم المسكن السماوي، ويُقدِّمنا إلى الله الآب لكي نكمُل كما كَمُلَ هو، وهو لُب وجوهر رسالة كاملة، هي الرسالة إلى العبرانيين.

* والمصالحة لم تكن لدفع الديون –هذا تجديفٌ على نعمة الله– بل أُعطينا الحياة، صارت لنا حياة "نحن الأموات بالذنوب والخطايا أحيانا معه" (أفسس ٢: ٤،

كولوسي ٢: ١٣)، وصُولحنا بموت ابنه لكي نخلص بحياته؛ لأن بولس لم يكن بروتستانتيًا يفصل الصليب عن القيامة (راجع رومية ٥: ١٠).

هل أدركت -عزيزي القارئ- شناعة التعليم السائد والسقوط المتدرج نحو فراغٍ انتهى إلى إنكار اتحادنا بالمسيح؟

ماذا يعني إنكار اتحادنا بالرأس؟

الرأس هو الأقنوم المتجسد. هو رأس الكنيسة، وإذا تم إنكار هذا الاتحاد:

١- لتعذَّر علينا أن نقف عند المذبح، فلا ذبيحة، بل ذكرى (تعليم الشِّيَع الإنجيلية)؛ لأننا نشترك فيه هو، في المسيح كله لاهوتًا وناسوتًا.

٢- وتعذَّر علينا أن نصلي باسمه. ولذلك أضافت كنيستنا إلى الصلاة الربانية: "بالمسيح يسوع ربنا"، وهي إضافة ليتورجية تهدف إلى إنكار الأريوسية. كيف نصلي ونحن نحيا في انفصال عن الواحد الذي وحَّد السماء بالأرض، وجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد (يوحنا ١١: ٥٢) وهم -حسب فزاعة المطران- لا زالوا متفرقين.

٣- وتعذَّر علينا ممارسة السرائر، لا سيما المعمودية؛ لأن واهب هذا السر هو الآب بالابن في الروح القدس، حسب التسليم الكنسي.

٤- وضاعت علينا مسحة الميرون بمسحة الحياة الأبدية، فلا حياة أبدية لمن يحيا في انفصالٍ عن الثالوث.

٥- وتم هدم وحدة الكنيسة جسد المسيح، لأنها في هذه الحال ليست جسده، بل هي -كما هو سائد في التعليم الشعبي- "جماعة المؤمنين"؛ لأننا لا يمكن أن يوحِّدنا ناسوت المسيح وحده، بل الذي يوحِّدنا هو الإله المتجسد، واهب الحياة الجديدة، والذي يجمع أعضاء جسده: "حتى أننا من لحمه ومن عظامه" (أفسس ٥: ٣) لأن هذا هو اتحاد أقوى من اتحاد الرجل والمرأة، وأعظم من اتحاد آدم وحواء (أفسس ٥: ٣٢).

تلك، وغيرها بمثابة ثبتٍ لأخطاء ٤٠ عامًا مضت، وما أوصلنا إليه العناد في عدم التصدي لها وما ترتب عليها من نتائج، نضعها أمام القارئ حتى نعي معًا درس التاريخ، فلا نسقط فيما سقطنا فيه في الماضي من حفر. وكل رجائنا أن الرب سوف يرسل لنا حتمًا، أساقفةً أرثوذكسيين، لهم ولاءٌ للمسيح وحده، وليس لمن أعطاهم كهنوته هو، لا كهنوت الرب.

جسدٌ واحد، وأعضاء متنوعة حسب الموهبة

(١ كور ١٢: ١٢ - ٢٧)[١]

ليس هذا شرحًا أو تعليقًا على كلمات رسول رب المجد يسوع، ولكنه قصة بداية تفتُّح الوعي الجديد على "الخلقة الجديدة"[٢].

سألني القمص مينا المتوحِّد: هل تصلي معي صلاة استدعاء الروح القدس أثناء القداس الإلهي؟ وفوجئت بالسؤال. فقلت: لا. فقال لي: ليه؟ فقلت: لأنها صلاة الأب الكاهن. فقال: يعني لو كان ده صحيح، فلماذا يصلي الكاهن بلغة الجمع: "ارسل علينا وعلى هذه القرابين"، كما في سائر القداسات حتى في كنيسة الروم الأرثوذكس. ثم توقف عن الكلام، وقال لي: طيب صلِّ زي أبوك ما بيصلي: **يا رب يا مَن تحوِّل هذا الخبز وهذا الخمر بروحك القدوس، حوِّل جسدي بروحك القدوس وبالشركة في جسدك ودمك لكي يكون جسدك وخادمك في هذا العالم**. قول معايا وردد هذه الكلمات عدة مرات. وصارت هذه الصلاة صلاتي، وانفتح الوعي الداخلي على رؤيا أعظم وأكمل ...

وعندما سألته: كيف أُصبح جسد المسيح؟ قال لي: السؤال غلط. والسؤال الصح هو: لماذا وليس كيف؟ "كيف" هي اقتحام وتحديد لعمل النعمة، ولكن "لماذا"، هي استفهام لطلب لمعرفة، وبعدين تفهم كيف. ثم قال لي: **يا حبيب**

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٨ فبراير ٢٠١٤.

(٢) "الخِلقة الجديدة" هو التعبير المفضَّل عند الأب متى المسكين، وهو الأصح لغويًا -من حيث تعبيره عما تم في التدبير- من تعبير "الخليقة الجديدة"؛ لأن الخِلقة بكسر الخاء هي الفِطرة، والفِطرة هي الابتداء والاختراع، والفعل فَطَرَ، أي خلق. ف "الخِلقة الجديدة" هي عمل المسيح في الكون الذي تم بالتجسد، وهو عمل جديد في الكون كله حيث صار الكلمةُ جسدًا، فيسوع هو الإنسان الجديد، الخلقة الجديدة. وحسنًا قال القديس يوحنا الدمشقي: لا جديد تحت الشمس إلَّا ربنا يسوع المسيح.

أبوك، أحد أسباب ومصادر الخطية في الإنسان هو أنه يشعر أن جسده هو مِلْكٌ خاص له، والرب الذي فدانا لا علاقة له بهذا الجسد. لكن يا ابني الطاعة الحقيقية وإخضاع الجسد للرب تبدأ بأن يصبح جسدك مِلْكًا للمسيح، ولذلك في استدعاء الروح القدس نحن نتحول مع الخبز والخمر لكي نكون جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا، كلٌّ مع الآخر ومع المخلِّص نفسه.

وتقدمتُ في الفهم قليلًا ... وتمر أيامٌ لا أدري عددها، وبدأ اهتمامي بالكنيسة جسد المسيح، وكان كتابا العنصرة، والكنيسة الخالدة مثار جدل عقيم لا ينتهي. وللتاريخ فقط، لا من أجل أي إنسان مهما كان هذا الإنسان، أذكر أن قداسة البابا كيرلس السادس كان يشجع كل مَن يسأله على قراءة كتب الأب متى المسكين، ولم أسمع منه كلمة ذم واحدة في الكتب التي صدرت وقرأها، ولم يُصدر أي قرار خاص بها.

لكن التحول إلى جسد المسيح -كما جاء أعلاه- كان يُواجَه "بفكر غير كنسي". وكان التحذير الدائم الذي سمعته من القمص مينا المتوحِّد هو الحَذَر من "**العقل الطبيعي غير المستنير بنور الروح القدس**". وكان العقل الطبيعي لدى البعض -دون ذِكر أية أسماء- هو أن للرب جسدًا واحدًا هو الذي أخذه من العذراء. وهنا نلاحظ أن العقل الطبيعي قد توقف عند هذه الحقيقة التاريخية المعروفة للكل، ونسيَ أن المولود في بيت لحم هو:

- آدم الجديد، أو الأخير
- الله الكلمة المتجسد
- هو رأس الخِلقة الجديدة الذي جاء لكي يجمع كل شيء تحت رأسه كما ذكر الرسول في أفسس ١: ١ — ٣.

وهكذا ظلَّ تعدد جسد المسيح مسألةً بيولوجيةً غير سرائرية *Sacramental* بل ولا حتى على مستوى السر *Mystery* فقد أصبح "حِسبة"، تذكِّرني بالتسمية التي أثارت الكثير من الجدل "احسبها صح".

على أن قواعد الحساب في السر، ليست مثل قواعد الحساب في الرياضيات.

الحساب حسب السر

الواحد الذي يجمع هو الله الكلمة خالق كل الأشياء، الذي اشترك معنا في ذات الإنسانية (أحاول الابتعاد قدر الإمكان عن كلمة "طبيعة"؛ لأنها كلمة مجردة عقلية). والإنسانية، أي إنسانيته، هي المساحة المشتركَة، وهي الخط الواحد الذي يجمع الكلمة المتجسد بالإنسانية، ولكننا لا نتحدث هنا عن إنسانيته فقط؛ لأن أي حديث عن إنسانية الرب وحدها هو عودة إلى الأريوسية تحت غطاءٍ من تقوى مزيَّفة تنكر تجسد ابن الله.

التعبير الآبائي المُحكَم

في شرح إنجيل يوحنا ١٠: ١٥ يقول القديس كيرلس السكندري:

"لأن كلمة الله وهو في الجسد، له الطبيعة الإلهية ونحن له أقرباء γένος رغم أنه الله بالطبيعة؛ لأنه أخذ ذات الجسد الذي لنا. لذلك فإن سكناه οἰκειότητος في الجسد يشبه سكناه فينا. وكما أن له علاقة خاصة ὠκείωται بالآب، والآب له ذات العلاقة الخاصة معه بسبب وحدة الطبيعة (الإلهية)، فإننا نحن لنا علاقة خاصة به لأنه صار إنسانًا مثلنا؛ لأننا من خلاله باعتباره الوسيط μεσίτω قد أتّحَدنا بالآب؛ لأن المسيح صار الحدود المشتركة *Common Frontier* – μεθόριον ὥσπερ τι بين الثالوث والإنسانية، للألوهة الفائقة والإنسانية؛ لأن الاثنين (الألوهة والإنسانية هما في الواحد ذاته يسوع المسيح)، فهو يحفظ أو يجمع كل الذين انفصلوا، وكإلهٍ بالطبيعة هو مُتَّحدٌ بالله الآب، وكإنسانٍ حقيقيٍّ هو مُتَّحدٌ بالبشر" (مجلد ٢: ٢٣٢ – ٢٣٣ – Pusey – وراجع نفس التعبير عن الحدود المشتركة في شرح يوحنا ١٤: ٦ مجلد ٢: ٤١٠).

والحدود المشتركة، هي ما يجمع الكلمة المتجسد بالبشر، والبشر معًا؛ لأنه يأخذ منّا ما هو خاصٌ بنا τα ήων ιδικώς ويعطي لنا ما له τά έαυτού (راجع شرح يوحنا ٢٠: ١٧، مجلد ٣: ١٢٢ - ١٢٣)، أو حسب تعبير التسبحة القبطية: "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له"، وهي عبارة لا وجود لها عند الكنائس الأخرى الأرثوذكسية في التسابيح الأسبوعية، ونرجو ألّا تفقد ما تقدِّمه لنا من نعمة الله[١].

الحدود المشتركة ليست الناسوت، أي الإنسانية وحدها؛ لأنها بذلك تكون تحديدًا مضادًا للتجسد، بل هي ما جَمَعَه الربُّ في كيانه أو أقنومه الواحد.

إذن ما هو الحساب حسب السر؟

* الجسد الواحد لا يتعدد؛ لأن التعدد والتكاثُر هو قانون بيولوجي خاص بالزواج. ومع نفي تعدد وتكاثر الجسد، يصبح من الواضح أن الجسد الواحد هو "جسد الوسيط" الذي "يجمع" ويوحِّد الكل في كيانه؛ لكي يكون الكل -وقد صارت له ذات الطبيعة الجديدة المجيدة- واحدًا حسب النعمة ومتعددًا حسب قواعد حساب الرياضيات، أي تلك التي تجمع بالإضافة.

* أمَّا الجمع بالاتحاد، فهو جمعُ الذين صاروا مثل الابن، أي لهم ذات الصورة الجديدة (رو ٨: ٢٩)، وهؤلاء دُعُوا "إخوةً" بسبب المماثلة، أي لهم ذات الطبيعة، وهم حسب النعمة والمجد الإلهي "واحد".

* الحساب بالعدد يسقط أمام حجة الرسول بولس نفسه في ١ كور ص ١٢ كله، وهو أن الجسد له أعضاء متنوعة، ولكنه جسدٌ واحدٌ مصدره:

الحياة الواحدة = الجسد الواحد.

الروح الواحد والله الواحد والرب الواحد -وهي صيغة ثالوثية- يوزِّع العطايا

---

(١) راجع د. جورج حبيب بباوي، الشركة في الطبيعة الإلهية، جذور للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٠٩ – ١١٩.

المتنوعة التي تجمع الكل في الواحد يسوع المسيح لكي يكون الله "الكل في الكل" (١كور ١٥: ٢٨).

"احسبها صح" حسب السرائر

أولًا: الحساب الصح حسب السرائر هو: ربٌّ واحد، ومعمودية واحدة وجسد واحد وشركة واحدة في جسد الرب ودمه. والحديث الماكر الغامز الشرير عن الإفخارستيا لا يليق؛ لأنه موجَّهٌ ضد الرب نفسه، وله هدفٌ شرير، هو الهجوم على السر كما يُمارَس في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. وسر الأسرار هو شركة الجسد والدم.

وقد طالبنا بنهضة ليتورجية منذ ما يزيد عن ٢٥ عامًا، وشرح لاهوتي للطقوس وليس الشرح الطقسي الذي يُغرق السامعين في الرمز؛ لأننا في حقيقة الأمر، ليس لدينا رمزٌ حسب الشرح البروتستانتي المتأخر في القرن ١٨، بل الرمز كعلامة تدل على ما هو حادث، وما يُعطى.

ثانيًا: ولقد حدث تطرفين: الأول هو محور صلب الرب على الصليب بدون أي ذِكر لقيامة الرب، والثاني هو محور الروح القدس بدون الرب يسوع، وفصل عمل الروح القدس عن التجسد والصلب والقيامة.

بل دار حوارٌ مع أحدهم كان يريد حذف القطعة في القداس التي نصلي فيها: "لأننا فيما نحن نصنع ذِكر آلامه المقدسة ..." وأيضًا مرد الشعب: "آمين آمين آمين بموتك يا رب نبشر وبقيامتك المقدسة ..."، على اعتبار أن العشاء الرباني تم في العلية، وليس له علاقة أو صلة بالموت أو القيامة. ولما سألته: وهل ستحذف أيضًا صلاة استدعاء الروح القدس، باعتبار أن الروح القدس حلَّ بعد خمسين يومًا لصعود الرب؟ صَمَتَ.

يبدو من هذا الحوار أن التاريخ أصبح هو سيد ومفتاح التدبير، أي خطة الخلاص، وأن كل ما يحدث في حياة الرب يمكن فصله عن غيره من الأحداث

حسب موقعه في تاريخ الرب، وهو ما يؤدي إلى ضياع التدبير، وبالتالي يهدم هذا الفكر الشرير، الحدود المشتركة بيننا وبين الثالوث، بل تم تدمير عمل "الوسيط" نفسه الذي -كإله- يجمع الكل ويجعل الكل مثل إنسانيته التي أخذها من العذراء والدة الإله.

ثالثًا: واستخدام تعبير "ذبيحة الصليب" للإفخارستيا بوفرة، حجب القيامة، وأدخل في وعي السامعين أنها ذبيحة موت الرب عنّا، لا ذبيحة موت الموت نفسه وقيامة الحياة، وغابت كلمات ومعاني:

* الذبيحة الإلهية غير المائتة السمائية.

* الجسد المحيي الذي لأبنك الوحيد.

وهكذا جاء التعليم النسطوري الذي يقف خلفه عدد من الأساقفة (بكل أسفٍ) بأننا نأكل الجسد فقط، وليس لنا شركة في أُلوهية الرب، نقول جاء هذا التعليم حربًا على الشركة في الطبيعة الإلهية، وقد تنطع أحدهم بالقول بأن تعبير الشركة في الطبيعة الإلهية هو تحريف لكلمات ٢ بط ١: ٤ في حين أنه لا يوجد مقال أو كاتب واحد نقل كلمات رسول المسيح: "شركاء الطبيعة الإلهية"، وحرَّفها إلى شركاء في الطبيعة الإلهية، لكن واقع الأمر أن الشركاء هم شركاء في شركة، وشركاء الطبيعة لا يشتركون إلَّا في الطبيعة. وما يجب أن ننبه إليه -مؤقتًا، لحين العودة إليه في مقال وافٍ- أن كلمة الله ليست نصًّا يُشرَح حسب قواعد اللغة، بل حسب التدبير[1]. ويكفي هنا للتدليل على ذلك عبارة واحدة من القديس كيرلس السكندري، يقول فيها: "إننا نشترك في البنوة الفائقة لأننا صرنا شركاء الطبيعة الإلهية (٢ بط ١: ٤) بالشركة في الروح القدس" (شرح عب ٢: ١١ – شرح إنجيل يوحنا طبعة P.F. Pusey ص ٤٢٣). علما بأن حرف الجر διά في اللغة اليونانية أقوى بكثير من ἐν.

---

(١) راجع بحثنا عن الإيمان المسيحي بين فقه اللغة والتسليم الآبائي، في كتابنا "موت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء"، جذور للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص ٣٤١ وما بعدها. راجع أيضًا دراستنا: الشركة في الطبيعة الإلهية، دراسة للأصول الرسولية الأرثوذكسية للخلاص، القديس أثناسيوس وآباء الكنيسة الجامعة، جذور للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

لم نكن ندرس القديس كيرلس الكبير في الكلية الإكليريكية، وكان أول ما نُشِرَ باللغة العربية له هو كتاب "شرح تجسد الابن الوحيد". وكانت مخطوطة الترجمة قد رقدت في درج مكتب الأنبا شنودة عامًا كاملًا؛ إذ لم يكن لديَّ مال للطباعة، ولكن تطوع المتنيح الدكتور وليم سليمان قلادة بالطبع، وجمع هو بنفسه نفقات الطباعة والنشر بمساعدة أحد الآباء الكهنة الأفاضل -أرجو له الصحة والعافية- وصدر الكتاب وقدَّمتُ نسخةً منه للأنبا شنودة، ودُهشتُ لأنه صُدِم.

الحديث الأخير قبل نياحة البابا كيرلس السادس

كان الحديث الأخير قبل نياحة البابا كيرلس السادس، وكنت عازمًا على السفر إلى بيروت للعمل، وقال لي: يا ابني أكتب كتاب عن الكهنوت. ولما سألته عن السبب قال لي: الآباء الكهنة أخذوا مكان الرب يسوع. ثم قدَّمت له بحثًا عن الكنيسة جسد المسيح، فقال: فوت عليَّ بكرة علشان أكون قريته. وذهبت في اليوم التالي، فردَّ ليَ البحث مع أسئلة كتبها باللون الأحمر، وقال لي: "جيد هتنشره فين؟" فقلت له: في مجلة مرقس، فقال: ده طبيعي، وصمتَ، ولكنه أضاف: "ده الموضوع اللي هيشغل قلب الكنيسة قول كمان ٥٠ سنة جاية"، ولم أُعلِّق، ولما شاهد الحيرة على وجهي، قال لي: "بكرة تعرف".

حسنًا يا أبي، نزيف الذين يتركون الكنيسة بسبب التعليم لن يتوقف إلَّا إذا توافرت ثلاثة أشياء:

* القدوة والمثال الصالح
* استرداد لاهوت القداسات والليتورجية
* استرداد تعليم الآباء بنشر كل ما لدينا -الآن وليس غدًا- عن كل ما تعلمناه من كتب الآباء. فالترجمة وحدها لا تكفي.

وكفانا هجومًا على اتحاد اللاهوت بالإنسانية (الناسوت).

كفانا هجومًا على سكنى الروح القدس فينا.

كفانا هجومًا على شركتنا في المسيح يسوع.

كفانا غياب المحبة الثالوثية عن التعليم.

دون ذلك، ماذا يبقى لنا إلَّا الهجوم الذي يُشَنُ من على منابر الكنيسة القبطية الأرثوذكسية نفسها؟

الروح القدس، روح الشركة، روح المحبة[1]

ورد إلى الموقع السؤال التالي من الأخ سامح جورجي:

تمايز أو اختلاف الأشخاص (الأقانيم)، يعنى أيضا تمايز أو اختلاف نوعية المحبة رغم وحدة الجوهر. فمحبة الكلمة تتمايز بكونها بنوية، ومحبة الآب تتمايز بكونها أبوية، ولا أعلم كيف تتمايز محبة الروح القدس أو كيفية التبادل الحبى بين الروح القدس(غير مُعرَّف) من ناحية والآب والابن من ناحية أخرى.

الإنسان كخليقة هو مشروع أو عمل مشترك لأقانيم الثالوث وعلى صورة الثالوث، فالإنسان يعرف أن يحب كأب ويعرف أن يحب كابن وهو حي ويختبر الحياة بسبب الروح القدس.

شكرا أستاذي المحبوب

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢ أكتوبر ٢٠١٥.

الأخ سامح جورجي.

يا أخي الكريم، المحبة لا تعرف حدود اللفظ ولا تحتويها الشريعة لأن الشريعة وُضِعَت لنا نحن البشر، ولم تكن لكي تضبط الحياة الإلهية، أو أعمال الله؛ لأن المبدأ الأول، وهو خلق الكون والإنسان لم يكن حسب شريعة. وعندما كتب أثناسيوس الرسولي أن النعمة -أي نعمة الصورة الإلهية- سبقت الوصية (تجسد الكلمة ٤ و٥) لم نكن ندرك أن تلك النعمة هي "الصورة الإلهية"، وهي "خلق الإنسان" من العدم ليكون "صورة الله"، وامتزج ما هو إلهي بما هو ترابي؛ لكي يعلو ما هو إلهي عما هو ترابي. ولكن الإنسان فضَّل ذاته الآتية من العدم، فدخل فكر الموت في كيان الإنسان، ورسم الموت الحدود والفواصل، وجاءت الشريعة بعد ذلك لكي تحدد حقيقة ودور الخطية (رو ٧: ٧). وعندما استُعلِنت المحبة الثالوثية، دخل فكر الموت، أي الحدود؛ لكي يضع الشروط لعمل المحبة، وحدَّد فكر الموت كيف يجب أن تعمل المحبة، ولكن رسول الرب يسوع، وهو يرسم أيقونة لفظية في (١كو ١٣: ٨)، يضرب كل هذه الحدود وينقل الوعي الإنساني إلى أحد آفاق المحبة، أي محبة بلا شروط وبلا سبب، وكلاهما "الشرط والسبب"، من فكر العصر الوسيط المستعبَد للفلسفة اليونانية والشريعة، وكلاهما (أي فكر العصر الوسيط والشريعة) أمدَّا الإنسان بالشروط والحدود Boundaries. والشرط ليس Condition بل هو أيضًا Reason ولا عجب أن يمس الله الثالوث قلبك لترى محبة أبوية ومحبة بنوية، ثم تقف عند الروح القدس في دهشة وحيرة؛ لأن الروح القدس يُعلن الابن، والابن يعلن الآب، والكنيسة[1] هي التي تُعلن الروح (١كو ١٤: ١٥)، وهذا الشرح هو لأسد كبادوكية، النزينزي.

وعند عجز الكنيسة عن استعلان الروح القدس في حياتها الذاتية وشهادتها لا نجد إلَّا آهات الروح القدس التي تعلو على قدرة أي إنسان أن يعبِّر عنها.

---

(١) "الله بالحقيقة فيكم"، وليس قوة أو طاقة، بل الله.

اليوم وصلني بريد نقلًا عن أحدهم عن مؤامرة الأنبا بيشوي للإطاحة بقداسة البابا، وقبلها صراع حول شريعة الزواج، وقبل ذلك يدَّعى أسقف بأن الزوج لا يمكن أن يعاشر زوجته إلَّا بإذن الكنيسة، ففصَلَ الكنيسة وقسَّمها إلى قسمين، قسم يُشرِّع وقسم يخضع، فهي إذن ليست الجسد الواحد. وأسقف آخر يمنع النساء من لمس أجساد القديسين. أمَّا آخر الفضائح، فهي عن أسقف جديد لم يخرج بعد من البيضة، فهو لا زال كتكوتًا في طور التكوين، يقول للشباب: إننا في سجن الجسد. فقد غاب التجسد، وغابت الكنيسة جسد المسيح، ولم يعد للإفخارستيا دور سوى الذكرى -حسب طبلة موسيقى الإنجيليين. وأما رشومات الميرون، فهي لا تُذكر بالمرة كأنها لم تكن، لأن فكر الموت قد محى حتى أختام الروح القدس التي توضع على أجسادنا .. ثم ماذا بعد كل هذا وقد غاب ينبوع المحبة الإلهية الثالوثية، إذ تحول الثالوث إلى صفات: الوجود والعقل والحياة لكي يختفي حتى أهم وأبسط تعليم رباني: "الله المحبة ومن لا يحب لا يعرف الله" (١ يوحنا ٤: ٧-٨). وحاصرت قيادة الأنبا شنودة الثالث الروح القدس بهرطقة جديدة، وهي الحلول المواهبي، وعدم حلول الروح القدس نفسه أي الأقنوم فينا، ويشن أغلب الأساقفة حربًا على القمص متى المسكين لمحاصرة ما كتبه عن الباركليت والعنصرة وغيرها من دراسات عن الروح القدس صدرت في مجلدين — الروح القدس الرب المحيي — وأصبح كل من يتحدث عن الروح القدس هو هرطوقي ...

أنت مثل غيرك ضحية هذا التسلط، ولكن الله يحرك القلوب، ولا يرضى بالتخاذل وهو الذي قال للنبي إن وادي العظام اليابسة سوف يصبح جيشًا حيًا، وهكذا نقوم نحن من وهدة النوم الطويل ...

ماذا عن روح الشركة (٢ كو ١٣: ١٤)؟

أولًا: أعلن الروح القدس عمل الله للأنبياء، ولذلك لم يكن العهد القديم هو عهد شريعة فقط، أو عهد حروب اسرائيل فقط، كما يلخِّص فكر الموت، بل كان عهد الآباء والأنبياء، وكان إله العهد يُرسل روحه، لكن الموت يجعلنا نرى البقع السوداء قبل اللون الأبيض.

ثانيًا: جاء الروح بميلاد يسوع من البتول في عملٍ خفيٍّ، في عمل ورسالة يسوع، ثم استُعلِن في معمودية يسوع لكي يؤسس مسحة العهد الجديد، ولا زال خفيًا سريًا يعمل مع يسوع حتى يوم العنصرة عندما استعلن في الكنيسة حسب شهادة سفر الأعمال.

ثالثًا: بعد ذلك فتح الشيطان باب الهرطقات، وغرقت الكنيسة الجامعة في مسيرة طويلة مع تشتت الفكر مع تزييف الإنجيل، أولًا في حركة التهود التي حاربها الأسد الطرسوسي، ثم ثانيًا في الأريوسية التي ساندها أباطرة وحاربها الرسولي .. مسيرة طويلة تمر في نفق النسطورية والأوطاخية، ثم حروب أخرى عقائدية مزيفة.

ومن هذا الرماد برز موضوع الروح بعد استشهاد كنيسة روسيا على يد البلاشفة في كتابات المهاجرين، ليبعث تجديدًا روحيًا في لبنان وسوريا ومصر ... بولجاكوف - لوسكي - جورج خضر — متى المسكين — مينا المتوحد — بيت التكريس — نصحي عبد الشهيد ... وقافلة جديدة.

من لديه قدرة، يمكنه أن يؤرخ لهذه المسيرة الطويلة من ايريناوس ضد الهرطقات، إلى شنودة الثالث الذي ردد كلام نسطور، وبيشوي اللاهوتي الأول تلميذ انوميوس وعاشق القوة والطاقة وجاحد ألوهية الروح القدس ..

كيف تصير الكنيسة حقًا وفعلًا جسد المسيح بدون الروح القدس، وهو الذي كوَّن ناسوت الرب في أحشاء البتول لكي "يكون بعد ذلك كل إنسان جديدا؟ وحقًا قال شيخ الإسقيط: "بيت لحم مسقط رأس الانسانية الجديدة المفتداة"؛ لأن آدم الثاني قد ولد؛ لكي يؤسس ميلاد جديد.

ماذا يعطي الروح القدس من ذاته؟

هو يعطي لنا أن نعرف الآب والابن لأنه هو يعرفهما، فهو استعلان معرفة، ولذلك يقول رسول الرب إنه يفحص أعماق الله (١كو ٢: ١٠)، فهو يُعلن ما يعرف لأنه في أعماق الله ويعرف سر الآب والابن.

هو "روح الابن"؛ لأنه مسح الابن، ولأنه شريك الابن في خدمته وفي موته وفي قيامته، فهو الذي أقام يسوع من الأموات ..

هذه محبة الروح لنا: يقيم الوسيط، لكي من الوسيط وبالوسيط نقوم.

وعندما يشترك في معجزات المسيح يسوع، يؤسِّس لنا الشركة لكي نفهم أن أول عطايا المحبة هي الشركة، لا أن نحفظ أي هبة لنا؛ لأن الرب نفسه لم يحفظ حياته لذاته، بل "بذلها لأجلنا"، وأعطاها "لنا". والبذل والعطية هما من عمل الابن بالروح القدس؛ لأن الروح القدس ينبثق من الآب، وهو "روح الآب"، ليس بالملكية حسب الموت، بل بالشركة حسب المحبة؛ لأنه لا موت في الله، بل حتى على الصليب "ذاق الموت بالجسد"، أو "في الجسد"، لا فرق إلَّا عند الشيع من محبي العراك ورعاع معارك الألفاظ.

فإذا كنتَ قد أدركت الآب في أبوته والابن في بنوته، فالروح هو روح شركة الآب والابن، أي استعلان الآب والابن. وفي هذا الزمان هو استعلان التدبير الذي به دخلنا نحن هذه الشركة. ولاحظ أنها شِركة من يُشرك، أي الشِّرْك، وليس شَرِكة، وهي غير معروفة في العربية، بل من اختراع المسيحيين خوفًا من الاتهام بالشِّرك، مع أن الشِّرك –تحديدًا – هو إضافة آخر إلى الله، وليس شِركة الإنسان في الله. ولكن، حتى الأنبا شنودة الثالث لم يدرك هذا، ولذلك كتب أن الشركة في الطبيعة الإلهية هي جريمة الشِّرك التي يحاربها الإسلام، على أمل أن نقع نحن في يد عصابات الإرهاب التي لديها أعداء أهم من متى المسكين وجورج بباوي وغيرهم ...

عندما نشترك، نسترد الإنسانية الحقيقية الجديدة الأبدية التي تتكون على صورة يسوع، والتي تبدأ هنا وتكمل في الدهر الآتي. يُكوِّن الروح فينا هذه الإنسانية الجديدة ... يعطي الروح من قداسته الذاتية، أي الخصوصية، التي ترد إلينا ما فُقِدَ في الخطية.

القداسة هي العودة إلى الأصل، إلى الله؛ لأن الله قدوس لا مثيل له وفريد لا يوجد له مثال أو شبيه ... ونحن نشترك ما هو فريد في الإنسانية: الحرية — المحبة — الحكمة، عندما ننال: التبني — مجد الألوهة، وهو المحبة (يوحنا ١٧: ٢٦).

روح المحبة:

بعد أن برهن رسول المسيح عن عجز الشريعة (رو ٢: ٤)، وقدَّم قلب الإنجيل، أو جوهره بعد ذلك في باقي الإصحاحات التي يؤكد فيها قبول الله لنا، وهو قبولٌ عُرِفَ في لغة عربية ركيكة باسم "التبرير"، وصار صراعنا مع اللفظ العربي، بينما الأصل اليوناني، بل القبطي، لأن المترجم إلى العربية لم يفحص الأصل العبراني واليوناني، ولكن هذا هو نص الكنيسة القبطية (رو ٥: ١).

Ⲉⲧⲁⲩⲑⲙⲁⲓⲟⲛ ⲟⲩⲛ ⲉⲃⲟⲗ ϩⲓⲧⲉⲛ ⲫⲛⲁϩϯ

لأن ما يعرف باسم البر **ⲉⲩⲙⲉⲑⲙⲏⲓ** هو الحق أو العدل، أو حسب القبطي والمترجم حرص أن يشرح الكلمة العربية "بر وتبرير" إلى "الزلفى والقربى عند الله"[١]. هي علاقة الصلاح الإلهي الذي يقبل بلا شروط سوى الإيمان ولا يكون الإيمان هو مصدر ما صار في سوق تجارة الوعظ، "التبرير"، بل الفعل حتى في العربية هي **مبني للمجهول؛ لأن الله هو الذي يُبرر وليس الإيمان**، أي يعطي العلاقة الصادقة الحقيقية التي لا تقيم أي وزن للأعمال. والمثال في الإصحاح الرابع هو إبراهيم أب الآباء. بعد ذلك نحن ندخل إلى هذه "التي نحن فيها مقيمون" (رو ٥: ٢).

انسكاب الروح القدس:

الفعل سكب هو خاص بتقديم الذبائح، ولذلك يستنكر المزمور تقديم أو سكب دم الذبائح لمن يتعدى الشريعة (مزمور ١٦: ٤). وعن صلب الرب يسوع

(١) الفضل هو للدكتور Hurvey Staal الذي نشر مخطوطة ١٥١ في دير سانت كارتين وحقق النص مع استاذنا الراحل عزيز سوريال عطية، ونُشر في لوفان — ١٩٨٥ راجع ص ١١.

يقول النبي عنه إنه "سكب للموت نفسه (حياته)" (أش ٥٣: ١٢). وعندما "يسكب" الروح حياته علينا، فهو انسكاب بغنى (تيطس ٣: ٦). هذا ليس مجرد نزول فقط؛ لأن المرأة سكبت الطيب على رأس الرب (متى ٢٦: ١٢). وعند رد الشعب من السبي: "لا أحجب وجهي عنهم بعد لأني سكبت روحي على بيت إسرائيل يقول السيد الرب" (حزقيال ٣٩: ٢٩)، وهكذا تحققت النبوة في إشارة واضحة في عظة القديس بطرس في يوم العنصرة؛ لأن الآب سكب الروح على الكنيسة في يوم العنصرة (أع ٢: ٣٣).

لكن إذا عدنا إلى الاستعمال الليتورجي الخاص بذبائح العهد القديم عن سكب الدم، وعن الرب يسوع نفسه الذي سكب حياته للموت (أش ٥٣: ١٢)، فإن انسكاب الروح القدس (يوئيل ٢: ٢٨ — أع ٢: ١٧)، وفي عبارة الرسول بولس، وهو يقدِّم ذاته للموت في الشهادة كذبيحة: "أنا الآن أُسكب سكيبًا" (٢ تيمو ٤: ٦)؛ لأن في آلام الرب حسب (مزمور ٢٢: ٤) يقول الرب نفسه: "كالماء انسكبت". هكذا يسكب الروح القدس ذاته، وفي قداسته المطلقة ينسكب على الطبيعة المخلوقة الدنسة الخاطئة، ويأتي إلينا بذات تخلي الابن (فيلبي ٢: ٦) لكي يحيا في قلوبنا الإنسانية التي لا تعرف إلَّا المحبة المحاصرة بالموت وبالأنانية وبالبحث في الذات.

لكن رسول الرب يقول إن "محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا (رو ٥: ٥). ويا ليت المطران يراجع النص القبطي لأن المعطى لنا هو **ⲉⲧⲁϥⲧⲏϥ ⲛⲁⲛ** لأنه عطاء شخصي لأشخاص، وليس قوة، والذي انسكب ليس قوة، بل الروح نفسه الأقنوم.

وبقية التعليم تؤكد أنه انسكاب المحبة (رو ٥: ٨)؛ لأن الله أعلن محبته لنا.

التسليم الكنسي الذي دوَّنه القديس هيلاري أُسقف بواتييه، إذ يذكر في كتابه "الثالوث" ٢: ١:

"نحن نوصي الكل بأن يعمدوا باسم الآب والابن والروح القدس، وهو

الاعتراف بالأصل، وبالابن الوحيد، وبالعطية. يوجد أصلٌ واحدٌ للكل وهو الله الآب "الذي منه الكل"، وربنا يسوع المسيح الرب الواحد الذي به الكل، والروح القدس الواحد العطية في الكل". فهو العطية التي أراد الرب أن يقدِّمها لنا (يوحنا ٤: ١٩ – ٢٤ كتاب الثالوث ٢: ٣١).

واسم الروح القدس هو العطية Gift (٢: ٣١).

ويشرح بعد ذلك في الفقرة (٣٤) أن المواهب هي "استعلان الروح القدس" حسب ذكر رسول المسيح في (١كو ١٢: ٣ وما بعده.

ولكن الكلمات في الفقرة (٣٥) هامة: "العطية الواحدة التي تُعطى في المسيح هي للكل وفي كل مكان حسبما نشاء وتبقى معنا".

عندما ينسكب الروح القدس في قلوبنا، نعرف حرية محبة الله حيث يعطي:

١- بدون سبب.

٢- للتبني (رو ٨: ١٥)، وليس للعبودية (رو ٨: ١٦).

٣- لميراث الملكوت كورثة، أي ملوك مع الملك يسوع (رو ٨: ١٧).

وعندما نتحرر من حصار الموت ونذوق حلاوة عطية الآب الذي لم يعطِ لنا فضلات أو أمورًا زائلةً، أو عطيةً زمنيةً، بل ذاته في انسكاب الروح، يمكننا أن نرتل:

"أيها الملك السمائي المعزِّي روح الحق الكائن في كل مكان كنز الصالحات وواهب الحياة، هلم تفضل وحل فينا ..."

لأنه كما كنت مع التلاميذ يا ربنا يسوع وأعطيتهم الروح القدس هلم الآن كن معنا، وامنحنا ذات الروح، الرب المحيي.

الحلول المتبادل لأقانيم الثالوث (١)[١]

Perichoresis
Περιχώρησις

الحلول المتبادَل هو أقرب ترجمة عربية لهذه الكلمة اليونانية التي أنارت فكر الكنيسة وحياتها حول علاقة أقانيم الثالوث، لا سيما ما ورد على فم الرب في إنجيل يوحنا ص ١٧ وفي مواضع كثيرة أخرى في العهد الجديد.

الآب يحل في الابن والابن في الآب. الروح يحل في الابن وفي الآب. هي حركة حياة الثالوث عندما تجسد ابن الآب الوحيد "الكائن في حضن الآب" (يوحنا ١: ١٨)، والذي أضافت صلاة قسمة عيد الميلاد: "الكائن في حضنه الأبوي كل حين، أتى وحَلَّ في الحشا البتولي"، فهو في حضن الآب، حتى وهو في أحشاء القديسة مريم، وهو على الصليب، وهو في القبر. طبعًا هذا هو الأقنوم الذي يحمل في ذاته الإلهية، الإنسانيةَ متحدًا بها اتحادًا غير قابل للانفصال. يأخذ الابن إنسانيته من الروح القدس: "الروح القدس يحل عليكِ، أي على القديسة مريم"، وتدخل هذه الإنسانية في حياة وحركة الحلول المتبادَل.

في اقنوم الابن يتحرك الابن كما يتحرك فيه الآب والروح. وإنسانية يسوع ليست متفرجة، بل تقبل حياة الحلول المتبادَل، وتدخل في حضن الآب وتستقر فيه بسبب الاتحاد الأقنومي، وهناك تختبر وترى انبثاق الروح القدس من الآب (يوحنا ١٥: ٢٦)، ولذلك يظهر لنا الابن المتجسد هذه الحقيقة التي تخفي على إدراك أي مخلوق، والتي يدركها الإنسان الآن من خلال استعلان يسوع المسيح لهذه الحقيقة الفائقة.

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٦ أكتوبر ٢٠١٤.

هذه حركة محبة يقول عنها الرب: "لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضًا" (يوحنا ١٠: ١٧). حركة المحبة هذه تجعل الابن، حتى في إنسانيته، فوق قوة الموت. يموت أو يذوق الموت، ولكن "بذوقه الموت عنا" حسب تقوى كنيستنا، أعطى لنا "الغلبة"، أي ذات عدم الموت التي في الحلول المتبادَل. هذه الغلبة ليست فقط بسبب الاتحاد الأقنومي؛ لأن الاتحاد الأقنومي لم يعطِ لنا شيئًا لا وجود له في الثالوث، لكن قبل ذلك يأتي الروح من الآب لكي يمسح يسوع في الأردن ويعطي ليسوع مسحةً أبديةً تجعله "المسيح"، وعندما يمسح الروح القدس يسوع، يدخل يسوع ليس بالاتحاد الأقنومي وحده، بل بالمسحة في الحلول المتبادَل لأن هذا هو ميراث الإنسانية الجديدة في يسوع.

وعندما يُستعلَن الابن بواسطة الآب: "هذا هو ابني الوحيد الذي به سُررت"، فهذا عن الإله المتجسد، وليس عن أقنوم الابن فقط، بل الأقنوم المتجسد، ويجد الآب في حلول الابن المتجسد فيه مسرةً وفرحًا بالإنسانية التي دخلت هذه الحركة في يسوع المسيح.

عندما أسلم الربُّ روحه الإنسانية على الصليب، ومات موت البشر، ودفنه يوسف الرامي ونيقوديموس، كان الحلول المتبادَل بين الثالوث هو أساس القيامة والفداء الأبدي. ذُبِحَ الابنُ بالجسد، وبذبح الابن بالجسد لم يعد للطبيعة الإنسانية الجديدة أي إرادة لأنْ تحيا بدون بذل؛ لأن هذا الذبح هو الذي سوف يعطي الكنيسة ذلك السر الفائق، سر الذبيحة، سر المحبة الباذلة التي كانت طبيعة الثالوث التي كلها جود وصلاح ومحبة تتحرك ببذلٍ على مستوى إلهي في الحلول المتبادَل عندما يعطي الآب حياته للابن، والابن يعطي حياته للآب. ولكن على مستوى المخلوقات، هذا لا يمكن أن يصل، أي البذل الثالوثي. لأن الروح القدس الذي هو شريك الابن في تدبير الخلاص، كان يعطي كل شيء للابن: الناسوت، ويشترك معه في عمل المعجزات، بل وبه سلَّم الابن ذبيحةَ حياته على الصليب (عب ٩: ١٤)، بذلك الروح الأزلي؛ لكي تنال الإنسانية تلك القوة الباذلة التي سوف "تذبح الموت" حسب تعبير قداسنا وصلواتنا.

وعندما مات الابن بالجسد، لم يفقد الناسوت عدم الفساد؛ لأن قبول الآب لذبح الابن هو المسرة التي جعلت الرب لم يعاني الفساد.

أمَّا عن القيامة، فإن الحلول المتبادَل أعطى للإنسانية التي ماتت، الحياة السماوية المجيدة (فيلبي ٣: ٢١). إن مسرة الآب هي قيامة الابن المتجسد هادمًا القبر، ومسرة الروح هي أن تصل المسحة إلى غايتها، وهي الإنسانية المؤهَّلة لميراث الملكوت.

كيف حدث ذلك السر الفائق؟ لدينا لمحات شحيحة في الأسفار. فقد قال الرسول بطرس إن أوجاع الموت كانت غير قادرة على أن تُخضع الابن (أع ٢: ٢٤). هذه الأوجاع هي فساد وانحلال الحياة الإنسانية. هي تعني أن الإنسان لم يعد إنسانًا إذا هُدِمَ كيانه الإنساني وانفصلت نفسه عن جسده.

لقد أباد الآب أوجاع الموت؛ لأنه في محبته للابن يريد مجده، وكما يقول رسول المسيح: "لذلك رفَّعه الله وأعطاه اسمًا فوق كل اسمٍ" (فيلبي ٢: ٦-٨)، أي اسم الألوهة. مسرةً كاملةً جعلت كل شركاء يسوع في إنسانيته ينالون الشركة في الطبيعة الإلهية؛ لأن الاعتراف بيسوع ربًا هو لمجد الله الآب (فيلبي ٢: ٨). وقبل ذلك يقول الرب: "أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدًا فينا" (يوحنا ١٧: ٢٢). هو مجدٌ نالته الإنسانية في يسوع؛ لأن مجد الثالوث واحد. ومجد الابن المتجسد في حركة الحلول المتبادَل بينه وبين الآب، هي التي تجعل المجد الذي للابن هو لنا: "لكي يكونوا هم أيضًا واحدًا فينا" في وحدة الحياة المجيدة. هكذا نال الصلبُ قوةً؛ لأن ما كان يمنع الإنسان عن الشركة في حياة الآب، قد أُبيد بالموت، ورُفِعَت الدينونة، وأُعطيت نعمة الحياة الأبدية.

إن سرَّ الصلبِ عميقٌ؛ لأن الحلول المتبادَل جعل الابن يقول: "إلهي إلهي لماذا تركتني"، و"لماذا" هي "ل ي ما – ليما" الآرامية، وهي صرخة استعلان السبب؛ لأن الابن أُهين واتُّهِمَ بالتجديف في محاكمته، وصلب بين اثنين، لقد نُزِعَت عنه الكرامة، والذي فعل ذلك هو البشر، وليس الآب.

لقد صُلِبَ الممسوح بالروح القدس، أي "صُلِبَ بالروح القدس"، فنقل قوة الحياة

التي للروح القدس بسبب الحلول المتبادَل إلى الناسوت أيضًا، فصار في هدوء القبر غالبًا الفساد، ونزل "ببرق لاهوته إلى الجحيم" لكي يدمر الجحيم إلى الأبد.

يا أحبائي، إننا في خدمة الثالوث لنا في سر الإفخارستيا، ندخل الحلول المتبادَل؛ لأن رئيس الكهنة يسوع يقدِّمُنا للآب، وبه أيضًا يحل الروح القدس علينا وعلى القربان الموضوع على المذبح؛ لأنه سبق وحَلَّ على القربان، أي يسوع نفسه؛ لكي ينقل ذلك الحلول إلينا بتحولٍ سِريٍّ لا يُفهم إلَّا سريًا للخبز والخمر.

نحن ندخل الحلول المتبادَل في رئيس الكهنة، يحملنا فيه للروح، ويحملنا الروح للآب لكي ننال "خبز الله النازل من السماء من عند الآب الواهب الحياة للعالم" (يوحنا ٦: ٣٣). وعندما نتناول من الذبيحة بالروح القدس، من يد الآباء الذين أقامهم الروح القدس لخدمة هذه الذبيحة، فإننا ندخل ذات حركة الحلول المتبادَل التي دخلها يسوع وصار "سابقًا عنا"؛ لأنه "متقدمٌ علينا" في كل شيء.

هنا يقف القلم، ولا نجد كلمات تعبِّر عن هذه الحقيقة الفائقة.

نحن في الابن، وبالابن في الآب، وفي الآب بالروح القدس، جالسين معه على يمينه (كولوسي ٣: ١-٢).

وإلى الذي حملنا فيه، يسوع المسيح، كل مجد وكرامة.

الحلول المتبادَل لأقانيم الثالوث (٢)[١]

المشكلة الأولى هي تصدي البحث اللغوي لسر المسيح:

يكاد تجسد رب المجد يصرخ ألمًا صارخًا في وعينا أنه لم يكن فكرةً تعبِّر عنها الكلمات مهما كانت، بل حقيقة اتحاد أبدي تشهد له الكلمات: "الكلمة صار جسدًا". وعندما حاول بعضُ أذكياءٍ عبر تاريخ المسيحية، فهم سر المسيح، عثروا وسقطوا لسببين:

الأول: هو إخضاع ما هو غير مألوف لما هو مألوف. السرُّ غيرُ مألوفٍ، وغيرُ عاديٍّ، ولا يمكن أن يحاصره ما هو مألوفٌ وعاديٌّ من إيقاع الحياة كما تعبِّر عنه اللغة.

فالولادةُ مثلًا، تعني فعلًا في الواقع الإنساني، هو انفصال المولود عن الأم، وتعني دائمًا أن الأب سابق في عمره عن ابنه. هكذا فهم أريوس -ولم يكن غبيًا- سر ولادة الابن الأزلية، وهو بذلك يكون قد نقل الولادة المألوفة إلى ما هو غير مألوفٍ وعادي، أي إلى الثالوث، فسقط في أشهر بدعة عرفتها المسيحية، لا زال تلاميذه يجولون العالم باسم جديد هو "شهود يهوه".

الثاني: هو محاصرة السرِّ نفسه المعلَن في علاقة جديدة تختلف عن أي علاقة أخرى نعرفها من وعي الحياة الإنسانية. وهو حصارٌ يفرضه العقل بالعودة إلى أصل الكلمات في أي لغةٍ نشاء. وبقاءُ البحث في دائرة استعمال الكلمات -مهما كانت- لكي تصبح الكلمات أو المصطلحات قيدًا حديديًا، لا سيما إذا تمت محاصرة فكرة من الأفكار في إطار البحث اللغوي.

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣ ديسمبر ٢٠١٤.

كان أنوميوس -وله بدعة خرجت من رحم الأريوسية- هو أول من قال إن اختلاف الأسماء يعني اختلاف الطبائع، وطبَّق هذا على الثالوث، مثل أريوس، فصار الآبُ اسمًا يختلف لغويًا، عن اسم الابن، وبالتالي تختلف طبيعة الآب عن طبيعة الابن.

فكرةٌ سهلة القبول، ولكنها حاصرت الثالوث في العلاقة الزمانية التي تعبِّر عنها اللغة، حيث الأب ليس أبًا إلَّا في حالة واحدة، هي ولادة ابن له. أما على مستوى الثالوث، فإذا كان الله الآب هو الآب أزليًا، فهو لا يمكن أن يكون آبًا إلَّا بالابن الأزلي.

خلاصة رد أثناسيوس الرسولي وباسيليوس الكبير: إن ما هو كائن في الواقع والحياة، يسبق اللفظ.

الترجمات العربية المعاصرة:

جاءت سرعة النشر في العصر الحديث بنقلٍ هائلٍ للمعلومات في زمن قصير. على أن سرعة النشر هذه لا تعفينا من رصانة البحث، بل هي بالأولى تفرضها علينا. وحتمًا، النقل من اليونانية أو العبرانية أو غيرها إلى لغتنا العربية، يجب أن يخضع للفحص الدقيق في ضوء ما يأتي:

أولًا: في نور ما استقر من ثوابت تعبِّر عنها العقيدة.

ثانيًا: في الكشف عن ضعف التحليل اللغوي، إذا كان هذا في النهاية لا يخدم الثوابت لدينا، خصوصًا في عقيدتنا في الثالوث والتجسد والروح القدس والسرائر.

ثالثًا: العودة دائمًا إلى ما هو مستقر وثابت في التسليم الكنسي، وبحث كافة المصطلحات اللاهوتية في كل مراجع الآباء، وليس في سطر أو سطرين، أو في عبارة واحدة مهما كانت، طالما أن الهدف هو تأكيد العلاقة الجديدة غير المألوفة وغير الخاضعة لما هو مألوف؛ لأن الثلاثة في واحد، والواحد في ثلاثة، ليس

موضوعًا له ما يقابله في العالم المادي كله يمكن أن نقارنه بالثالوث.

هذه التحذيرات الثلاثة تقود إلى بحث الكلمة اليونانية *Perichoresis* فقد أخطأ كل من *J. Moltmann – La Cugna – L. Boff* بل وزاد في الخطأ *Kruger Boxter* الذي خلق برنامجًا لاهوتيًا باسم *Perichoresis* واسع الانتشار، وكانت علة خطأ كل هؤلاء، أنهم عادوا إلى اليونانية الكلاسيكية لترجمة المصطلح على أنه رقصٌ كونيٌّ للثالوث.

ويبدو وجه الخطأ التاريخي في الآتي:

أولًا: هذا المصطلح استخدمه القديس غريغوريوس النزينزي لاتحاد اللاهوت بالناسوت، ولم يستخدم للثالوث إلَّا بعد تعديلات كثيرة عند مكسيموس المعترف، ثم بوفرة عند يوحنا الدمشقي.

ثانيًا: إن أول مرة يظهر فيها هذا المصطلح كانت في رسالة النزينزي إلى كلودنيوس القس ضد أبوليناريوس حيث يشرح عبارة الرسول بولس: "الإنسان الثاني الرب من السماء" مؤكدًا أن إنسانية الرب ليست من جوهر إلهي، بل هي مثل إنسانية كل البشر، ويقول: إن يسوع يحل فينا روحيًّا بالروح القدس. وعند الكلام عن اتحاد الطبيعتين يقول: "الاسماء تمتزج معًا مثل الطبيعتين، وتنساب *Perichoro* كل طبيعة في الأخرى حسب قانون الاتحاد" (مقالة ١٠١: فقرة ٤). وهذا ليس رقصًا، بل هو اتحاد الطبيعتين في حركة الاتحاد، ولذلك تُرجم الفعل اليوناني إلى *Flowing* بمعنى تنساب أو تتدفق، أي أن كل طبيعة تنساب أو تُسكب أو تتدفق في الطبيعة الأخرى. ولذلك جاءت ترجمة *L. Prestige* أدق على أن حركة الاتحاد هي *Passing reciprocally* أو *Interchange with* (مقالة في مجلد الدراسات اللاهوتية عدد ٢٩-١٩٢٨ – ص ٢٤٢ بعنوان *Perichoreo and Perichoresis in the Fathers*).

ورغم محاولات تقديم استعارات وتشبيهات لا بأس بها لشرح حركة الاتحاد، إلَّا أن ما غاب عن كل هذه المحاولات هو:

١- إن هذا الاتحاد هو اتحادٌ شخصيٌ، أي أقنومي لا يخضع لأي تأويل مهما كان صدقه.

٢- إن حلول كل طبيعة في الأخرى هو حركة المحبة الإلهية التي تجعل الإنسانية التي أخذها المخلص من والدة الإله تنساب أو تتحرك، ليس حركةً ذاتيةً، أي حركة طبيعية، بل حسب عبارة النزينزي نفسه: "حسب قانون الاتحاد"، وهو اتحاد أُقنومي يجعل غريغوريوس يستعمل كلمة "امتزاج"كتعبير عن قبول حقيقي للإنسانية بواسطة الله الكلمة وقبول الإنسانية ألوهية الكلمة بنفس الحرية والمحبة.

٣- إن الإرادة الانسانية لم يُبعدها الله الكلمة بسبب الاتحاد، بل كما حُدِّدت الصياغة اللاهوتية بعد ذلك: إرادة واحدة من إرادتين، إرادة إلهية — إنسانية؛ لأن العمل الإلهي هو عملٌ إلهيٌ — إنسانيٌّ، أو حسب التعبير الذي ساد في القرن الخامس: لأن الاتحاد لم يلغِ الفروق الكيانية بين الطبيعتين (القديس كيرلس الاسكندري الرسالة الرابعة ضد نسطور — المقالة الثانية ضد نسطور مجلد ٧٥: ١٢٩٢).

الموت والحياة، والحياة والموت:

في المقالة (١٨) يتحدث غريغوريوس عن نياحة والده، وعن الموت والحياة. والموت والحياة كلاهما مختلفٌ عن الآخر، ويقول: "الحياة والموت -كما نسميهما- كلٌ منهما مختلف عن الآخر، إلَّا أنهما *Perichorei* كلٌ في الآخر" (فقرة ٤٢). وحسب الترجمة الإنجليزية هما "*Resolved*"، أي يقرر الآخر؛ لأن بقية العبارة: "الحياة والموت -كما نسميهما- كلٌ منهما مختلف عن الآخر، إلَّا أنهما يقرران معًا كلٌ الآخر في كيف يخلق كلٌ الآخر". فالحياة في الموت كما أن الموت في الحياة. هذا ليس لغزًا فلسفيًا؛ لأن الأم التي تلد للحياة، تلد أيضًا للموت، ولذلك تخترق الحياةُ الموتَ، ليس لأنها ترقص، بل لأنها تختلط بالموت، أو إن شئنا الدقة *Interpenetrate* لكي تولد الحياة الجديدة.

التجسد الإلهي واتحاد الطبيعتين:

تُعد المقالة (٣٠) التي كتبها القديس غريغوريوس النزينزي، كلها وبالذات الفقرة ٦: ١ من أهم الفقرات التي تعبِّر عن ديناميكية تجسد ابن الله وليس سكونية *Static* تجسد الكلمة، لسببٍ واضح، وهو أنه شخصٌ حيٌّ متَّحدٌ بالآب وبالروح القدس كإله، ويفتح **ذات الاتحاد** في أقنومه للإنسانية الغريبة كيانيًا وروحيًا عن الابن نفسه، وعن الروح القدس، وهكذا يكتب غريغوريوس:

> "من صفات صورة العبد (التي قبلها الرب) أنه يتنازل (أي العبد) إلى رفاقه العبيد، وحقًا تنازَل وأخذ (صورة) رفاقه العبيد الغريبة عنه لكي يحمل كل ما يخصني، بل يحملني أنا في ذاته لكي يبيد في كيانه كل ما هو شرير، كما تبيد النار الشمع، أو كما تُبدد الشمس ضباب الأرض؛ حتى ما أشترك أنا في طبيعته **بالامتزاج بها**. لهذا هو يكرم طاعة عمله (الذي عمله عندما تجسد) ويبرهن على ذلك بالمثال الذي أقامه عندما تألم .." (٣٠: ٦-١).

إذن، ما هو شرير قد أُبيد، والشركة تحدث على مستوى كياني عندما تمتزج حياة الله الكلمة المتجسد بحياة غريغوريوس؛ لأن المسيح يحمل كل ما يخص غريغوريوس، أي الطبيعة الانسانية، ولكن غريغوريوس لا يتكلم عن فكرةٍ، بل غريغوريوس كشخص، وهكذا يعبِّر الفعل يمزج *Perichoreo* عن تلك الحركة الديناميكية التي يبيد فيها الابن الكلمة، الشر.

نهاية الدهور – الله الكل في الكل (١كو ١٥: ٢٨):

نهاية الدهور، أي عندما يسلِّم الابنُ الملكَ لله الآب، وهو "زمن رد كل شيء إلى ما كان سابقًا"[١] ويشرح أسد كبادوكية عبارة الرسول: "الله سيكون الكل في

---

(١) ليس هذا هو الخلاص الشامل Universalism كما يُشاع، بل هو تجديد الخلقة الذي ليس له شرح كامل منظم لأنه غير مُعلن، بل هو رد كل شيء أو restitution.

الكل في زمان إعادة كل شيء (أو رد كل شيء إلى ما كان عليه) هذا لا يعني أن الآب سيكون وحده هو الله، بل والابن سوف يمتزج به مثل امتزاج شعلة النار التي أُخذت من الآتون حينًا، ثم أُعيدت إلى الآتون" (مقالة ٣٠: ٦-٢). ومرةً ثانيةً، قدَّمت الترجمة الإنجليزية الكلمة *resolve* لتشرح ما هو المقصود بحركة *Perichoresis* رغم أن أسد كبادوكية استخدم الفعل وليس الاسم؛ لأن كل استخدام للفعل يؤكد عدم سكونية العلاقة بين الآب والابن، وعودة الشعلة إلى الآتون، يعني وحدانية الجوهر.

الجوهر الواحد للثالوث:

في المقالة (٣١) وفي الفقرة (١٤) يقدم غريغوريوس شرحًا لجوهر الثالوث، فيقول: "الألوهة -كما يجب أن نتكلم- لا تنقسم إلى ثلاثة أقانيم متباعدة. بل يوجد نورٌ واحد يمتزج بالكل ،كما لو كان نورُ ثلاثِ شموسٍ متَّحدةٍ كلٍّ بالأُخريين". وهنا لابد من العودة إلى الكلمة اللاتينية الأصل *Coinherence* حيث يبدأ هنا استخدام التعبير في علاقة أقانيم الثالوث بعد أن كان خاصًا بالتجسد.

بقية الفقرة هامة جدًا: "نؤمن بإله واحد؛ لأن الألوهة واحدة، وكل ما يصدر عن الألوهة، يُوصَف بالواحد، رغم أننا نؤمن بثلاثة أقانيم؛ لأن كل أقنوم ليس أقل ولا أزيد من الأقنومين الآخرين؛ إذ لا يوجد واحد قبل ولا بعد الأقنومين؛ لأن الأقانيم ليست منقسمة إراديًا ولا منفصلة (بالقوة الذاتية) لأي منهم ..".

خلاصة وتقييم:

لعل الحافز الأساسي لكتابة هذا المقال هو ترجمة الكلمة اليونانية *Perichoresis* إلى "احتواء"، وهو ما لا نوافق عليه للأسباب الآتية:

أولًا: لأن الفعل الذي ورد على لسان الرب يسوع نفسه هو فعل (يحل): "أنا في الآب والآب فيَّ". وأيضًا: "الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال التي أعملها أنا".

والعبارة الأخيرة تؤكد وحدانية الإرادة، رغم وجود إرادة خاصة بالآب، وإرادة خاصة بالابن، إلَّا أن الإرادة هي إرادة "مثلثة"، إرادة واحدة لكل أقنوم، وإرادة مثلثة وواحدة للثالوث.

خطورة الاحتواء تبدو في أنه ينفي ديناميكية حرية وحركة المحبة. لأن اللاهوت يعمل بواسطة الناسوت، وهو ليس عملًا آليًا تنعدم فيه الإرادة والمحبة الإنسانية، أو أنها تحتوى، بل تتحد بالإرادة الإلهية وتصبح إرادة واحدة من إرادتين.

ثانيًا: إن احتمال خطأ الترجمات العربية وارد عند الكل، وهذا ليس تشنيعًا أو تشهيرًا بأحد، كما يفعل واحد من الإكليروس، بل لأننا نحاول خلق كلمات عربية لِما ساد في اللغة اليونانية، وهي بكل تأكيد -كما كشفت الدراسات المعاصرة- لم تكن اللغة اليونانية الكلاسيكية، بل كانت لغة الترجمة اليونانية المعروفة باسم السبعينية، وهي تطور هام في اللغة اليونانية يجب أن يؤخذ بكل اعتبار واهتمام، لا سيما عند مراجعة مصطلحات العهد الجديد والآباء معًا لاكتشاف الفروق بين الاستعمال القديم والاستعمال الجديد الذي وُلِدَ في داخل صراع الكنيسة الجامعة مع الهراطقة.

أخيرًا: إن تجسد ابن الله، والثالوث، ليسا من موضوعات الفلسفة الكلاسيكية اليونانية، بل هو استعلان غير مألوف، ويجب أن يبقى في إطار سر المسيح المعلن:

أ - في الأسفار.

ب- وفي العلاقة الجديدة التي جاء بها الوسيط الرب يسوع المسيح، والشفيع روح الآب الذي يقودنا إلى معرفة الرب (١كو ١٢: ٣).

قبسٌ من القديس غريغوريوس اللاهوتي

أُصلِّي في الابن الرأس والوسيط
يحركني روح يسوع إلى خلاصي ومصيري، يسوع
أُصلِّي بالروح إلى ربي ومخلصي
يحركني من محدوديتي، وبه أدخل حضن الآب
أُصلِّي للآب في الوسيط والكاهن العظيم
يطهِّرني من جهلي ويعطي ليَ نقاوةَ الرؤيا
في يسوع أنا في الروح، وفي الروح أنا في الآب
وفي الآب قدَّسني المخلِّصُ

***

يا لِسرِّ يسوع الفائق الذي لا مثيل له
تعطي الاستنارة يا يسوع لكي نأتي
ذراعيك التي امتدت على الصليب
ممتدة في كل حين
تنقلني من موت فكري إلى نور حياتك
ترفعني من هوة الأنا إلى الامتلاء من روحك
تقدمني للآب قربانًا مختومًا بذبحك
يري فيَّ الروح القدس، رسمك يا فاديَّ
بل أتحرك في الحياة الالهية
من الآب بالابن في الروح
ومن الروح في الابن
إلى الآب

آخذ التقديس من الروح
الفداء من الابن
المصير الأبدي من الآب
آخذ في، ومن
لكي أبقى مع حركة
المحبة للحلول المتبادَل.

الحلول المتبادل – التجسد والثالوث[1]

ليس من الإنصاف للتاريخ أن يكتب أيُّ باحثٍ درس التاريخ الكنسي، مقررًا أن تعبير "الحلول المتبادل" هو تعبيرٌ خاصٌ بالثالوث وحده، أو أنه "مفهومٌ ثالوثيٌّ قح"، أو أنه "لا علاقة له بالخريستولوجي أو بالنعمة".

والحقيقة أن التمييز الذي يتجاوز التدبير المستعلَن بتجسد الابن، هو تمييزٌ لغويٌ لا أساس له في الواقع، أي في الحياة الالهية. فمن تجسد الرب الابن الوحيد، عرفنا الآب، وقبلناه بالروح القدس بالابن، وخارج التدبير لا يوجد استعلان قائم بذاته للثالوث.

التدبير أعلَن الآب، وأعطى الروح، وكل هذا تم في الابن المتجسد.

يبدو أن جيل الـ ٤٠ عامًا الأخيرة لا يدرك أن التدبير هو أساس الإيمان، وهو أساس اللاهوت، أي معرفة الله.

مكسيموس المعترف

عند مكسيموس المعترف *Perichoresis* في أسئلة *Ad Thalasssium* (النص الكامل في الفيلوكاليا، مجلد ٥ طبعة ١٩٧٩) وفي الرد على الأسئلة نعرف ما يلي: "خلاص النفس هو الخلاص الكامل المستعلَن بالإيمان. وكمال الاستعلان يجب أن نؤمن به. استعلان ما هو فوق الإدراك، أي *Perichoresis* الحلول المتبادَل، للمؤمن في غاية الإيمان، والذي يتم حسب نضوج كل مؤمن ودرجة نمو إيمانه. لأنه بهذا الحلول المتبادَل يعود المؤمن إلى أصله (الله الآب)".

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١ يناير ٢٠١٥.

طبعًا، كل ما شرحه المعترف هو خاصٌّ بالموضوع المرفوض عند بعض الإكليروس، وهو تألُّه الإنسان، ذلك لأن الإنسان بالشركة يتحرك *Pros* حسب النعمة، وهي التشبه بالثالوث.

في المقالة الثانية *Ambiguum 2: 8* يشرح المعترف الاتحاد الأقنومي، وبشكلٍ خاص، تبادُل الصفات، فيقول: "المسيح أقنوم واحد "في طبيعتين" (حسب تعبير مجمع خلقيدونية ٤٥١). غير المخلوق والمخلوقة التي بلا تحوُّلٍ ولا ألمٍ، والقابلةُ للتغيير والألم، يعطي –دون عائق– كل ما يخص طبيعة الأقنوم من صفات. تبادُل الصفات يتم بالحلول المتبادَل". وفي المقالة الثالثة يؤكد نفس الكلام (٣: ١٠).

يوحنا الدمشقي:

استخدم القديس يوحنا الدمشقي المصطلح ٢١ مرة في كتاب "الإيمان الأرثوذكسي"، وبالذات في الفصل ٤٩ لأن المتكلم الذي أعلَن "أنا في الآب والآب فيَّ"، كان متجسدًا، ففي (٧: ٤٩ ثم ٢٧: ٤٩) يقول: "كما أن الأقانيم الثلاثة متحدون بدون اختلاط، هكذا على نفس القياس طبيعة المسيح، ورغم أنهما متحدتان إلَّا أنهما متحدتان بدون امتزاج، ورغم أن كل طبيعة تحلُّ في الأخرى *Perichorousin* إلَّا أن الاتحاد لا يسمح بتغيير أو تحول كل طبيعة إلى الطبيعة الأخرى".

شهادة التاريخ الكنسي

من التاريخ الكنسي نعرف أنه منذ القرن الثاني الذي ظهرت فيه بدعة "المشبِّهة"، حتى منتصف الخامس، كان التجسد، الذي أطلق عليه أساتذة اللاهوت الغربي اسم "خرستولوجي"، وحسب قاموس اكسفورد الكبير، لم تظهر هذه الكلمة إلَّا في القرن الـ ١٧، وهو بداية التقسيمات الغربية التي لا زال لها آثار جانبية على كل شيء في الحياة، وأولها تمزيق الرؤيا الواحدة لعملٍ واحد للثالوث، لم نعرفه ولم نتذوقه إلَّا بتجسد الله الكلمة، وحلول الروح القدس فينا.

النعمة موضوع لا زال يحتاج إلى عدة أبحاث، رغم بحث د. وهيب قزمان عن "النعمة عند القديس اثناسيوس" في رسالة الدكتوراه التي نُشرت بالعربية، إلَّا أن تعبير "مفهوم – *Concept*" هو تعبير مروِّع، بل الأخطر منه هو تعبير "مصطلح – *Term*"، كلاهما يؤكد وجود فكرة في العقل. وأفكار العقل التي تسبق علاقة الشركة في الحياة الإلهية، مشكلة سوف تدوم معنا لوقت طويل.

ولو راجعنا الكلمات العربية على ما استعلِن "في المسيح"، لوجدنا أننا نتحرك في المسيح ذات حركة الحلول المتبادل التي صارت منحةً لنا بسبب تجسد الابن الكلمة. ولذلك يجب أن ننتبه إلى ما يلي:

* لم يكن التجسد حدثًا تم خارج الحياة الثالوثية؛ لأن الابن الذي هو في حضن الآب، قد جاء وخبَّر (يوحنا ١: ١٣–١٨).

* لم يكن حلول الروح القدس، حلولٌ أبعدنا عن الحياة الثالوثية، بل أدخلنا إلى عمق هذه الحياة. ونحن عندما نستدعي الروح القدس في القداسات، ندخل ذلك الحلول الأبدي؛ لأن الثالوث غير قابل للانقسام؛ لأن الانقسام هو الموت، وهو الخطية أيضًا (رو ٥: ١٢ وبعدها).

الوجود والموجود:

الوجود والموجود، كلمتان خاصتان بالمخلوقات. وقد ظهر هذا القصور بشكل واضح في عنوان كتاب "الوجود شركة" الذي تُرجِم بمساعدة المؤلف وهو *Being as Commuion* لأن الكلمة *Being* لا تعني أصلًا الوجود، بل الكيان، والوجود هو *Existance*. الله غير موجود؛ لأن الموجود اسم مفعول، ويعني أن هناك آخر أوجد الله. الوجود قاصرة على المخلوقات فقط، وحتى كلمة "الكيان" في العربية هي ليست ترجمة للكلمة اليونانية όν بل تجيء من كان – يكون – كينونة – كائن.

ولأن الأسفار المقدسة والآباء لم يستخدموا كلتا الكلمتين في شرح الإيمان بالله، صار الوجود المتبادَل تعبيرًا غير مقبول لاهوتيًا؛ لأن الآب في الابن حياة واحدة، ومحبة واحدة، وليس لدينا سوى كلمة *Being* التي لم نجد مقابلًا لها في العربية سوى كلمة "وجود".

نحن إزاء محاولات ترجمة، لا محاولات إصدار أحكام، أو حتى حكم واحد على شخص واحد.

حوارٌ مع صديق عن أُلوهية يسوع المسيح[1]

الحوار الأول

عزت صديقٌ مكافح، هاجر إلى بريطانيا ثم أمريكا في السبعينات من القرن الماضي، وعمل في مجالات عدة في الحياة، واستقر أخيرًا في عملٍ يفضِّله. انتقل بين كنائس عديدة، وما أكثر الكنائس في أمريكا، وما أكثر المذاهب أيضًا، ولكنه استقر أخيرًا في إحدى الكنائس الأرثوذكسية .. الأخ عزت درس الهندسة في مصر، ونال بعض المعرفة المسيحية قبل أن يهاجر، ولكنه يصارع مع أسئلة هامة لم يسمع عليها إجابات مقنعة. تقابلنا ودار الحوار الذي سجَّله هو، ثم أعطاني نسخة من التسجيل.

عزت: أريد أن أعرف لماذا تؤمن أنت بأُلوهية يسوع المسيح؟ لا أريد أن أسمع آيات من الكتاب المقدس لأنني أعرفها كلها.

جورج: هل أنت تريد أن تسمع إجابة عقلية فلسفية محضة؟

عزت: نعم.

جورج: أنت سألتني سؤالًا شخصيًا، والإجابة هنا ليست فلسفية وعقلية محضة، بل هي أيضًا شخصية.

عزت: ماذا تعني بكلمة شخصية؟

---

(1) منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٧ يوليو ٢٠١٧.

جورج: الإيمان هو التزام، وهو قبولُ سِرٍّ يقبله العقل، ويجد فيه الإنسان سلامًا نفسيًا وسعادةً وفرحًا.

عزت: أنا لم أجد هذا السلام ولا الفرح. فما هو السبب؟

جورج: لا أدري، ولكن الذي أعرفه شخصيًا هو أن يسوع أعلن لنا أعظم ما يصل إليه العقل، وهو المحبة. وحسب معرفتي، المحبة هي أعظم ما يمكن أن يفكر فيه الإنسان ويعتقده.

عزت: السبب في محورية المحبة؟

جورج: لا يوجد سبب. دائمًا توجد حقيقة ثابتة، وهي أن كل ما في الكون يتحرك بمحبة. فهي سرُّ بقاء الإنسان في الأسرة، وسرُّ قبول المرأة بذرة الحياة ٩ أشهر، وسرُّ كفاح الأب والأم في تربية الأولاد، بل هي سرُّ بقاء الوطن حرًا؛ لأنه بدون المحبة تنهار كل العلاقات الإنسانية. وعندما جاء يسوع وأعاد إلى المحبة مكانتها ومركزها الحقيقي، أدركتُ أن يسوعَ ليس مجرد إنسان لأنه علَّم بالمحبة لكل الذين رفضوه، وأعطى علامة التلمذة له بأن نحب كما أحبَّ هو.

عزت: أنت تعود من الباب الخلفي للأسفار. أريد العقل لا النقل.

جورج: العقل يقول إن لدينا رسالةَ شخصٍ عاش للمحبة ومات للمحبة، وأن هذه الرسالة سُطِّرت في حياة أشخاص مثل أنطونيوس الكبير، وهو مثال لمن شاء أن يكون تلميذًا ليسوع بعد صَلبِ يسوع وقيامته بحوالي ٤٠٠ سنة. التاريخ الذي لم يكن سوى شهادة لشخص يسوع، وهو هنا ليس أسفار العهد الجديد، بل كيف تجسَّد شخص يسوع في حياة أشخاص مثل الأنبا إبرآم أسقف الفيوم، والبابا كيرلس السادس، وأبونا متى المسكين، وأنت وأنا؛ **لأننا جميعًا إصحاحات من اللحم والدم تكتب تاريخ يسوع.** هل انتبهت إلى أن شهداء المنيا أو سمالوط قد أعادوا لنا صفحات من تاريخ الكنيسة، ظهرت بوضوح، ليس بالحبر والورق، بل بالدم؟ لقد طبع

يسوع حياته ليس على ورق، بل على حياة أشخاص عشنا مع بعضٍ منهم.

عزت: جيد. إذن، ردُّكَ هو العودة إلى التاريخ؟ ولكن التاريخ قابل لأكثر من تفسير.

جورج: هذا صحيح. ولكن تبقى حقيقة بارزة، وهي أن كل الذين تبعوا سلوك ووصايا المسيح يسوع كانت حياتهم مختلفة، فلم يكن أيٌّ منهم نسخةً مقلَّدةً ليسوع، بل حَمَلَ كلٌّ منهم قبسًا من نور يسوع. ولذلك، نحن نجمع كل هؤلاء ليكون لدينا صورةً واضحةً، لا صورةً أُحاديةً. هكذا نجمع صورة أنطونيوس الذي باع كل ما لديه لكي يكون تلميذًا، وصورة إبرآم أُسقف الفيوم الذي كان يعطي الفقراء كل ما لديه، لدرجة أنه عندما مات، لم يكن في المطرانية مالًا لشراء الكفن لدفنه. أو أرسانيوس الذي كان يسهر الليل كله في الصلاة مثل يسوع.

عزت: حاسب، أنت كده بتتكلم عن أشخاص غير يسوع.

جورج: هذا صحيح، ولكن لا يمكن فهم أيًّا مِن هؤلاء بدون يسوع. لديك فصولٌ من اللحم والدم، أي البشر هي إشعاع يسوع في تاريخ البشر.

عزت: هذا اعتبره نقلًا. أريد العقل.

جورج: جيد. هل فحص المحبة عقلٌ، أم نقل؟

عزت: يمكن أن تكون عقلًا، ويمكن أن تكون نقلًا، والعبرة في الذي يقدِّم أو يطرح الموضوع.

جورج: هل لدينا مثالٌ عن المحبة أعظم من مثال يسوع؟

عزت: لا أعرف، وأنا أقول الصدق.

جورج: حسنًا. هل يوجد ما هو أعظم من المحبة في حياة أي إنسان، بل في حياة أي شعب؟

عزت: لا أظن. ربما المحبة، لا سيما محبة الوطن والأسرة والأب والأم. هذه

العلاقات تتفكك بدون المحبة. لكن ما علاقة هذا بيسوع المسيح؟

جورج: وضَعَ يسوع محبة الله ومحبة القريب: حِب الرب إلهك، وحِب قريبك كنفسك، أهم ما في الحياة. ثم طبَّق يسوع هذا على نفسه. كانت محبته للآب بلا حدود، وكانت محبته للتلاميذ بلا حدود، فقال لهم: "لا أعود أسميكم بعد عبيدًا بل أحباء". وقد تغنَّى رسولٌ من رسل يسوع بالمحبة في (١كو ص ١٣)، وجعل منها أنشودة الحياة الإنسانية، بل الإلهية الحقة.

عزت: حسنًا. أنت تقدم العقل، وتسنده بالنقل.

جورج: ربما. لأن المسيحية ديانة وتاريخ. وتاريخ المسيحية هو تاريخ الشهادة ليسوع، وهي مدوَّنةٌ في الأناجيل والرسائل وأدبيات القرون الأولى. فهل أنت تعتبر أن تأكيد العقل لدور المحبة بما هو في التاريخ مرفوضٌ لأنه من النقل؟ ما هو النقل الذي تقبله؟

عزت: أريد سببًا واحدًا واضحًا قاطعًا يجعلني أؤمن أن يسوع ربٌّ.

جورج: الأسباب كثيرة: أولها التجسد، وثانيها الصلب، وثالثها القيامة، ورابعها الصعود، وآخرها عطية الروح القدس.

عزت: هذا غير مقنع.

جورج: يا أخي، إذا سألتك: هل أنت مصري؟ وهل لديك برهان على ذلك، فإن جوابك هو من واقع حياتك. الاعتراف بيسوع رب هو من واقع حياة يسوع، ما قدَّمه وسبق وأعلنه. هو سؤالٌ عن شخص، ومن واقع الحياة الشخصية يجب أن يأتي الجواب.

عزت: أنت صعَّبتَ الموضوع؛ لأن التجسد هو من النقل، وأيضًا الباقي كله من النقل مثل الصلب والقيامة.

جورج: أنا لا أعرف ما هو سر العداء للنقل. هل تقصد التاريخ؟ وهل التاريخ مرفوض عندك؟

عـزت: ربمـا. أنـا لا أسـتطيع أن أقبـل التـاريخ؛ لأن الـذين كتبـوا التـاريخ كـانوا مسيحيين مثلك وبالتالي ما كتبوه يخلو من الموضوعية.

جورج: من أين جئت بهذه المعلومة. لقد كتب المؤرخون الرومان مثل تاسيتوس، ومِن قبله بلِّيني الصغير، عن يسوع، وهم لم يكونوا مسيحيين.

عزت: آسف. لم أسمع بهؤلاء. ولكن هؤلاء شهدوا بلا شك بأنه إنسان فقط.

جورج: بلِّيني الصغير ذكر في رسالته إلى تراجان أن أحد جواسيس روما استطاع أن يحضر "اجتماع كنسي"، وقال إن المسيحيين رتلوا ترنيمة للمسيح كإله.

عزت: أنا لم أقرأ هذه الشهادة.

جورج: ولكن ما هي سر العداوة للتاريخ؟ لا يستطيع أحد أن يثبت أنك مصري إلَّا بالعودة إلى شهادة ميلادك، والأسرة أي الأب والأم، وإلى الذين عرفوك وأنت صغير وعاشوا معك. هكذا قدَّم متى شهادة ميلاد يسوع بالشكل الذي عُرِفَت به شهادات الميلاد في ذلك الزمان، فكتب "يسوع ابن داوود ابن ابراهيم .."، ثم ذكر ولادة يسوع. هذه أمور شخصية يتعذَّر إنكارها أو البحث عن بديل لها.

أعود فأقول لك، إننا أصدقاء، ولذلك نتحاور. ما هو دليل الصداقة التي بيننا؟ هو العلاقة نفسها، وهي الحوار، ثم معرفة كل منا بالآخر، فإذا دُوِّن ذلك، فما هو سبب انكار الصداقة أو إنكار التدوين؟ أرجو أن تقدم لي سببًا معقولًا من العقل.

عزت: ليس لديَّ أسباب، ولكن ما هي قيمة الأسباب التي ذكرتها التي تبدأ بالتجسد؟

جورج: إذا اكتفينا بالتجسد الآن على أن نعاود الحوار حول الأسباب الأخرى، لا سيما الصَّلب والقيامة، وجدت أن تجسد ابن الله هو دليلٌ على الأُلوهة؛ لأن المخلوق من العدم لا يقدر أن يتَّحد بمخلوقٍ آخر مثله. نحن لنا وجود

محدود، وحدود الوجود هو أن لنا طبيعة مخلوقة، فإذا جاء شخصٌ ما واتخذ لنفسه هذه الطبيعة وعاش بها قرابة ٣٣ سنة، وظلّ إلهًا وإنسانًا في نفس الوقت، فإن هذا الشخص لابُد وأن يكون إلهًا؛ لأنه استطاع الاحتفاظ بأصله الإلهي، وما أُضيف إلى أصله، أعني ظلّ إلهًا وظلّ إنسانًا.

عزت: جيد .. على أي أساس وصلت أنت إلى هذه القناعة؟

جورج: على أساس حياة وأقوال وتصرفات يسوع. فهو يُظهِر الأُلوهة في قوله: "أنا هو الطريق والحق والحياة". ويُظهِر الإنسانية عندما يقول للمرأة السامرية أعطني لأشرب. هو يقيم الموتى، ولدينا أسماءٍ لمن أقامهم يسوع، مثل لعازر من بيت عنيا. وشفى المرضى، ولدينا مريضة معروفة لبطرس، وهي حماته. ولكن التغيير الواضح في حياة تلاميذه مثل متى جامع الضرائب، وبطرس صياد السمك، هذا التغيير يفرض عليّ أن أرى بوضوح ما الذي حدث لهؤلاء اليهود، وكيف تحولوا لبشارة جديدة ليست يهودية، أي تركوا ديانتهم واعتنقوا مبادئ وتعاليم يسوع. شيءٌ جديد حوّلهم عن طريق الآباء والأجداد، ما هو؟ ويجب أن نلاحظ أن يسوع لم يقدّم لهم وعودًا بحياة مريحة وسهلة.

هل عشت في أيام الرئيس عبد الناصر؟ هل تذكر كيف تأثرنا به، وكيف ضاع التأثير بعد وفاته، وظلّ مجرد ذكرى وطنية؟ نحن نتأثر بشخصيات نعرفها، بل أحيانًا نقلدها. ولكن يسوع لم نتأثر به كما تأثرنا بأي زعامة أو أي إنسان مشهور. يسوع يتغلغل في ثنايا القلب والوجود. إنه ليس مثل أي شخصية عامة مؤثرة.

عزت: ربما هذا عائد إلى الصلاة ودعاء الاسم.

جورج: ربما. ولكن دعاء اسم أي شخص مهما كان، لا يجلب السلام القلبي أو الفرح، ولا يطرد الشياطين ولا يفرّق الخيالات والأفكار الشريرة. ولأن يسوعَ حيٌّ وقام من الموت، صارت قيامته في قوة اسمه. هو خلودي وقيامتي

لحياة أبدية، ولذلك حياته الغالبة قد دخلت إلى كياني كله.

عزت: أنت تحبه بهذا القدر؟ ربما يجب أن نتابع الحوار مرة أخرى في القريب العاجل.

جورج: إن شاء الرب.

حوارٌ مع صديق عن أُلوهية يسوع المسيح[1]

الحوار الثاني

عاد صديقي عزت للحوار وهو مثقلٌ بأفكارٍ كثيرة.

عزت: أنا مندهش من إصرارك على أن يسوع إلهٌ، مع أنه كان يأكل ويشرب وينام، وحسب التاريخ الروماني، صُلب ودُفِن، وحسب التاريخ المسيحي قام في اليوم الثالث، أعني أن هذه ليست صفات أو حياة إله، بل إنسان.

جورج: نعم أنت قلت نصف الحقيقة؛ لأن يسوع هو فعلًا إنسان، ولكن النصف الآخر هو الأُلوهة التي تبدو لك كما لو كانت إشكالية كبرى.

عزت: نعم هي إشكالية؛ لأنه إما هو إنسانٌ، وإما هو إله. فلماذا تريد أنت أن تعترف بأنه إلهٌ وإنسان؟

جورج: وجدت في تاريخ الإنسانية غير المسيحي عطشًا هائلًا لكي يصل الإنسان إلى الأُلوهة. عندنا في مصر الفرعونية، تعدُّد آلهة الفراعنة هو إسقاط إنساني لرغبات مكبوتة كامنة في الوجدان، أسقطها الإنسان على ما حوله لأنه يريد أن يصل إلى الله، ويريد أن يكون مثل الله.

عزت: أنت إنسان عجيب، تقفز من حيث لا أتوقع. ما علاقة عطش الإنسان إلى الله وإلى الأُلوهة بتجسد يسوع المسيح؟

---

(1) منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢ أغسطس ٢٠١٧.

جورج: يا أخي خليك صبور وتمهَّل عليَّ. لو درست التصوف الإنساني في أقدم ديانات الأرض، الهندوكية والبوذية، ثم ما جاء بعد ذلك، لوجدت أن الإنسان يريد أن يذوب في الله باسم النيرفانا، وأن يكون هو الإله مثل بوذا، وأن يعشق الله إلى حد الموت جوعًا وعطشًا مثل ابن الفارض في الإسلام، أو يذوب حُبًّا مثل رابعة العدوية، أو يتغنى بالرحمة والمحبة مثل جلال الدين الرومي في كتابه "المثنوي" أطول شِعر عن الله في تاريخ البشرية.

عزت: حاسب. أنت انتقلت من الهند إلى فارس وإلى العراق وإلى مصر، بذكر هذه الأسماء التي لا أعرف منها إلا القليل.

جورج: هذه الأسماء تؤكد لنا أن الكلمة اللوغوس يُرسل نور معرفته لكل البشر، وأن الإشراق الكامل تمَّ في تجسده، وهذه هي محصلة دراستي لعلماء الإسكندرية العظام: أكليمنضس وأوريجينوس، ثم اسحق السرياني، ويوحنا الملقب بالشيخ الروحاني، وسلسلة تمتد من أنطونيوس الكبير في مصر إلى رجال ونساء في الغرب، كان أعظمهم على الإطلاق إيكهارت، ثم أنجيلوس سلاسيوس، الأول في القرن الثالث عشر، والثاني في القرن السابع عشر. لديَّ عبارة واحدة هي عطش الإنسان إلى التألُّه، وإلى أن يحب كما يحب الله، ولذلك لم أجد في استعلان يسوع المسيح إلَّا تحقيق لهذا العطش، وتقديم الماء الحقيقي الذي يروي هذا العطش.

عزت: لقد خرجت عن الموضوع تمامًا. أنا أسألك عن المسيحية، وأنت تجمع من الإسكندرية إلى السريان، ثم الغرب، وأنا لم أسمع عن إيكهارت، والآخر الذي ذكرته .. أنا محتار فيك. جاوبني لماذا تؤمن بأن يسوع هو إله وإنسان كما ذكرت؟

جورج: لقد أخبرتك وأنت لا تريد أن تسمع جيدًا. لدينا جيشٌ من البشر، امتد من فجر الحضارة حتى عصرنا الحاضر، من آدم إلى كيرلس السادس ومتى

المسكين وعبد المسيح المقاري وبيشوي كامل. هؤلاء نالوا النور الإلهي من اللوغوس المتجسد. ثم ماذا ترى في عطش هتلر إلى الأُلوهة، وهو يريد أن يحكم العالم كله؟ ألا ترى أن النازية ثم الفاشية، وبعدها داعش، وقبل داعش، الاشتراكية الشيوعية، أي الأنظمة الشمولية، إلا بحث الإنسان عن المطلق والخروج عن المحدود؟

عزت: عجيبٌ أمرك! كيف يكون تفوُّق الجنس الآري الألماني عطشًا إلى الله؟

جورج: ليس التفوُّق العِرقي للجنس الآري، بل استخدام هذا التفوُّق بشكلٍ مطلق يحكم الكرة الأرضية. كان هذا هو الحلم الإلهي للنازية، وهو ذات حلم داعش في أيامنا. هو عطشٌ مقلوب، أي بدلًا من أن يتجه نحو بناء ما هو صالح وإيجابي، انقلب إلى تكوينٍ شرير هدام، جعل من المطلق هدفًا يستوجب قتل وتدمير كل اعتراض في طريقه. هذه هي الأُلوهة المقلوبة التي تستدير نحو الذات، وتجعل الذات أو الأمة أو الجنس هو المرجعية المطلقة التي تحكم على كل شيء آخر بالتدمير.

عزت: أنا أحتاج لبعض الوقت لكي أهضم هذه المقولة. وأنا لم أسمع عن أُلوهة مقلوبة. حاول أن تكون رحيمًا مع إنسان بطيء التفكير مثلي.

جورج: حسنًا. تأمل إنسانًا انفجر غضبه على إنسانٍ آخر، فقام ليس فقط بضربه، بل بقتله، ثم تقطيع أعضائه. مَن الذي أعطاه الحق في هذا التصرف؟ هو الأُلوهة الكاذبة أو المقلوبة. طيب بلاش دي. هل سمعت أشعار العشق التي تنشدها السيدة أم كلثوم والتي تعبِّر عن الرغبة في أن تذوب في الحبيب كما في شعر إبراهيم ناجي في قصيدة الأطلال.

عزت: نهارك موش فايت. إيه اللي جاب أم كلثوم للتجسد.

جورج: يا أخي أنا لم أتكلم عن أم كلثوم، ولكن عن العشق، عن الرغبة في الاتحاد المطلق مثل:

وإذا النورُ نذيرٌ طالعٌ   وإذا الفجرُ مُطِلٌّ كالحريق.

فقد ظلَّت تحب مَن تحب، حتى جعلها نور الفجر تفيق.

عزت: أنت تحب الآباء؟

جورج: نعم.

عزت: هل قرأت هذا عند الآباء؟

جورج: نعم. عند مار إفرام السرياني. إن التجسد كان استجابةً من الله لرغبة آدم في أن يصير إلهًا. وعند النزينزي: لابُد أن أصير إلهًا لكي أعرف كيف أُخاطِب الله.

عزت: لا. أنا أقصد الذوبان في الآخر في العشق.

جورج: قرأته في سفر النشيد. وإذا درسته جيدًا، تجد أن المرأة والرجل كلاهما يبحث عن الآخر لدرجة أن الرجل يُسقِط أوصاف البيئة المحيطة بالمحبوبة على المحبوبة، فيتحول المحدود إلى مطلق.

عزت: هل أنت أول مَن فكَّر في هذا؟

جورج: لا، بل هي دراستي وحواري مع عمالقة مثل د. وهيب عطا الله، ود. وليم الخولي، ودراستي لموسوعة ميشيل فوكوه لتاريخ العلاقات الجنسية، وهو قد استفاد بلا شك من تراثنا الأرثوذكسي، وطوَّعَ هذا التراث. لأن مكسيموس المعترف -قبل فرويد- هو الذي رأى في الجنس Sex الرغبة في الخلود. وتبع هؤلاء عددٌ كبير من علماء الاجتماع عبَّروا بأن الرغبة في الخلود هي المحرك الحقيقي لمحبة الوطن، والزواج والاتقان الفني والفلسفي والعلمي، بل والعسكري أيضًا.

عزت: حلو. ما علاقة كل هذا بالإله المتجسد الذي تعشقه أنت؟

جورج: شيءٌ غريب. أراه كما أراك. لقد جاء الكلمة وصار إنسانًا لكي يصير

الإنسان إلهًا (كما كتب أثناسيوس في تجسد الكلمة فصل ٥٤: ٣). وهو ما يعني أنه جاء لكي يحقق لي أعز ما أُريد: أن أصير إنسانًا حقيقيًا يجد في تجسده تحقيق كل ما كان يتمناه، وهو الخلود والقيامة وميراث الملكوت. هذه ليست كلمات، وإنما هي ما وُهِبَ لنا في يسوع المسيح.

عزت: آه، لقد عُدت إلى النقل من جديد.

جورج: حتى هذه اللحظة لا أعرف ما هي مشكلتك مع النقل؟

عزت: المسلَّمات التي بلا دليل.

جورج: دليلي على ما أقول هو الإنسان الكائن فعلًا فيَّ وفيك؛ لأن يسوع هو بداية الإنسان وهو مصير الإنسان. هو بداية ما هو حقيقي: أنا وأنت، ومصير ما هو حقيقي: أنا وأنت. الإنجيل يبدأ بالإنسان: "الكلمةُ صار جسدًا"، وينتهي بمصير الإنسان: "وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي".

عزت: هل يمكن أن نتابع الحوار؛ لأن ما ذكرته سوف أسمعه أكثر من مرة، وأحتاج إلى وقتٍ لكي أُفكِّر فيه.

جورج: حسنًا، وبكل سعة صدر.

ألوهية يسوع المسيح

حوارٌ مع صديق

جاري كيفن كان ملحدًا ثم آمن بالله، ولكنه ضل الطريق مرة ثانية وانضم إلى (كنيسة) عرفت باسم الموحِّدين تُنكر الثالوث، وتُنكر ألوهية الرب يسوع وكذلك ألوهية الروح القدس. وتعتقد بأن يسوع إنسان فقط ويمجدون أريوس. كنت ضيفًا على جار لنا ثم تقابلت مع كيفن ولما عرف بأنني درست بل كنت أدرس اللاهوت تحداني بشكل سافر. ودار هذا الحوار.

كيفن: على أي أساس كتابي تؤمن بأن يسوع إله ورب؟

جورج: على أساس ما ذكره يسوع نفسه وما صرح هو به، فهو يعرف الآب معرفة شخصية بل قال أنه رأى الآب، وباسمه يتم شفاء المرضى وطرد الأرواح النجسة. وأنا أتوقف عند تصريح يسوع نفسه "أنا هو القيامة" و"كل من آمن بي ولو مات فسيحيا بل وأنا أقيمه في اليوم الأخير" هذه تصريحات لا يمكن أن تصدر من مخلوق مثلي ومثلك.

كيفن: معظم ما ذكرت هو من الإنجيل الرابع وهو وثيقة متأخرة جدًا تقول دائرة المعارف البريطانية أن الإنجيل الرابع كتب في القرن الرابع. أريد كلمات وعبارات سابقة على يوحنا.

جورج: هذه لكنة بريطانية لأن أقدم بردية للعهد الجديد هي P. 52 وهي تعود إلى الفترة ٤٠–٦٠ وربما بعد ذلك ولكنها أقدم برديات العهد الجديد ولذلك الاحتجاج انجيل يوحنا هو وثيقة متأخرة هو هراء. ماذا تقول عن (كولوسي ١ : ٩) "يحل فيه كل ملء اللاهوت جسديًا" وهو ما ذكره الرسول يوحنا

في (١ : ١٣-١٤) الكلمة صار جسدًا وايضًا "المسيح الكائن على الكل الهًا مباركًا" ودعاء المسيح باسم ربي وبالذات "لا يستطيع أحد أن يقول أن يسوع رب إلا بالروح القدس" (١كو ١٣ : ٣).

كيفن: ولكن لماذا تؤمن أنت بألوهية يسوع؟

جورج: لأن انساني والألوهة اتحدت في شخصه المبارك ولذلك هو انسان عند الآب واله عندي وهو يجمع في وحدة واحدة اللاهوت والناسوت هذه حقيقة فائقة تجعلني أجد في يسوع كل ما أريد أن أعرفه عن الله وكل ما أريد أن أعرفه عن الإنسان، وأنا لا أستطيع ان افصل بين الله والإنسان في يسوع المسيح. ذلك مقامي في الله هو يسوع ومقام الله عندي هو يسوع.

كيفن: هل هو يهوه؟

جورج: نعم وعليك أن تقرأ الإصحاح الأول من الرسالة إلى العبرانيين تجد أن كلمات العهد القديم من المزامير بالذات قد استخدمت بوفرة لشخص يسوع المسيح مؤكدة أنه اله العهد القديم هو نفسه الذي تجسد.

كيفن: سوف أفعل ذلك وشكرًا.

مجمع خلقيدونية ٤٥١م،
ما له وما عليه[١]

لم أجد في مقال الأرشمندريت جريجوريوس ما يستحق الرد، فهو قد عاد إلى ما كان سائدًا في أجواء الشرق قبل الغزو الفارسي الذي دمرت فيه جيوش فارس، مصر وسوريا قبل الفتح العربي، ومهَّد ذلك الغزو الفارسي لدمار الامبراطورية الرومانية الشرقية، ثم جاء دمار العاصمة الامبراطورية على يد الأتراك العثمانيين بعد ذلك.

لا أدري سر ذلك العبث بالتاريخ القديم في أجواء شتاء عربي، فقد غاب الربيع أو هو يوشك أن يغيب في غيوم الاقتصاد، وفي عتمة إنكار المواطنة، وفي ظل دعوة سافرة لفرض الجزية، وتدمير الأهرام وأبو الهول، ودمار كنائس في سوريا وقبلها العراق، بل ومصير سوريا الذي يتأرجح، ومصير الدولة المدنية الذي يكاد يغيب عن الوعي بعد ثورة ٢٥ يناير .. وعبر حدود رسمها مستر سايكس ومستر بيكو تم تقسيم العالم العربي بعد الحرب العالمية الأولى، فقد كان من أملاك الرجل المريض، الدولة العثمانية – التي لم تعد رجلًا مريضًا الآن – وعاش الأقباط والسريان والأرمن والروم في زمن لم يكن فيه حقوق للإنسان، ولم يكن فيه اعتراف بالآخر، وحتى مُحرر القدس صلاح الدين أمر بأن تُدهن قباب الكنائس بالزفت، وأن تُكسر الصلبان، وفُرضت أزياء على كل نصارى الشرق .. ويكاد التاريخ القديم يعود ويطل علينا برأسه عبر فضائيات تنشر سموم الكراهية باسم الإسلام وباسم المسيحية لكي تموت المواطنة ويتمزق الوطن ...

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٧ فبراير ٢٠١٣، تعقيبًا على تعليقات القراء على محاضرة "نظرة على مجمع خلقيدونية ٤٥١م" والمنشورة على الموقع في ١١ فبراير ٢٠١٣.

في هذا الجو يسأل البعض: ماذا عن مجمع خلقيدونية ٤٥١م؟!!!

يا قوم، لقد مضى على هذا المجمع ١٤٠٠ سنة تقريبًا، فلماذا لا تسألون عن الحوار اللاهوتي الذي دار بين كنائس أرثوذكسية قبل بعضها هذا المجمع، ورفضه البعض الآخر، في لقاءات حوار:

- أرهوس – الدنمارك – ١١ – ١٥ أغسطس ١٩٦٤.
- برستيول – انجلترا – ٢٥- ٢٩ يوليو ١٩٦٧.
- جنين – سويسرا – ١٦- ٢١ أغسطس ١٩٧٠.
- أديس أبابا – ٢٢ – ٢٣ ديسمبر ١٩٧١.

ولماذا غاب من مقارنات الأب الفاضل د. أثناسيوس حنين والأرشمندريت جريجوريوس ولو لمحة عن البيانات المشتركة التي صدرت في هذه اللقاءات، والتي تؤكد أن الإيمان الواحد هو ما سجله القديس كيرلس السكندري، وما عبَّرت عنه الفصول الاثنى عشر (الحروم)، والرسائل التي قبلها مجمع أفسس ٤٣١ ومجمع خلقيدونية ٤٥١؟

غياب النصوص دليل العبث بالتاريخ

هل حقًا كان البابا ديوسقوروس هرطوقي – أوطاخي العقيدة؟ لقد قبل أوطاخي في شركة الكنيسة في ٤٤٩ بعد اعترافٍ بالإيمان، وهو مجمع أفسس الثاني، وجاء حرم فلافيان ثم موته بعد ذلك بمثابة اتهام بأن ديوسقوروس كان هو قاتل فلافيان حسب صياح بعض الأساقفة في مجمع خلقيدونية.

لكن حتى تاريخ كتابة هذه السطور لا يوجد لدينا نصٌ واحدٌ يؤكد أن ديوسقوروس قال أو اعترف بما لم يكن قد تسلَّمه من القديس كيرلس السكندري، وهو: "طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد". (راجع الرسالة ٤ – مجموعة الآباء. مجلد ٧٧ للقديس كيرلس عامود الدين ١٩٢ -١٩٣). واستخدام كلمة طبيعة بوفرة في شرح انجيل يوحنا للقديس كيرلس السكندري عندما يشرح الثالوث مؤكدًا أن الابن له ذات طبيعة الآب، ثم يعود بعد ذلك مؤكدًا أن الابن بالطبيعة هو

الابن الوحيد والإله المساوي للآب، فإن القارئ الفطن يفهم على الفور أن كلمة "طبيعة" تعني "جوهر"، وأنها في نفس الوقت تعني "أقنوم"؛ لأن الكلمة "طبيعة" هي كلمة مجردة وتحديد عقلي فلسفي يؤكد الكيان أو الوجود أو الحياة. ولدينا العبارة المشهورة التي يعرفها كل من الأب أثناسيوس حنين والأرشمندريت جريجوريوس، وهي عبارة مكسيموس المعترف: "لا توجد طبيعة بلا أقنوم"؛ لأن الطبائع التي بلا أقانيم هي المخلوقات غير العاقلة.

بكل أسف، مع احترامنا الكامل لعالم جليل ولاهوتي ممتاز أخذنا عنه الكثير في الكتب القبطية الأرثوذكسية، وهو يوحنا الدمشقي، فهو عندما يكتب عن المونوفيزية، أي الطبيعة الواحدة، يكتب عن الأوطاخية، وقد تعذَّر عليه رغم معرفته اللاهوتية، أن يقدم نصًا واحدًا من عظات القديس ساويروس الأنطاكي (نشر النص السرياني في مجموعة *Patrologia Orientalis* وحقق النص كل من *F. Grattin* و *M. Briere*).

بل لم يطلع على ولم يقرأ رسائل القديس ساويروس الأنطاكي إلى سرجيوس والتي نشرها *Ian. P. Torrance* في دراسة جيدة عن الخرستولوجي بعد خلقيدونية.

بل من المؤسف حقًا أننا لم نحاول ترجمة أطروحات الأب الكاثوليكي J. Lebon عن ساويروس الأنطاكي والتي نُشرت تباعًا منذ عام ١٩٠٨ – ١٩٥١ في أربع دراسات كبرى يدافع فيها عن القديس ساويرس، وكانت هذه الدراسة بالذات هي أحد مراجع المصالحة بين روما والكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والتي قادها قداسة البطريرك مار أغناطيوس زكا عيواص والبابا يوحنا بولس الثاني.

المشكلة اللفظية ظاهرة وهي بالتحديد:

أولًا: لا يمكن أن نتكلم عن الاتحاد الأقنومي بالأرقام، أي بالاحتفاظ برقم اثنين، أي واحد في اثنين؛ لأن هذا يُسمع لدى الإسكندرية وأنطاكية السريانية على

أنه عودة إلى ثنائية نسطور، لذلك أضاف القديس ساويرس الأنطاكي شرحًا لما جاء في مجمع أفسس ٤٣١ إن الطبيعة الواحدة هي طبيعة σύνθετος والترجمة العربية "مُركَّبة"، وهي ترجمة سيئة للغاية لأن الكلمة الانجليزية أقرب *Composite* ولم تكن هذه الإضافة جديدة، بل وردت عن القديس غريغوريوس النيسي في رده على أنوميوس (فقرة ١٢)، واستخدمها القديس كيرلس الكبير نفسه في كلامه على اتحاد الطبيعتين في شرح (أشعياء ٢: ٣ مجلد ٢ عامود ٢٥٤).

أعود وأكرر، إن الافتقار إلى الوثائق هو ذات الطابع السلفي الأصولي الذي يعرف فقط كيف يحشد الاتهامات، والدليل على ذلك أنه لا توجد في محاضر جلسات مجمع خلقيدونية ٤٥١ عبارة عقائدية واحدة تدين أبونا المعترف بالإيمان القديس ديوسقوروس، وعلى مَن يشك في صدق هذه العبارة، أن يقدم الدليل. عيبٌ علينا أن نحشد الاتهام، ثم بعد ذلك نبحث عن الدليل، وإذا لم نجده فعلينا أن نخترعه، وإذا عجزنا عن الاختراع، فعلينا أن نركب قطار الشتائم لكي نقف عند محطة الكراهية والعداء ... نريد دليلًا واحدًا من أية وثيقة تاريخية على هرطقة ديوسقوروس. والذين يطالبون بالاعتراف بالمجمع عليهم أن يطالبوا برفع الحرم عن ديوسقوروس وساويرس وفلكسينوس؛ لأن الاعتراف بالمجمع هو بمثابة توقيع الأقباط والسريان والأرمن والأحباش والهنود على حرم هؤلاء الآباء.

أبحاث الأستاذ يوحنا كرميرس والأب يوحنا رومانيدس:

رجاء من القارئ مراجعة ودراسة كتاب الأب ميشال نجم، مجمع خلقيدونية، أيفرق أم يجمِّع، منشورات النور بالاشتراك مع مجلس كنائس الشرق الأوسط ١٩٨٧. وخلاصة أبحاث الذين اشتركوا في هذه اللقاءات منذ عام ١٩٦٤ حتى ١٩٧١ هو أن الخلاف لفظيٌ بحت، ولعل القارئ يعرف الحقائق التاريخية التالية:

لم يكن لدى الآباء، ولا لدى الشعب قاموس يوناني – سرياني – قبطي يحدد معاني الألفاظ اللاهوتية؛ لأن حتى زمن القديس باسيليوس كانت كلمة "جوهر" = كلمة "أقنوم" حسبما ورد في رسالته الى امفلوخيوس. ولكن صارت

كلمة "جوهر" تختص بما هو عام وفي شركة، وكلمة "أقنوم" تعني ما هو خاص ومُعيَّن، أي متمايز. ومن هنا جاء الاصطلاح: "جوهر واحد وأقانيم ثلاثة". ولكن ظلت كلمة "طبيعة" بلا تحديد؛ لأنها هي بدورها تعني: "ما هو كائن" (كان أستاذنا د. وهيب عطا الله – الأنبا غريغوريوس يقول إن عبارة "الله موجود" خطأ عقيدي، وهو على صواب؛ لأن الموجود هو ما قد أُوجد، وهو ما لا ينطبق على الله). ولذلك العبارة الشائعة "الله موجود" هي خطأ لاهوتي غير مقصود، وكلمة "طبيعة" تعني الحياة الإلهية، ولذلك عندما نقول إن الابن له المجد له ذات طبيعة الآب، فإن القصد واضح، وهو تأكيد أُلوهيته، وعندما نَصِف التجسد بأنه "اتحاد طبيعتين"، فهذا الوصف بالضرورة إيمان بأن الابن له المجد أخذ جسدًا، والذين حاولوا التخفيف من وقع حرف الجر "في" في سوريا ومصر لم يدركوا أن تعبير "في طبيعتين" هو تعبير نسطوري، ولكن مجمع خلقيدونية ٤٥١ لم يقع في فخ النسطورية؛ لأن "الرب الواحد في طبيعتين" هو اعترافٌ لا يقبله نسطور. كما أن تعبير "مساوي للآب ومساوي لنا حسب التدبير" هو أيضًا تعبير مرفوض تمامًا عند أوطاخي وأبوليناريوس ونسطور.

وخلف أبحاث كرميرس وورومانيدس توجد الوثائق التاريخية التي أشار إليها كلًا منهما والتي لم يتعرض لها الأرشمندريت جريجوريوس إلَّا بعبارات نافية تضر قضية حساسة جدًا لها وقع مؤلم وتداعيات أكبر من القضايا التي تصدت لها مقالة الأرشمندريت، وهي مصير كنائس الروم الأرثوذكس في الأماكن التي توجد فيها أغلبية أرثوذكسية من غير الخلقيدونيين. بل والجانب السياسي الذي لا داع للإشارة إليه هو بدوره أحد المسائل التي تجعل لهذا النوع من الأبحاث حساسية خاصة لا نملك أن نناقشها في الوقت الحاضر.

بل وعندما تغيب أبحاث كل من *A. Hallaux* الخاصة بمارفلكسينوس، ثم دراسة *A. Grillmeier* في أربع مجلدات نُشرت بالألمانية والإنجليزية عن "الخرستولوجي"، فإن ما كُتِبَ من أجل الإثارة وخلق الشكوك ليس في أصالة إيمان فرد واحد هو ديوسقوروس، بل كنيسة لها تاريخ عريق تُعرف باسم "أم الشهداء"، تملك ذات

التراث الليتورجي والنسكي واللاهوتي، بل وذات الآباء أعمدة الايمان: أثناسيوس – كيرلس – وباسيليوس وغيرهم .. فإن الهدف الخفي لهذه الإثارة في هذا الوقت بالذات هو ما يدعونا إلى أن نطالب الذين يريدون فتح الملفات القديمة أن يقدموا لنا النصوص والوثائق، لا العرض الإعلامي الذي تقدمه الصحافة والفضائيات لشعوب يراد لها أن تسقط في بئر غياب الوعي بالتاريخ؛ لأن التاريخ هو العدو الحقيقي للعنف الطائفي والانغلاق والأصولية التي لا تمنح الآخر مكانًا في الوجود؛ لأنه يعبِّر عن إيمانه بأسلوب مختلف. ولو طبقنا القواعد التي جاء بها القرن الخامس والسادس على تلاميذ الرب نفسه لوجدنا أنهم لم يكتبوا لنا عبارة واحدة تقول: إن المسيح له المجد من طبيعتين، أو في طبيعتين، ولوجدنا أنفسنا في حيرة أمام الاعتراف الرسولي النقي: "الكلمة صار جسدًا"، فهل يجب أن نوقع حرومًا على هؤلاء، أي على يوحنا الإنجيلي وبولس الرسول وغيرهم؟ بالطبع لا.

الدعوة الى الإيمان البسيط دعوة غير نقية:

هذه الدعوة التي تريد أن نتجاوز التاريخ تؤدي في نهايتها إلى السقوط في نفس الهرطقات القديمة التي أفرزتها الكنيسة الجامعة. وعلى سبيل المثال لا الحصر، وهنا نحن لسنا أمام مثال لِما حدث منذ ١٠٠ سنة، بل لِما هو سائد اليوم ولا زال يُقال من على بعض منابر الكنيسة – بكل أسف – هل يجوز أن يكتب بطريرك كنيسة أثناسيوس وكيرلس الكبير أن حلول اللاهوت فينا يجعلنا نفقد إنسانيتنا ونصبح مثل الله كليِّ القدرة وبلا خطية .. الخ من عبارات هي هذيان أوطاخي .. فهل فقد الله الكلمة خصوصية جسده، وهل فقد الله الكلمة ناسوته بسبب الاتحاد الأقنومي؟ والجواب بكل يقين إن هذا الهذيان الأوطاخي الذي رُوِّجَ له هو الذي أدَّى في النهاية إلى تحريم كتاب "أقوال مضيئة"، وهو عصارة ما كتبه أعمدة الايمان الأرثوذكسي منذ العصر الرسولي حتى القرن الخامس. لو كان هؤلاء قد درسوا التاريخ لَمَا وقعوا في هذه الورطة، بل كان مفزعًا حقًا أن نقرأ ذات عبارات نسطور تُكتب بعد وفاة نسطور بـ ١٦٠٠ سنة في مجلة الكرازة، وهي أن المسيح له المجد لم

يقُل في العلية خذوا كلوا هذا هو لاهوتي، بل قال خذوا كلوا هذا هو جسدي. وهكذا يصل تعليم نسطور إلى كل قبطي بأننا نتناول الناسوت دون اللاهوت، وكأن الاتحاد الأقنومي قد صار هرطقةً. بل وصل الأمر إلى أن ادَّعى سكرتير المجمع المقدس في اجتماع مسكوني أن الشركة في الطبيعة الإلهية هي هرطقة بيزنطية، وتصدَّى له أساقفة روس أرثوذكس .. أليست هذه ثمار الإيمان بالعبارات البسيطة التي تتجاوز زخم الاختبار اللاهوتي الذي اكتشف تجسد الكلمة وعبَّر عنه بكل ما هو متاح من ألفاظ، وأكَّد الكل في تشديد واضح متكرر أنهم يقدمون لنا "سر تجسد الكلمة" واستُخدمَت كلمة "سر" لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو ما يعلو على الإدراك، وهو ما يؤكده كل الذين كتبوا قبل وبعد ٤٥١.

كنيسة المجامع السبعة، وكنيسة المجامع الثلاثة:

ماذا أقول للأخوة شركاء الإيمان عن احترام وتقديس الأيقونات الذي أقره المجمع السابع ٧٨٧ وهو مجمع نيقية الثاني، كيف تقدِّس وتكرِّم الكنيسة القبطية الأيقونات؟

والجواب من التاريخ، وهو أن الأيقونة وُلِدت في مصر قبل أي بلد آخر في رسوم على حوائط الكنائس، وهو الفن الفرعوني القديم، بل وكان الوجه يُرسم على توابيت الموتى في عصر البطالسة في الإسكندرية بالذات .. ولدينا أقدم أيقونة قبطية للسيد الرب يسوع المسيح وهي المعروفة باسم أيقونة "باويط" في متحف اللوفر في فرنسا ويظهر فيها مع أحد القديسين ويدعى مينا، وكان أسقفًا لهذه المنطقة.

لم نكن نحتاج الى مجمع يؤكد شرعية وسلامة وجود الأيقونات – رغم أن الذي دُمِّرَ في عصر خراب الكنائس في مصر كثيرٌ جدًا (عصر بن قلاوون). والسؤال الذي يفرض نفسه علينا: هل كُنّا بحاجة إلى مجمع ٧٨٧ أم أن الممارسة هي الحُكم والحاكم معًا؟

أيقونة باويط:

هذه الأيقونة ربما هي من القرن الرابع أو السادس، فهي تسبق مجمع ٧٨٧ على الأقل بقرن من الزمان، وهي قبطية مصرية ١٠٠٪ بل لا زالت رسومات الآباء الرسل على أعمدة كنيسة القديس سرجيوس في مصر القديمة، وهي أعمدة نُقلت من بقايا كنيسة قديمة، وربما كانت هي أعمدة الكنيسة القديمة قبل أن تُهدم وتُبنى عدة مرات. فنحن لم نحترم ونقدس الأيقونات بسبب دفاع يوحنا الدمشقي، ولكن لأن تراثنا اللاهوتي والروحي كان هو الأساس الذي أبرز "الأيقونة" في الإنسان "صورة الله" (تك ١: ٢٦)، وفي المسيح الرب "صورة الله غير المنظور" (كولو ١: ١٥)، وهو إيماننا الحقيقي بتجسد الله الكلمة الذي لم يَغِب حتى عن الكتابات العربية المسيحية القبطية في العصر الوسيط.

وقد قدم د. حكيم أمين في اجتماع ارهوس ١٩٦٤ بحثًا بعنوان "الايمان الأرثوذكسي في ليتورجيات الكنيسة القبطية وصلواتها" (راجع كتاب مجمع خلقيدونية أيفرق أم يجمِّع، تعريب الأب ميشال نجم ص ١٨٥) وقد أورد في هذا البحث بعض التراتيل التي انتقلت إلى الليتورجيات القبطية عن تراتيل يوحنا الدمشقي (٧٦٥) وهي موجودة في مخطوطات البطريركية وكنيسة القديسة مريم حارة زويلة (راجع ص ٢٠٣-٢٠٤).

بل ويعرف كل قبطي اللحن الخاص بيوم الجمعة العظيمة: "أيها الابن الوحيد"، وهو كما يبدو من أبحاث أساتذة الألحان والموسيقى، أنه وُضِعَ بعد القرن الخامس، وهو ما يرتل كل يوم أحد في كل كنائس الروم والأرمن والسريان؛ لأن التسليم الليتورجي واحد رغم اختلاف اللغة، ولأن الحياة النسكية واحدة، والرهبنة واحدة، وهي التي حفظت التقارب الخفي رغم الانشقاق والحرومات؛ إذ لا زال كتاب أبو الفرج بن الطيب، ويُعرف باسم تفسير المشرقي، يُقرأ عندنا، ولا زالت ميامر يوحنا سابا، وهو من الكنيسة الشرقية السريانية التي ظُلِمت هي أيضًا، وأطلق عليها البعض اسم "الكنيسة النسطورية"، وهي ليست كذلك بالمرة،

ولكن جاء الاتهام لأنها لم تعلن حرم نسطور، بل رفضته ولم تتمسك بتعليم نسطور كما هو واضح من المؤلف السرياني الذي كتب دفاعًا حارًا عن نسطور ونشر النص السرياني باسم:

The Bazaar of Heracleides

نشره: G. R.Driver

ثم دراسة النصوص النسطورية في مجلدين:

A Nestorian Collection of Christological Texts L Abramowski

(نُشرت الترجمة الانجليزية في ١٩٧٢ – جامعة كامبريدج).

نحن نوقر ونحترم صراع الآباء العظام بعد ٤٥١. مكسيموس المعترف الذي نال هذا اللقب عن جدارة لأن السلطات الكنسية قطعت يده ثم لسانه؛ لكي لا يكتب ولا يتكلم، ومات في المنفى، وغيره من الذي دخلوا حلبة الصراع مع أفكار كانت تهدد الحياة الكنسية مثل بالاماس، بل وبعد ٤٥١ كان يوحنا الدرجي هو معلم النسك، وبعده أسحق السرياني العظيم الذي لا يفهمه إلَّا من ذاق المحبة الإلهية؛ لأن رسول الرب يسوع يقول: "مَن لا يحب لا يعرف الله" (١ يوحنا ٤: ٨). وما أكثر هؤلاء الذين ينشرون العداوة والبغضة بيننا.

كنيسة المجامع الثلاثة لها نفس التراث الآبائي الذي تُصارع اليوم لكي تسترده بعد ظلام العصر الوسيط، وبعد الحرب الخفية والمعلَنة ضد كتابات الآباء، وتشريد الباحثين ووضعهم تحت حزام الفقر لكي تصبح لقمة العيش هي الهدف وليس البحث في علوم الكنيسة .. وهو وضعٌ أرجو أن يعالجه قداسة البابا تواضروس الثاني.

أخيرًا اقول للأب أثناسيوس: لا شك إنك ظُلِمتَ ظلمًا فاحشًا وامتدت يد الشيطان إليك، ولأسباب سياسية ألقوك في الشارع لكي تموت جوعًا، وهو أسلوب القتل البطيء .. لقد ذُقتَ الظلم، فلا تظلم الذين يعيشون اليوم تحت ظلال سيف الإسلام السياسي.

ردًّا على اتهام أُم الشهداء
بأنها كنيسة مونوفيزية – أوطاخية – ١[1]

صلواتنا هي شهادتنا لمن يريد أن يعرف حقيقة إيمان أم الشهداء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. مَن يريد أن يغلق عينيه في نور الشمس الساطعة وينكر نورها وحرارتها لا يحتاج إلى برهان، بل هو في حاجة إلى عقلٍ وضمير ينقله من ظلام البغضة إلى نور الحقيقة.

إن شهادة الكنيسة القبطية لا تحتاج إلى تدوين، ولكننا أمام هجوم أحقاد نامت تحت غبار التاريخ، ثم بُعِثَت من جديد لأسباب غير لاهوتية بالمرة، نضع تحت أعين الجميع، وعلى الأخص الذين هم في حاجة إلى عقلٍ وضمير ينقلهم من ظلام البغضة إلى نور الحقيقة، نورد -في إيجاز- بعضًا من الصلوات التي تؤكد زيف هذا الاتهام:

أولًا: شهادة القداس الباسيلي

يعرف أخوتنا الروم الأرثوذكس أن قداس القديس باسيليوس القبطي هو ذاته قداس القديس باسيليوس اليوناني. وأن ما أُضيف إلى النص اليوناني يؤكد قِدم الأصل القبطي، كما أن النص القبطي نفسه يؤكد وجود أصل يوناني سكندري للقداس.

هل يعبِّر هذا القداس عن إيمان الكنيسة بأن المسيح يسوع ربنا واحدٌ من طبيعتين؟

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٥ مارس ٢٠١٤.

والجـواب القطعـي والنهـائي الـذي لا جـدال عليـه هـو: نعـم بكـل يقـين. والسؤال: كيف؟

١- يبدو ذلك واضحًا في تلاوة قانون الإيمان بنفس الألفاظ، ونفس الترتيب التاريخي لدينا ولدى كنائس الروم الأرثوذكس، وهو الاعتراف الأرثوذكسي الذي لا يعلو عليه اعترافٌ آخر، فالتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، والصلب والقيامة، هي عقائد غير أوطاخية.

ولكن إن كان هذا لا يكفي، ماذا غير ذلك؟

تقول صلاة الصلح: "**والموت الذي دخل إلى العالم ... هدمته بالظهور المحيي الذي لابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح**". وإن كان هذا المقطع من الصلاة غير حاسمٍ ويقبل التأويل، فما يأتي بعد ذلك حاسمٌ تمامًا: "**هذا الذي من الروح القدس، ومن العذراء القديسة مريم تجسَّد وتأنَّس**". والكلمة "**تجسد**" كلمة عامة، ولكن الكلمة "**تأنس**" تنفي بدعة أبوليناريوس الذي أنكر وجود نفسٍ عاقلة في الرب المتجسد. ويجيء بعد ذلك: "**أسلم ذاته فداءً عنا إلى الموت**"، وإذا بدت هذه العبارة ملتَبسة عند المعاندين، فما يأتي بعدها مباشرةً قاطع في دلالته: "**وقام من الأموات في اليوم الثالث وصعد إلى السموات**".

٢- استعلان جسد ودم ربنا يسوع المسيح

أليست هذه هي كلمات التقوى الأرثوذكسية:

"**ووضع لنا هذا السر العظيم الذي للتقوى**" (١ تيمو ٣: ١٦).

وبعد أن نستلم عشاء الرب يسوع الجالس معنا والذي أخذ الخبز وشكر وبارك وقدس، وكذلك الكأس قائلًا: **هذا هو جسدي – هذا هو دمي** ... فهل هذه كلمات أوطاخية مونوفيزية تنكر ناسوت الرب؟

عيب.

ألا تكفي كلمات صلاة استدعاء الروح القدس لكي يحول الخبز والخمر إلى جسد

ودم ربنا يسوع المسيح؟

"**هذا الخبز يجعله جسدًا مقدسًا له.**

وهذه الكأس أيضًا دمًا كريمًا للعهد الجديد ....".

ثم، إذا كان الرب قد اقتنى الكنيسة بالدم الكريم، والإشارة هنا إلى أع ٢٠: ٢٨، وإلى كأس سر الشكر، فهل هذه أوطاخيةُ مَن قال إن الناسوت ذاب في اللاهوت مثل قطرة عسل في بحر من الماء؟

٣- وأخيرًا عند التناول يقول الكاهن: "**جسد مقدس ودم كريم حقيقي ليسوع المسيح ابن إلهنا آمين. جسد ودم عمانوئيل إلهنا (الإله المتجسد)"، هذا هو بالحقيقة آمين**".

ولعل صلاة الاعتراف: "**هذا هو الجسد المحيي الذي لابنك الوحيد ... أخذه من سيدتنا كلنا والدة الإله، وجعله واحدًا مع لاهوته بغير اختلاطٍ ولا امتزاجٍ ولا تغيير**". أليست هذه الكلمات: "**بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير**"، هي ذات كلمات اعتراف آباء مجمع خلقيدونية في ٤٥١م؟

"**وأسلمه عنا على خشبة الصليب المقدسة ... لاهوته لم يفارق ناسوته**".

ماذا نقول أكثر من ذلك؟!!!

ثانيًا: القداس الغريغوري ليس أوطاخيًا كما يدَّعي البعض

عندما كنت أدرس الليتورجيات، أفزعني الهجوم على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وجاء أستاذٌ من ألمانيا وقال إن القداس الغريغوري هو قداس مونوفيزي ..

وسألته: ماذا عن هذه العبارات:

"**أخذت شكل العبد ...**

بذلت ظهركَ للسياط ...

أتيت إلى الذبح مثل حملٍ حتى إلى الصليب

قتلت خطيتي بقبرك ... إلخ

أليس هذا اعترافٌ بالتجسد والصلب والقيامة؟ ثم ذات استعلان السر في القداس الباسيلي:

"**هذا الخبز تجعله جسدًا مقدسًا ...، وهذه الكأس دمًا كريمًا للعهد الجديد الذي له**".

وقرأت بالقبطية بصوتٍ عالٍ:

"**يا الله الذي أسلم ذاته عنا خلاصًا من خطايانا .... يا الذي بارك في ذلك الزمان ... يا الذي أعطى تلاميذه القديسين ...**".

ثم

"**مباركٌ أنت أيها المسيح إلهنا ... الذي من قِبل تجسدك غير المدرَك أعددت لنا خبزًا سمائيًا جسدك المقدس، هذا السري والمقدس في كل شيء ومزجت لنا كأسًا من كرمة حقيقية التي هي جنبك الإلهي غير الدنس**".

"**جسد مقدس ودم كريم حقيقي ليسوع المسيح ابن إلهنا آمين**".

"**مقدسٌ وكريم جسد ودم حقيقي ليسوع المسيح ابن إلهنا**".

"**جسد ودم عمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة آمين**".

وصلوات القسمة، وهي ترتيب الإسكندرية، ومعروفة في مصر فقط، وغير معروفة عند الروم، تسير في ذات الاتجاه اللاهوتي، ولعل أبلغ هذه الصلوات هي قسمة سبت الفرح، حيث تشير إلى "**الخروف الذي سيق إلى الذبح ... جُرِحتَ لأجل خطايانا ... أنعمت لنا بشجرة الحياة التي هي جسدك الإلهي ودمك الحقيقي**".

ثم قسمة عيد القيامة:

"**هذا هو الجسد الذي أخذه من سيدتنا ... مريم ... هذا الذي نزل إلى الجحيم، ونحن الجلوس في الظلمة زمانًا أنعم علينا بنور قيامته من قِبَلِ تجسده الطاهر**".

أخيرًا:

الاعتراف بالجسد الحقيقي والدم الحقيقي، ويسبق ذلك الاعتراف بالتجسد والتأنس، ثم تحول الخبز والخمر إلى جسد ودم عمانوئيل ... في كل مرة يذكر فيها الكاهن القبطي الجسد والدم، يجب أن ننحني لاعتراف أم الشهداء بالإيمان الحسن الأرثوذكسي، وغير ذلك هو لغو الكراهية.

غفر الله لكل ابنٍ عاقٍ اعتدى على أمه الكنيسة القبطية، فعايرها -ظلمًا- بما ليس فيها. ولهؤلاء نقول: مهما ظلمنا بعض الإكليروس، فهؤلاء ليسوا هم الكنيسة القبطية، ومهما قالوا من جهلٍ في اجتماعات عامة وخاصة، فهؤلاء ليسوا ١٩٠٠ سنة من تاريخ كنيسة عريقة لا يمثلها الأنبا شنودة ولا الأنبا بيشوي اللذين نطلب لهما الغفران والرحمة.

ردًّا على اتهام أُم الشهداء
بأنها كنيسة مونوفيزية – أوطاخية – ٢[1]

كيف تمجِّد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تجسُّد الله الكلمة؟

عرضنا في المقال السابق ما ورد في قداس القديس باسيليوس وقداس القديس غريغوريوس، وكلاهما يؤكدان تجسد وتأنس الرب يسوع الله الكلمة، وتقديم جسده الحقيقي ودمه الكريم للمتناولين.

والاعتراف الذي يتكرر أولًا في قانون الإيمان، وثانيًا في استعلان السر، وثالثًا في استدعاء الروح القدس، وأخيرًا في الاعتراف الأخير، يعقبه تقديم جسد ودم عمانوئيل إلهنا، هذا هو بالحقيقية آمين.

وفي هذا المقال نقدم ما يؤكد أرثوذكسية الكنيسة القبطية من التسبحة السنوية التي تقدمها الكنيسة القبطية يوميًا، أي ما تعيشه الكنيسة يومًا بيوم.

صوت الآباء وتعليم الكنيسة الجامعة في التسبحة السنوية

تعد القطع القبطية المعروفة باسم الثيؤطوكيات، والتي تُرتَّل على مدار الأسبوع، تأكيدًا للتعليم الأرثوذكسي بتجسد الله الكلمة وتأنسه؛ لأن استخدام كلمة تجسد وحدها لا تكفي –كما أشرنا إلى ذلك في المقال السابق– نظرًا لأن هرطقة أبوليناريوس أنكرت كمال الناسوت، أي أنه جسد إنساني بلا نفس إنسانية عاقلة، ومن هنا جاء تعبير "تجسد وتأنس".

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٧ مارس ٢٠١٤.

ثيؤطوكية الأحد

- **يسوع المسيح الذي تجسد منك بغير تغيير**

ثم الاعتراف الأرثوذكسي:

- **الله الكلمة الذي صار إنسانًا بغير انفصال** (بغير افتراق).

واحد من اثنين

لاهوت قدوس بغير فساد مساو للآب

وناسوت طاهر بغير زواج مساو لنا كالتدبير

هذا الذي أخذه منك أيتها الغير الدنسة واتحد به كأقنوم

هذا الذي أخذ شبهنا ⲙⲡⲉⲛⲓⲛⲓ ما خلا الخطية والتغيير.

ويرتفع الأداء اللاهوتي حيث يقدم تجسد الرب عطية الإفخارستيا:

- **وأنت يا مريم حملت في بطنك المن العقلي**
  الذي أتى من الآب.
- **وولدته بغير دنس وأعطانا جسده ودمه**
  الكريمين فحيينا إلى الأبد.
- **الإله الحق من الإله الحق** (عبار مجمع نيقية ٣٢٥).
  الذي تجسد منك بغير تغيير
- **وقوَّم أرجلنا إلى طريق السلام**
  بشركة أسراره المقدسة.

إبصالية الاثنين

ويظل التجسد أساس الإفخارستيا مؤكدًا في إبصالية الاثنين:

- **الله هو عمانوئيل**
  الطعام الحقيقي
  شجرة الحياة العديمة الموت.

– يقوم حولك الشاروبيم والسارافيم
ولا يستطيعون أن ينظروك
ونحن ننظرك كل يوم على المذبح
ونتناول من جسدك ودمك الكريمين.

ثيؤطوكية الاثنين

في ثيؤطوكية الاثنين استعلان الإله المتجسد تعبر عنه الكنيسة بكل دقة

– أشرق جسديًا من العذراء
بغير زرع بشر حتى خلَّصنا
– يسوع المسيح الكلمة الذي تجسد
وحلَّ فينا ورأينا مجده
أشرق جسديًا من العذراء.

ولا توجد دقة لاهوتية أكثر من هذا:

– الكائن الذي كان، الذي أتى، وأيضًا يأتي
يسوع المسيح الكلمة
تجسد بغير تغيير
وصار إنسانًا كاملًا
– لم يفض ولم يختلط ولم يفترق
بشيء من الأنواع بعد الاتحاد.
– بل بطبيعة واحدة
وأقنوم واحد
وشخصٍ واحد
الله الكلمة
أشرق جسديًا من العذراء.

وهنا، لا يجب أن نرى في تعبير "طبيعة واحدة" أي ذرة من الأوطاخية؛ لأن النص يجب أن يؤخذ كله، ولا يجب قطع ولصق العبارات التي تروق للمهاجمين لأن تعبير "طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد" هو ذات تعبير القديس كيرلس الكبير.

"طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد" للقديس كيرلس السكندري

"**عندما نؤكد اتحادهما، نعترف بالمسيح الواحد، الابن الواحد، واحد وهو ذاته الرب، وفي النهاية نعترف بطبيعة واحدة متجسدة لله**" (الرسالة ٤٤ إلى القس أملوخيوس قس القسطنطينية – مجلد ٧٧: ١٢٥).

"**كل مَن ينسب إلى أقنومين أقوالًا خاصة بالإنسان معتبرًا إياه منفصلًا عن الكلمة من الله وينسب (أقوالًا)، أخرى خاصة بالله الكلمة من الله، فليكن محرومًا**".

"**ولم نحذف التمييز بين الأقوال لئلا ننسب ما لا يليق وما يفصل الابن الكلمة من الله الآب، والأخرى التي تُنسَب للابن منفصلًا كإنسان وُلِدَ من امرأةٍ؛ لأننا نعترف بطبيعة واحدة للكلمة، ولكن نعرف أنه تجسد وتأنس كما قلت**" (الرسالة ٤٠ إلى الأسقف أكاكيوس، الفقرتين الرابعة عشر والخامسة عشر).

"**بعد الاتحاد لا نفصل الطبيعتين، أيًا من الأخرى، ولا نقسِّم الابن غير المنقسم إلى ابنين، ولكن نقول: ابنٌ واحد –كما قال الآباء– وطبيعة واحدة للكلمة المتجسد**" (الرسالة ٤٥ إلى الأسقف ساكونوس، الفقرة السادسة، مجلد ٧٧: ٢٣٣. ونجد نفس العبارة في الفقرة الرابعة من الرسالة ٤٦ لنفس الأسقف).

وقد نشر الأب يوحنا رومانيدس بحثًا مطولًا بعنوان "طبيعة واحدة أو أقنوم واحد للكلمة المتجسد، ومجمع خلقيدونية في Greek Orthodox Theological Review مجلد ١٠: ٢، ١٩٦٤ – ١٩٦٥، شرح فيه نفس العبارات السابقة.

وتعود الثيؤطوكية لتؤكد:

- **المسيح آدم الثاني**
أشرق جسديًا من العذراء.

ثيؤطوكية الثلاثاء

تؤكد ثيوطوكية الثلاثاء ذات التعليم:

- **مريم العذراء التي ولدت لنا الله الكلمة**
الذي صار إنسانًا لأجل خلاصنا
- **وبعد أن صار إنسانًا**
(ظلَّ) هو الإله أيضًا.
- **تجسد منكِ بغير افتراقٍ**
بجسد ناطق (له نفس إنسانية)
مساو لنا كامل
وله نفس عاقلة
- **بقى إلهًا على حاله**
وصار إنسانًا كاملًا.

ثيؤطوكية الأربعاء

وفي ثيؤطوكية الأربعاء، ونظرًا لأن صيغة المثنى غير معروفة في القبطية نقول عن القديس مريم:

- **السلام لمعمل الاتحاد غير المفترق**
الذي للطبائع التي أتت معًا إلى موضعٍ واحد
بغير اختلاط.

وهنا التأكيد على الطبيعتين واضح (اتحاد بغير اختلاط)، بل وفي صدمة للعقل الطبيعي تسبح الكنيسة:

- غير المتجسد تجسد،
والكلمة تجسم، وغير المبتدئ
ابتدأ
غير الزمنى صار زمانيًا
غير المدرَك لمسوه
وغير المرئي رأوه (يو ١٤: ٧ - ١٠)
ابن الله الحي صار بشرًا بالحقيقة.

ثيؤطوكية الخميس، والجمعة

وفي ثيؤطوكية الخميس، نسمع صوت أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير:

- هو اتحاد الاثنين
لاهوت وناسوت.

بل وماذا نقول عن ثيؤطوكية يوم الجمعة:

- هو أخذ الذي لنا
وأعطانا الذي له.
- هو أخذ جسدنا
وأعطانا روحه القدوس
وجعلنا واحدًا معه من قبل صلاحه.

ثيؤطوكية السبت

وفي ثيؤطوكية السبت، نجد كلمات الرسول بولس في فيلبي ٢: ٦ عن إخلاء الذات:

- ولدت لنا جسديًا مخلصنا يسوع المسيح
الوحيد من الآب قبل كل الدهور
أخلى ذاته وأخذ شكل العبد منك (يا مريم)
لأجل خلاصنا

- ولدته للعالم
باتحاد اللاهوت بغير افتراق.

وبعد،

ماذا نقول لمن يحب الاتهامات التي لا أساس لها، وكيف يمكن أن نقلع هذه العداوة التي مضى عليها ١٤٠٠ سنة ولا تزال تُبَعثُ من وقتٍ لآخر؟

أقول لمن يدرس التسبحة السنوية، إن تمجيد التجسد هو أساس كل تسبيح، وإن كل ما يقال عن أم النور هو تمجيد لها كشاهد على اتحاد اللاهوت بالناسوت.

غفر الله لكل من يعيش في ظلمة الخطية. وليعلم كل من ينكر النور أنه بعيد عن نور محبة الله.

حوارٌ عن الاتحاد الأُقنومي[1]

تم الحوار في شيكاجو في ٧ ديسمبر ٢٠١٧. الأخ نعيم مصري ترك الكنيسة. تقابلت معه في جامعة شيكاجو أثناء وجودي وعملي بمكتبة الجامعة. تأخر النشر بسبب تأخر حصولي على إذن من الأخ نعيم.

نعيم: أنت لسه بتروح الكنيسة؟

جورج: نعم لسه بروح؛ لأن المسيح رب المجد وَعَدَ أن يكون وسط الجماعة.

نعيم: أنا ليَّ ١٠ سنين ما دخلتش كنيسة.

جورج: أنت حر، ولكن ما حستش بخسارة؟

نعيم: خسارة أيه. أنا مرتاح ومبسوط.

جورج: ممكن تكون مرتاح ومبسوط، بس خسرت الشركة مع المسيح.

نعيم: يعني أيه الشركة مع المسيح؟

جورج: إحنا بنصلي وبنقول: "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له".

نعيم: آه سمعت دي أكثر من مرة. أظن أنها من التسبحة السنوية، لكن موش فاهم أيه الذي لنا وأيه الذي له.

جورج: أخذ طبعنا الإنساني، وأعطانا شركة في أُلوهيته.

نعيم: برضه سمعت الكلام ده، وسمعت إنه مرفوض عند بعض الإكليروس، وعلشان الفوضى اللي في التعليم، أنا سِبت الكنيسة.

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣ فبراير ٢٠١٨.

جورج: هو فعلًا فيه فوضى وتشويش، لكن البحث عن الحق يُفرح قلب من يجده.

نعيم: يعني أنت فرحان بالكنيسة؟

جورج: فرحان بالمسيح، وهو سبب فرحي بالكنيسة؛ لأن فيه رهبان وراهبات وشهداء ومكرسين وأخوة وأخوات بيدرسوا الآباء واجتماعات صلاة. يعني من ٤٠ سنة كانت المكتبة القبطية الأرثوذكسية لا يوجد فيها إلَّا كتب ف ب ماير وكتب الإنجيليين والكاثوليك. دلوقت عندنا مكتبة أرثوذكسية كاملة، وهي دراسات الأب متى المسكين، ومنشورات مركز الآباء، وأخوك الغلبان نشر حوالي ٣٩ كتاب ودراسة. يعني فيه تقدم في فهم سر المسيح، أي سر التدبير.

نعيم: فهِّمني أنت مسيحي ليه؟

جورج: لأن الله تجسد وصار إنسانًا مثلنا، زي ما قلنا في الأول: "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له".

نعيم: برضه يعني أيه؟

جورج: معاك حق. الله لم يعلن عن صفات، بل أعلن عن ذاته: هو نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم.

نعيم: بس فيه قول منتشر: "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح".

جورج: آه، ده نص قرآني لا اعتراض عليه؛ لأنه يكفِّر تحول الله إلى إنسان. على ما أعرف، القرآن لم يهاجم تجسد الله، ولكنه هاجم تطرف الشيع التي عاشت في الجزيرة العربية. عبارة "الله هو المسيح" لا تؤكد تجسد الله، ولا تنفي التجسد، بل تؤكد تحول الله إلى إنسان.

نعيم: هذا جيد. لكن ما هو سبب أو أسباب التجسد؟

جورج: يا أخي أنا أرجوك دراسة كتاب "تجسد الكلمة" للقديس أثناسيوس الرسولي.

نعيم: سوف أحاول، لكن ماذا كتب أثناسيوس؟

جورج: تجسد الله الكلمة لكي يأخذ من مريم أمه البتول إنسانية يجعلها قادرة على الاتحاد بالآب من خلال اتحاده هو بالآب، فصار ربنا يسوع المسيح وسيط عهد جديد، جاء لكي يوحِّدنا بالآب، وبهذه الوحدة سحق الموت والدينونة، وحررنا من سلطان الخطية.

بدون الاتحاد لا توجد لنا حياة حقيقية. إنه اتحاد بأقنوم الله الكلمة. استخدم القديس كيرلس الكبير هذا التعبير: "الاتحاد الأقنومي" لكي يؤكد أن المسيح ربنا واحد من طبيعتين وأن أقنومه الإلهي اتحد بالبشرية التي أخذها من والدة الإله. اتحاد بلا انفصال ولا تغيير ولا اختلاط. وهذه الكلمات رغم أنها تاريخيًا خاصة بسر تجسد ابن الله، إلا أنها خاصة بنا نحن أيضًا؛ لأننا نحن نتحد بالرب دون انفصال وبدون اختلاط وبدون تغيير، إذ يبقى هو الرأس ونحن أعضاء الجسد. وبدون تغيير تعني أننا كما قال يوحنا الإنجيلي رسول يسوع: "نصير مثله"، أو كما قال رسول الرب بولس: "نتغير إلى تلك الصورة عينها"، أي صورة المسيح الممجد، إلَّا أن الأصل يظل أصلًا، والصورة تبقى صورةً.

نعيم: دخلنا في نفق مظلم؛ لأن الأصل والصورة كلمتان لا يوجد استخدام لهما في حياتنا وليس لهما معنى واضح.

جورج: كلامك صحيح إلى حدٍّ ما؛ لأننا عندما نقلنا الخطاب اللاهوتي من اليونانية والقبطية إلى العربية، تركنا الكثير من المفردات دون ترجمة، بل لم تكن كتابات القديس كيرلس معروفة لنا حتى وصلتنا في طبعات حديثة صدرت من جامعات أوروبا (جامعات الكفار).

نعيم: والحياة اليومية يا أخ؟

جورج: طوِّل بالك. الصلاة هي تغيير كياننا ليكون مثل كيان المسيح.

نعيم: هذا كثير وغير معروف.

جورج: مُش صحيح. لقد قال الرب يسوع بنفسه: "كونوا كاملين كما أن أباكم السماوي هو كامل". وهو يطلب منا أن نتغير مثل السامري الصالح والابن الضال الذي كان "ميتًا فعاش"، التغيير الكياني موضوع في أمثال وتعليم الرب، ويشرحه الرسول بولس بعد ذلك.

نعيم: طيب. ما هي العلاقة بين الأصل يسوع، والصورة نحن؟

جورج: العلاقة في سطر واحد، هو إن ما حدث لناسوت الرب يسوع يحدث لنا، والكمال الإنساني الذي تم في ناسوت الرب يوهَب لنا بالاتحاد وبالمسيح، لأن المسيحية ليست دعوة بالكلام فقط، بل هي دعوة شركة، دعوة اتحاد مستيكية لا دعوة عقلانية باللفظ وحده.

نعيم: جيد، بل ممتاز، ولكن ما هي هذه العلاقة؟

جورج: حاضر، نقل إلينا الرب يسوع من ميلاده البتولي الميلاد الجديد في سر المعمودية؛ لأننا أولاد الله، لا نولد من رجل ولا من مشيئة جسد، بل من الله كما كتب معلمنا يوحنا الإنجيلي في الإصحاح الأول من الإنجيل. ولذلك، من أروع كلمات الأب متى المسكين: "بيت لحم هي مسقط رأس البشرية المفتداة"، أي المكان الذي وُلِدَ فيه آدم الثاني ليكون لنا نحن ذات بداية يسوع نفسه، أي الولادة غير البيولوجية، ونَقَلَ إلينا ربنا يسوع **موته المحيي** على الصليب، إذ أباد الموت من الإنسانية التي أخذها من والدة الإله، ونَقَلَ إلينا خلوده الإلهي، إذ أقام ناسوته، بل نقلنا إلى السماء بصعوده لكي نجلس عن يمينه.

وكما مُسح هو بالروح، نُمسح نحن بالروح القدس؛ لأن هذه المسحة تجعلنا مسيحيين، أي ممسوحين بالروح القدس. هذا ما أقصده بالأصل، أي يسوع رب المجد الذي ينقل إلينا بالاتحاد به كل ما سبق.

نعيم: كويس. عليك أن تشرح لي كيف يتم هذا التحول أو الانتقال كما تسميه، أو الاتحاد.

جورج: الأمر بسيط لكل مَن أدرك أن هذا هو عمل محبة الله؛ لأن الله عندما تجسد، وحَّد أُلوهيته بالناسوت، فنقل من أُلوهيته كل الحياة الجديدة التي كُوِّنَت عندما اتحد لاهوته بنا.

نعيم: رجعنا للغوامض، يعني أيه الكلام ده؟

جورج: يعني كما ينقل الجسد الإنساني إلى العقل الوعي بالضعف، دون أن يكون العقل ضعيفًا. والمحدودية دون أن يكون العقل محدودًا؛ لأنه في سرعة الضوء ينتقل الفكر من مصر إلى القطب الشمالي. ويبقى الجسد في مصر، والعقل في ألاسكا .. أليس هذا صحيح؟ وحدث في الرب نفس الشيء، نقل ناسوته إلى أُلوهيته كل ضعف الإنسان –ما خلا الخطية– لأن الرسول بولس كتب في العبرانيين: "الذي في أيام جسده إذ قدَّم طلبات بصراخ شديد ودموع"، وكتب الإنجيلي أن الرب قال في البستان: "نفسي حزينة حتى الموت"، بل ذَكَر معلمنا لوقا أن عَرَقَه كان ينزف مثل الدم في صراعه الروحي في البستان. ونَقَلَ اللاهوت إلى الناسوت عدم الفساد وغلبة الموت، ولذلك على جبل التجلي، سطع نور اللاهوت من الناسوت حتى أن ثياب الرب كانت أكثر لمعانًا من الشمس. هذه بعض ملامح الاتحاد وليس كلها. وعلينا أن نتذكر أن هذه الملامح تُقال عن جسد ودم عمانوئيل إلهنا في القداسات الأرثوذكسية.

نعيم: متشكِّر. أنا لم أسمع هذا الشرح من قبل، وهو أمر معزِّي جدًا لنفسي. اسمح لي أن أسأل: لقد شرحت كيف ينقل اللاهوت إلى الناسوت، وكيف ينقل الناسوت إلى اللاهوت ما هو مطلوب لأجل خلاص الإنسان، ولكن يظل نقل هذا إلينا نحن البشر غامضًا عليَّ بعض الشيء. هل من مزيد؟

جورج: نعم. والمزيد هو الحياة الواحدة التي في الرأس وتنحدر من الرأس إلى أعضاء

الجسد الواحد، أي نحن. إنها نفس الحياة الواحدة الإلهية المتجسدة.

نعيم: ولكن نحن خطاة، ونخطئ حتى بعد تناول جسد الرب ودمه، أليس كذلك؟

جورج: نعم، ولكن ما ذكرناه هو علاج وشفاء الخطية. المرض لا يقوى على الدواء، ونعمة الله تعطى من أجل الخطاة لأن الرب يسوع قال: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى"، وأنه جاء لكي يدعو الخطاة. الخطية يا أخ نعيم لا تشرح النعمة، ولكن العكس هو الحق. إن نعمة الله الوافرة أُعطيت لنا لكي تبيد الموت والدينونة والخطية، وكل مَن يعترض بأن التعليم عن نعمة الله هو كثير، أو أن النعمة يمكن أن تعطلها خطايا الإنسان، بل وتمنعها، هو لم يؤمن بعد بالإنجيل.

نعيم: هذا حكم صعب.

جورج: لا. إن تسجيل مواقف تهدف إلى هدم الإيمان هو سلوك مرفوض تمامًا.

نعيم: إذا عُدنا إلى الموضوع الأصلي، ماذا تستطيع أن تضيف؟

جورج: مجرد تأكيد بأن اللاهوت اتحد بالناسوت اتحادًا أبديًا. وترى أن يسوع كان مع الجموع وحاولوا أن يرموه في وادي، ولكنه اختفى، فقد اكتسب الناسوت صفة غير المنظور حسب التدبير، ليس لأن الناسوت تحوَّل، وإنما لأنه كما تجلى ببهاء الألوهة دون أن يتحول، هكذا أيضًا في أثناء سيره مع تلميذي عمواس "أُمسكت أعينهما عن معرفته"؛ لأن عدم رؤية الرب بالجسد، سببها الاتحاد الأقنومي، إذ هو يخفي نفسه، ولذلك قال رسول الرب بولس: "إن كنا قد عرفناه حسب الجسد ولكن الآن لا نعرفه"، أي حسب الجسد، بل "حسب الروح". لا تحاول أن تجادل بأن اللاهوت لم يعطِ شيئًا للناسوت؛ لأن بطرس رسول المسيح يقول في عظته يوم الخمسين مقتبسًا نصًا من مزمور ١٦: "إن جسده لم يرَ فسادًا"، وبذلك نحن في صلواتنا نقول: "الجسد المحيي"، "الذبيحة الإلهية غير المائتة السمائية"، وهو ما أخذه الناسوت بسبب الاتحاد الأقنومي، وهو ما سوف

يُعطى لنا لأننا سنقوم في عدم فساد كما قام الرب يسوع.

نعيم: ولكن أنت لم تذكر ماذا أخذ اللاهوت من الناسوت؟

جورج: أخذ الضعف؛ لأن الصلب كان مستحيلًا لو كان اللاهوت لم يأخذ الضعف. وأخذ ما أطلق عليه الرسول بولس: "أخلى ذاته"، و"صورة العبد" (فيلبي ٢: ٦)، وكل أعمال الرب في الجسد مثل غسل الأرجل، وصُنع طين يوضع على عيني الأعمى، كلها أعمال اللاهوت التي تمت بالجسد؛ لأنه بلاهوته وبيديه الإنسانية غسل أرجل بطرس. ولاحظ أننا نقول في القداس إن الرب يسوع "أخذ خبزًا على يديه الطاهرتين اللتين بلا عيب وبلا دنس، وشكر". وهنا يتعذَّر الفصل بين ما هو إلهي وما هو إنساني **أولًا** لأن المسيح واحد لا ينقسم، **وثانيًّا** لأن العطاء، أي هبة الجسد والدم هو عطاء إلهي رغم أنه تمَّ إنسانيًّا.

ومن القديس أثناسيوس في "تجسد الكلمة" نجد أنه وصف الناسوت بأنه "أداة" أو "وسيلة" لكي يُظهِر بها وفيها ذاته. هذه الأداة هي التي تحمل إلينا زخم وحياة ابن الله؛ لأن للرب يسوع حياة واحدة إلهية / إنسانية، هي ما عبَّر عنها القديس كيرلس الكبير بـ"الاتحاد الأقنومي".

نعيم: كيف يمكن للجسد أن يوجد على عدة مذابح في وقت واحد؟

جورج: لقد سمعت هذا السؤال عدة مرات، والسؤال يحمل رائحة وشكل الانفصال، أي انفصال اللاهوت عن الناسوت. لدينا مسيح واحد، ورب واحد متجسد لا يمكن فصل لاهوته عن ناسوته. هو في كنيسة مار مينا في شبرا، وفي دير مار مينا القريب من الإسكندرية، وفي كنيسة الملاك ميخائيل في أسوان. هو المسيح الواحد الذي يظهر لنا حياته الإلهية بواسطة الأداة، أي جسده.

والتفكير في الأداة وحدها هو مثل مَن يسأل عن علاقة اليد أو القدم بباقي أعضاء الجسد الواحد. طبعًا هذا السؤال مع أسئلة أخرى مشابهة

جاءت مع حركة الإصلاح، كان رد مارتن لوثر بأن الناسوت أصبح غير محدود، ولكن الواقع هو عكس ذلك. نحن المتفرقين في أرجاء المسكونة الأربع يجمعنا الرب يسوع إليه ولسنا نحن المتفرقين نوزِّع حضور الرب بيننا، يعني كما قال الإنجيل: "ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد"، ولذلك عند تقديم الحمل نقول: "سلامًا وبنيانًا لكنيسة الله الواحدة .."؛ لأننا جئنا إلى القداس لكي نصير واحدًا مع الرب ومع القديسين الذين سبقونا، مع الكل وليس الذين نذكرهم في المجمع فقط.

نعيم: يا أخ جورج لماذا أنت متمسك بالاتحاد وبالذات تعبير "الاتحاد الأقنومي"؟ أنت تلف وتدور حوله، إديني أهم أسبابك؟

جورج: متمسك لأن هذا هو الإيمان الصحيح، وأنا لست متمسك بمفردات، بل بالاستعلان الذي تم في التجسد. يبدو لي أن الذين ينكرون اتحادنا بالرب يسوع لا يؤمنون بالتجسد، وهم الذين يدورون ويقولون لنا إن هذا الاتحاد خاصٌّ بالمسيح فقط. هو فعلًا خاصٌّ بالمسيح، ولكنه وُهِبَ لنا أيضًا فيه. **ما هو خاصٌّ بالمسيح لم يكن من أجل المسيح**، رغم أنه خاصٌ بالمسيح. الإنسان بدون المسيح عريان تمامًا. خليني أعد لك بالأرقام:

١- بلا خلود وفي قبضة الموت.

٢- مستعبَد للطبيعة المخلوقة من العدم.

٣- يجهل الله وقد اختلطت معرفته بالخالق بالوثنية.

٤- لا يعرف المحبة ولم يرَ إلا قبسًا منها في الحياة الأخلاقية التي لا تعرف الثبات.

٥- عبدٌ للخطية.

ألا يكفي هذا؟

لقد جاء الابن وتجسد "لأجلنا نحن البشر" كما نقول في قانون الايمان وهو المانح:

١- الحياة الأبدية.

٢- الولادة الجديدة من الله، أي التبني.

٣- التحرر من الوجود البيولوجي إلى وجود الشركة في الله.

٤- القيامة من موت الجسد ونوال المجد الإلهي.

٥- ميراث الملكوت.

٦- الشركة في حياة الثالوث بواسطته وبواسطة الروح القدس.

ونحن لم نسأل أنفسنا طوال ٤٠ سنة لماذا لم نسمع أن مصدر وينبوع كل ما سبق هو الابن المتجسد؟

نعيم: أنت تقصد أن المسيح هو نبع ومصدر كل ما سبق؟

جورج: نعم. هل يمكن للإنسان بقدراته الطبيعية أن يصبح ابنًا لله؟ المولود الأزلي من الآب هو الذي أعطانا أن نكون أبناءَ الله بالنعمة.

نعيم: يعني حنبقى أزليين زيُّه؟

جورج: لاحظ يا أخ نعيم خداع اللغة لأن كلمة "حنبقى" تعني التحول، وعندما قال واحد من الإكليروس إن الشركة في الله "تجعلنا مساويين لله"، فقد خدع نفسه باللفظ؛ لأن كلمة "جعل" يعني "تحول وتغيير"، وما هو مخلوق لا يمكن أن يتحول إلى ما هو غير مخلوق، هل تعرف السبب؟

نعيم: لا أعرف.

جورج: المخلوق جاء أو خُلق من العدم، أي نال الوجود من الله خالقه، وما خُلق لا يمكن أن يكون أزليًا ولا حتى أبديًا؛ لأن الأزل سريانية والأبد عربية، والمعنى واحد. لقد تم التدليس بالكلمات وخداع التركيب اللفظي. كيف يمكن لمن يشترك في طبيعة الله أن يكون "موجودًا في كل مكان وقادرًا على كل شيء"، كما قال نيافته؟ ما خُلق من العدم نال الوجود "نعمةً من الله"، ونال الوجود حسب هذه النعمة كما ذكر معلمنا أثناسيوس في تجسد الكلمة، وهو يحيا في دائرة الخلق من العدم، ولذلك عندما قال أثناسيوس

العظيم: "الإنسان مخلوق من العدم، ولذلك هو *mortal*" (فصل ٤)، فكيف وبأي قدرة يمكنه أن يصبح موجودًا في كل مكان، وهو آتٍ من اللاوجود؟ بل لقد تعدَّى نيافته كل ما هو لائق، إذ ذكر في كتابه "بدع حديثة" بأن الشركة في طبيعة الله هي جريمة الشرك التي يحاربها الإسلام، فأدخل الفقه الإسلامي في اللاهوت المسيحي عن جهلٍ يُغفَر له؛ لأنه لم يفهم: "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له"، ولم يدرك أيضًا أن ناسوت الابن ظلَّ ناسوتًا، وأن حركة الناسوت هي الولادة – المعمودية – الصليب – الدفن – القيامة – الصعود – الجلوس عن يمين الآب، هذه كلها هي حركة الجسد، أو الناسوت رغم اتحاده باللاهوت اتحادًا بلا انفصال ولا تغيير.

ألا ترى كيف تركنا أساسات الإيمان؟

نعيم: ماذا تقصد بالضبط بأن الابن هو ينبوع كل ما أخذناه؟

جورج: حسنًا، الابن هو ابن الله بالطبيعة، مولودٌ من ذات جوهر الآب، وهو واحد مع الآب حسب الجوهر. البنوة نعمة أُعطيت لنا من بنوة الابن؛ لأن الابن تجسد، فصار الناسوت واحدًا مع اللاهوت، وصارت بنوة الابن كما ذكر الرب يسوع نفسه وهو في الجسد مؤكِّدًا "أنا في الآب"، و"أنا وأبي نأتي إليه". فالبنوة لم تعد خاصة باللاهوت وحده، بل صارت خاصةً بالناسوت على نحوٍ لا نعرفه. وعندما أعلن الآب: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت"، كان يقصد المسيح الواحد ولم يكن يعني اللاهوت دون الناسوت، ولذلك من أُلوهية الرب أخذنا التبني فيه باتحادنا. لاحظ أنه لا يوجد "دكان" يوزِّع منه الله العطايا الإلهية، بل من ذاته يعطي من اللاهوت بواسطة الناسوت وباستعلان الروح القدس.

لا يمكن تحليل تجسد الابن الوحيد حسب ما نعرف؛ لأنه لا يوجد عندنا نحن البشر إلا إله واحد متجسد، وهو ربنا يسوع المسيح.

اتحادنا حسب نعمة المسيح لا يعطي لنا أن نعرف سر الاتحاد بالوسائل والمصطلحات الفلسفية ولكن بتذوق هذا الاتحاد.

نعيم: وماذا عن الصلب، هل صُلب اللاهوت؟

جورج: لا يمكن لأي وسيلة مادية مهما كانت أن تلمس اللاهوت. كان أستاذنا د. وهيب عطا الله يقول إن آلام اللاهوت هي آلام أدبية، هي الشعور بالألم والخزي والعار، وهذا أفضل ما يمكن أن يُقال. على الصليب، الذي صُلب هو يسوع الابن الوحيد الإله المتجسد، وعلى الصليب قَبِلَ الرب الموت الجسداني وسحقه لأنه أقام جسده في اليوم الثالث بلا فساد، وأظهر مجده الإلهي عندما قام بلا فساد.

اللاهوت هو ينبوع الحياة الأبدية، ولذلك يعطي لنا من أُلوهيته الخلود وعدم الموت، وبالاتحاد به نعرف الآب.

نعيم: هل يمكن أن تلخص لي الاتحاد الأقنومي في عبارة واحدة؟

جورج: ليس لدي عبارة أفضل من "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له". أخذ صورة العبد وأعطانا صورة الابن، أخذ الناسوت القابل للموت كما ذكر أثناسيوس، وأعطانا القيامة – أخذ الجسد والنفس وأعطانا شركةً في أُلوهيته.

انتهى اللقاء بمحبة ومصافحة.

مناجاة لأعداء الاتحاد[1]

قولٌ غريب لم يُسمع من قبل في الجامعة الرسولية، وهو أن اتحاد اللاهوت بالناسوت في الرب هو اتحادٌ لا يَمَسَّ كياننا نحن البشر. صحيحٌ أنه اتحادٌ خاص، وهو فعلًا خاص بالأقنوم الثاني، ولكنه جاء بما لم يكن له وجودٌ بالمرة، وهو ما نضعه تحت بصر القارئ تحديدًا من التسليم الرسولي:

الرأس الجديد للإنسانية الذي لم تتكون أعضاء جسده بأسلوبٍ بيولوجي مثل آدم الأول، أي ثمرة التوالد الطبيعي؛ لأننا لم نصبح أعضاءَ جسده بوسيلةٍ بيولوجيةٍ، وهي الزواج، بل كما يعلمنا رسول الرب: "لأننا جميعًا بروح واحد أيضًا اعتمدنا إلى جسد واحد .. وجميعنا سُقينا روحًا واحدًا" (١كو ١٢: ١٣)؛ لأننا حسب دقة التعبير، نُقلنا من العبودية لسطوة النظام الطبيعي الآدمي "لأننا جميعًا أبناء الله بالإيمان بيسوع المسيح". وحتى لا يتبادر إلى ذهن أي إنسان أن هذا قرارَ أو صناعةَ العقل، يكمِّل الرسول العبارة بأن الذين بالإيمان نالوا البنوة لله هؤلاء هم "لأن كلكم اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح"، وماذا حدث لنا؟ لقد أزالت المعمودية -بكونها تبنٍّ- الفوارق الدينية العرقية: "ليس يهودي ولا يوناني"، والفوارق الاجتماعية: "ليس عبد ولا حر"، بل حتى التمييز البيولوجي الذي أعطى الذكور مكانًا متمايزًا، قد غُسِل في المعمودية: "ليس ذكرًا ولا أنثى؛ لأنكم جميعًا واحد في المسيح يسوع" (غلا ٣: ٢٦-٢٨).

كيف رُفعت هذه الفوارق الظاهرة بوضوح لكل إنسان؟

والجواب لا وجود له في مجال العلاقات الإنسانية كلها، فقد رُفع يسوع إلى مجده (أع ١: ١٠)، وهو حسب النظر الآدمي في السماء، وحسب الحساب

---

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٧ سبتمبر ٢٠١٥.

التاريخي يفصل بيننا وبينه الآن ٢٠١٥ سنة، وعندما كتب بولس العبارات السابقة كانت عدة سنوات قد عبرت دون أن يكتب أن هذه الفوارق قد رُفعت، ولم يعد لها وجود، بل ربما في نهاية خدمته يكتب: "يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد" (عب ١٣: ٨). لم يعد لليهودي وجودٌ خاص وعلاقة خاصة، ولم يكن الأممي الغريب "الذين كانوا بلا مسيح بل أجنبيين عن شركة إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد، بلا رجاء لهم وبلا إله في العالم" (أفسس ٢: ١٢)، فكيف أُبيدت كل هذه العوائق؟ وكيف تم مصالحة الفريقين اليهود والأمم في "جسد واحد"، وليس بفكرة واحدة أو كتاب واحد أو تشريع جديد، بل بحياة جديدة تنقل الكل إلى ذلك الجسد الواحد الذي أشار اليه في (١كو ١٢: ١٣ – غلا ٣: ١٦-١٨). من المستحيل أن تكون هذه النقلة قد تمت بواسطة تشريع أو قانون لأن القانون قد يستطيع أن يلغي الأصل العرقي Ethnic ولكن دون تنازل الله لكي يجمع "أبناء الله إلى واحد" (يوحنا ١١: ٥٢)، يصبح هذا العمل مستحيلًا على أي تشريع، بل وتعجز كل الأفكار مهما كانت صالحة أن تؤسس هذه الوحدة التي تعود إلى "جسد واحد"، وهو ما يرد في صيغة الاعتراف بالإيمان: جسد واحد – روح واحد – رب واحد – إيمان واحد – معمودية واحدة – إله وآب واحد للكل (الآب) الذي على الكل (بالابن) وبالكل (بالروح القدس) وفي كلكم (في الجسد الواحد الكنيسة – حسب شرح ايريناوس) - (أفسس ٤: ٤-٦). وحسنًا قدَّمت أم الشهداء هذا الاعتراف في صلاة باكر، نتلوه كل يوم لكي يعود إلينا الوعي، لا الفكر وحده، بأننا قد دخلنا هذه الشركة الجديدة، وهي قوام الخلقة الجديدة؛ لأن الرب الواحد هو: "رأس الجسد الكنيسة"، وهنا يضع تلميذ الرب الحقَّ الذي يريد جيلٌ غَرَّرَ بنا وطوَّح بنا في بحر متاهات الفكر وأروقة الشريعة، أن نفقد اتحادنا بالرأس، وأن نصبح عبيدًا لسلطان غاشم لا يعرف حتى النعمة، يصول ويجول باسم الكهنوت ليُدخِل الرعب والخوف في قلوب الجبناء الذين فقدوا العلاقة الكيانية بالرأس. ماذا يقول رسول المسيح عن رأس الجسد:

- "هو رأس الجسد الكنيسة، هو البداءة، بكر من الأموات، لكي يكون هو

متقدمًا في كل شيء" (كولوسي ١: ١٨).

- الرأس هو منه كل الجسد ينمو نموًا من الله (كولولسي ٢: ١٩).

- البداءة؛ لأنه آدم الثاني أو الأخير الذي بعد أن مات الكل في آدم الأول، جاء آدم الأخير أو الثاني لكي يعطي حياةً للكل: لأنه كما في آدم يموت الجميع (ولاحظ الفعل يموت، وهو حالتنا حسب الطبيعة البيولوجية، أو حسب تعبير الرسول الانسان الطبيعي، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" لكن "المسيح باكورة" فهو المتقدم ثم الذين للمسيح في مجيئه" (١كو ١٥: ٢٢-٢٣).

- لأنه فيه سُرَّ أن يحل كل الملء"، ملء اللاهوت يحل جسديًا في المتجسد (كولوسي ١: ١٣- ٢: ٩).

فهل فصل الرسول الرأس عن الجسد، بعد أن أكَّد حلول كل ملء الألوهة؟

لقد جاء هذا الملء؛ **أولًا**: بالمصالحة بدم صليبه (كولوسي ١: ٢٠)، ولكن هذه المصالحة، تحوَّلت إلى فكرة مجردة اسمها عقيدة الكفارة، يُلقي بها اصحابها في دهليز التاريخ القديم أي انها حدثت منذ ٢٠٠٠ سنة وأكثر، وتركوا الحقيقة الماثلة: أن هذه المصالحة تمت "في جسم بشريته بالموت" (كولوسي ١: ٢٢).

هذه المصالحة الإلهية هي أساس تلك الصرخة التي أطلقها الرسول: إن "الله أراد أن يعرف (الأمم) ما هو غنى مجد هذا السر، وحدده: "المسيح فيكم رجاء المجد" (كولوسي ١: ٢٧).

ثانيًا: "المسيح فينا"، وهي كلمات رسول الرب، هي تلك الدعوة التي فَتَحَت لنا الاتحاد بالرب يسوع والتي جعلت الرسول يقول: "وأنتم مملوؤن فيه الذي هو رأس كل رياسة وسلطان" (كولوسي ٢: ١٠)، فهو الرأس (أو الأصل أو الينبوع) حيث يعلو الرب على كل مستويات ومحصلات النظريات والنظم. ومحاولة إخضاع الرب لنظام عقلي من اختراعنا، هي التي جعلت الرسول قبل نداء الوحدة بالرب يطلب من الكل:

"كما قبلتم المسيح يسوع الرب، اسلكوا فيه
متأصِّلين ومبنيين فيه
موطَّدين في الإيمان ...

لا يأسركم (يسبيكم) أحد بالفلسفة وبغرورٍ باطل (تشامخ الفكر) حسب تقليد الناس (النظريات والأفكار الموروثة)، حسب أركان العالم (الأسس والأنظمة والمبادئ والتشريعات التي قامت ولا تزال تقوم عليها كل أنظمة العالم ليس في عصر بولس وحده، بل في عصرنا)" (كولوسي ٢: ٦-٨).

تلك هي الحقيقة الغائبة عن جيل دُفِعَ إلى فقدان الوعي بالوجود الجديد، ولف حوله حبال الشريعة بسلطانٍ زائفٍ كاذبٍ لا علاقة له بخدمة الكهنوت؛ لأن ذلك الوجود الجديد، هو وجودٌ من المسيح الابن الوحيد، وهو هبة الله الآب لنا، هو تركُ الوجود السابق على الإيمان الذي له أصولٌ في المجتمع: الانتساب العرقي، والخضوع لقواعد السلوك الأخلاقية التي تُنسبُ إلى المسيح زورًا، مثل اتضاعٍ كاذبٍ يرفض النعمة ويجادل في مجانيتها (لا أدري كيف دخلت كلمة مجانًا، وهي كلمة لها وقع وخلفية تجارية)؛ لذا فحسب دقة كل من النص اليوناني والقبطي: "متبررين δικαιούμενοι بعطية δωρεάν نعمته" (رو ٣: ٢٤).

وقد فتح أساتذة الجدل عندنا موضوع "التبرير"، وخاضوا فيه حروبًا كلامية لكي تتمزق نعمة الله وتتمحور حول ما إذا كان "التبرير بالإيمان والأعمال"، أو "بالإيمان فقط"؟ وهكذا سقط الفريقان في خطأين: **الأول**: لغوي؛ لأن التبرير ليس من إيماننا، بل هو كما واضح من الفعل المبني للمجهول "تبررنا بالإيمان". **والثاني**: لاهوتي؛ لأن الذي يبرر هو الله وليس الإيمان. فلم يكن الإيمان، أي إيمان البشر هو الذي جاء بالابن من حضن الآب (يوحنا ١: ١٨)، ولم يكن الإيمان هو الذي جعل الآب يقدم ابنه كفارةً، أي تحرير وفك القيود بما فيها أخطر هذه القيود، وهو الموت (رو ٣: ٢٥ مع رو ٥: ١٨ و ٥: ٢١). فالإيمان يَقبَل ولا يؤسِّس، والإيمان يسعى لنوال النعمة، ولكنه ليس هو مصدر النعمة، وإلَّا

تحولت بشارة الإنجيل من الإنسان، أي إيمانه، إلى الإنسان لكي ينال ما يفعله، ويسعى إليه من ذاته، وهو ليس عطية الله.

اتحاد الرأس بأعضاء الجسد:

أتساءل عن تلك المهزلة الكلامية التي ترمي ببشارة الحياة إلى أحضان الورق، وتأسرها للحروف والألفاظ؟ هل بشَّرنا الربُّ بنوعين من الاتحاد؟ اتحادٌ خاصٌ به هو وحده، واتحادٌ خاصٌ بنا؟ حسنًا. أين ورد استعلان هذا الاتحاد الخاص بنا؟ بل الأدهى من كل ما قِيل وما كُتب، بمَن نتحد؟ أليس بالرب الواحد؟!! كيف يمكن أن يكون لنا رأسٌ واحدٌ، هو الرب المتجسد، ثم نضع حواجز وموانع بين الرأس والأعضاء، دون أن تكون لهذه الحواجز والموانع وجود حتى على المستوى البيولوجي؟

متى يبدأ الاتحاد؟ والجواب ورد في (رو ٦: ١-١٤)، في المعمودية:

- اعتمدنا لموته
- دُفنا معه في المعمودية للموت
- صِرنا متَّحدين معه بشبه بموته، وقوة التعبير هي في "شبه الموت"، حيث لا توجد مسامير وحربة وإكليل شوك، ولكنه "موتٌ حقيقيٌّ"؛ لأن باقي العبارة:
- "نصير أيضًا بقيامته".

فالتحول في الكيان يحدث إذن، حسب دقة الكلمات:

- "إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه".

والسبب:

- "ليُبطِل جسد الخطية"؛ لكي يموت، ولا يعود للموت سلطانٌ، فقد أبيدت الخطية والموت، وهو ما مهَّد له الرسول في (رو ٥: ١٢ وما بعده)، ولذلك يقول الرسول: "احسبوا أنفسكم أمواتًا عن الخطية".

– هكذا "متَّحدين معه بشبه موته" لكي يقول الرسول "مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ" (غلا ٢: ٢٠)، وهو ما يؤكِّده: "قدموا أنفسكم لله كأحياء من الأموات" (رو ٦: ١٣)؛ لأن التحول لم يكن تحولًا في علاقة الإنسان بالله بسبب جود وصلاح الله، بل لأننا لسنا تحت أحكام الشريعة، أو حسب ترجمة فان ديك "لستم تحت الناموس" (رو ٦: ١٤)، بل "تحت النعمة" وهي عبارة يجب أن تُفهم حسب كلمات الرسول نفسه: "شوكة الموت فهي الخطية، وقوة الخطية هي الشريعة" (١كو ١٥: ٥٦)؛ لأن الشوكة التي تقود الإنسان إلى الخطية هي الموت، أي طلب الخلود الذاتي، وتحقيق مطالب وأحلام الذات بدون الله، وتجد الخطية قوتها في الممنوع الذي يتصور الإنسان أن فيه حياةً، وهو ما يؤكده الرسول نفسه: "لم أعرف الخطية إلَّا بالشريعة، فإنني لم أعرف الشهوة لو لم تَقُل الشريعة لا تشته" (رو ٧: ٧).

هل يوجد نوعين من القيامة: قيامة خاصة بالرب، وأخرى مختلفة عن قيامته، هي قيامتنا نحن؟

عندما يقول الرب: "أنا هو القيامة والحياة" (يوحنا ١١: ٢٥)، فهل يمكن أن نتكلم أو نشير إلى قيامة أخرى؟ ألم يقُل الرسول: "نصير أيضًا بقيامته" (رو ٦: ٢٥)، وهي عبارة ركيكة غامضة ولكن حسب الترجمة القبطية:

"لكن نقبل نحن قيامته –ⲁⲗⲗⲁ ⲉⲛϯϣⲱⲡⲓ ⲟⲛ ⲉⲧⲉϥⲕⲉⲁⲛⲁⲥⲧⲁⲥⲓⲥ"

فقد سبقها "متحدين معه بشبه موته" ويجيء "لكن ⲁⲗⲗⲁ نحن نقبل قيامته"؛ لأن الرسول يؤكد أنه توجد قيامة واحدة، لا قيامتين: "إن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنًا فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضًا بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١)، ولذلك يقول أيضًا: "سنحيا معه (يسوع) بقوة الله" (٢كور ١٣: ٤)؛ لأننا عندما كنا "أمواتًا بالخطايا، أحيانا معه المسيح. أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات" (أفسس ٢: ٥-٦)، لذلك يشدد الرسول الركب المرتعشة التي تواجه الموت: "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه

متشبهًا بموته (مصلوب معه) (فيلبي ٣: ١٠).

تلك هي الحقيقة التي تجعل رجاء المسيحي الذي ينتظر مجيء الرب الأخير أو الثاني من السموات؛ لأنه "سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء" (فيلبي ٣: ٢١). وما أعظم شهادة واعتراف أُم الشهداء عندما تصلي في أوشية الإنجيل: "لأنك أنت هو قيامتنا وحياتنا كلنا"، بل ترى مجد الرب الذي أُعطى لنا لتقول: "لنضيء بشكلك المحيي"، وأيضًا: "ونحن الجلوس في الظلمة زمانًا أنعم علينا بنور قيامته".

إذن، لقد أقامنا بنفس قيامته.

شركتنا في قيامة الرب:

أراد بولس أن يعزِّي الكنيسة "من جهة الراقدين" (١تسا ٤: ١٣)، لذلك يصف الذين تركوا الحياة البيولوجية بأنهم "الراقدين بيسوع" (١تسا ٤: ١٤)، وحرف الجر في العربية "ب" أضعف بكثير من حرف الجر في اليونانية διά لذا النص يعني: "الراقدين بواسطة"، لقد رقدوا بواسطة يسوع، لأننا لا ننفصل عنه بموت الجسد، ويكمل الرسول: "سيحضرهم الله أيضًا بواسطته" (١تسا ٤: ١٤)؛ لأن "الأموات في المسيح" (١تسا ٤: ١٦) ليسوا موتى، بل كما يبدو من الفقرة كلها، أن هناك اعترافًا كان يقال في العصر الرسولي، هذا إذا قرأنا الفقرة كاملة:

"من جهة الراقدين ...

نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله معه لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولًا" (١تسا ١٣ -١٦) بواسطة أو ب διά "سوف يحضرهم الله معه"، فهذا هو عمل الوسيط. ويحضرنا الله معه لغايةٍ واضحة: "هكذا نكون مع الرب كل حين" (١تسا ٤: ١٧). و"كل حين" خاصة بالحياة الأبدية التي سوف نعود إليها بعد قليل.

في (١كو ٦: ١٤)، يقول الرسول: "الله قد أقام الرب وسيقيمنا نحن أيضًا بقوته". والتعليم عن القيامة، أي قيامة يسوع، وهي قيامتنا نحن، هو جزء من تخصيص الرب للجسد: "الرب للجسد"، وهو تخصيصٌ سوف يجعل قيامة الرب بالجسد، قيامةً لنا، وهو ما يجعل بولس يؤكد:

- "أجسادكم هي اعضاء المسيح" (١كو ٦: ١٥).

- "جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله[١]، وانكم لستم لأنفسكم" (١ كور ٦: ١٩)، ولأننا هيكل الروح القدس، يصبح السلوك تعبيرًا عن هذه الحقيقة الفائقة.

لكن لا يجب أن يغيب عن الوعي أن رسول الرب يقارن بين الاتحاد الجسداني بين رجل وامرأة مؤكِّدًا:

"أم لستم تعلمون أن من التصق بزانيةٍ هو جسد واحد لأنه يقول (سفر التكوين) ويكون الاثنان جسدًا واحدًا" (١كو ٦: ١٦)، وهو تعبير عن وحدة الحياة التي من خلالها تتكون حياة أخرى، ولذلك حتى في الزنى، تتكون حياة من علاقة آثمة، لأن الرجل والمرأة كلاهما معًا يصنعان وحدة حياة.

أما اتحادنا بالمسيح "أما من التصق بالرب فهو روح واحد" (١كو ٤: ١٧)؛ لأن الوحدة الروحية تكوِّن الحياة الجديدة التي لها أصل إلهي في الروح، ومن الروح. لكن فعل "الالتصاق"، أي مَن التصق بالجسد، فهو جسد واحد، ومن التصق بالرب فهو روح واحد. ونخطئ أكبر خطأ إذا غابت القيامة، أي قيامة الرب، أي قوة الحياة التي جعلت رسول الرب يقول لكل مؤمن إن الوجود والحياة جعلنا "لستم لأنفسكم" (١كو ٦: ١٩).

[١] يتحدى هذا كل الافتراء والكذب بأن الذي فينا هو مجرد طاقة أو قوة، إذًا، فهل فاق المطران رسول المسيح في معرفة الايمان أم أنه "العناد الذي يورث الكفر" كما يقول المثل المصري الشعبي؟

الباكورة ἀπαρχη (**١كو ١٥: ٢٠**):

باكورة الثمار هي التي تظهر في أول موسم الحصاد. وقد استخدم الرسول هذه الكلمة في (١كو ١٥: ٢٠ – ٢٣)، ليؤكد **أولًا** أن قيامة الرب هي بداية الحصاد، فهو الباكورة. **وثانيًا** أن قيامة الرب هي بداية أو باكورة القيامة للجنس البشري:

– "قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين

بإنسان (يسوع) قيامة الأموات".

هكذا القيامة ليست خبرًا يُقال، بل حقيقة لها ثمرة هي الباكورة. وكما كانت الباكورة تقدَّم للشكر في العهد الأول، صار المسيح هو الباكورة الذي قُدِّم لله الآب، وقُدِّم معه وفيه الإنسانية.

يقول الرسول بولس إن الموت دخل بواسطة الخطية وبواسطة إنسان (راجع رو ٥: ١٢ وبعده)، وهو هنا يؤكد ذات التعليم: "في آدم يموت الجميع"، ولكن "بإنسان قيامة الأموات"، ولذلك "في المسيح سيُحيا الجميع" (١كو ١٥: ٢٢)، ويجب أن نقرأ بدقة أن في القيامة: "كلُّ واحدٍ في رتبته المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه (١كو ١٥: ٢٧)، فلا قيامة لنا بدون قيامة المسيح، ولذلك، الذين ينكرون القيامة "إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام .. أنتم بعد في خطاياكم" (١كو ١: ١٦-١٧) والأخطر من كل هذا "الذين رقدوا في المسيح قد هلكوا" (١كو ١٥: ١٨).

الروح القدس هو واهب المسيح الرب لنا:

قد يبدو هذا العنوان غريبًا أو غير مألوف؛ لأننا طوال ٤٠ عامًا حشرنا في العلاقة الكيانية التي بيننا وبين الرب: قراءة الأسفار، وسماع العظات، والبحث عن كتب، والالتصاق بالمعلمين إلى درجة التشيُّع والتعصُّب والانتماء إليهم أكثر من الانتماء للرب، وأمور أخرى يعرفها كل واحد منا حسب مقدار انحداره في خلق وسطاء بينه وبين المسيح.

الحقيقة التدبيرية الغائبة عن الوعي:

الذي يعرِّفنا بالرب يسوع هو الروح القدس، هو الذي يغرس الإيمان بأُلوهية الرب: "ليس أحدٌ يقدر أن يقول إن يسوع ربٌّ إلَّا بالروح القدس" (١كو ١٣: ٣). والروح هو الذي يمجِّد المسيح: "وأما متى جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" (يوحنا ١٦: ١٣-١٤). فحسب وعد الرب، التعليم الخاص بالرب، هو للمعزِّي، ولاحظ أن هذا التعليم يغرسه الروح القدس بمحبة نارية: "إن أحبني أحد يحفظ كلامي (تعليمي) ويحبه الآب وإليه نأتي وعنده نصنع منزلًا" (يوحنا ١٤: ٣٣)؛ لأن رسول الرب يقول: "محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس" (رو ٥: ٥)، ثم يسلمنا الرب نفسه هذه الحقيقة: "أما المعزِّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء **ويذكِّركم بكل ما قلته**" (يوحنا ١٤: ٢٦).

وعندما يتم تقطيع كلمات الرب، وحذف كل ما قاله عن موضوع معيَّن، عندئذٍ يصبح المعلم معلمًا للكذب؛ لأن الرب نفسه يقول بعد ذلك: "ومتى جاء المعزِّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي (ومن سمع هذه الشهادة في قلبه) وتشهدون أنتم أيضًا لأنكم معي من الابتداء" (يوحنا ١٥: ٢٦-٢٧). وقد سمعنا شهادة الآباء الرسل مدونة في الأسفار وفي التسليم الكنسي الذي حفظته الليتورجية.

عودتنا لعمل الروح القدس:

في كل صلواتنا الكنسية يوجد استدعاء للروح القدس، في الساعة الثالثة، وفي القداسات الإلهية، وفي كل خدمة السرائر، وهو التسليم الكنسي الذي يُظهِر الحقيقة التدبيرية، وهي أن السبيل إلى الاتحاد بالرب يسوع ليس بالصلوات وحدها، ولا بالدراسات المستيكية فقط، ولا بالالتصاق بالمعلم الكنسي، بل بالعودة الدائمة إلى ينبوع الحياة، الروح القدس الذي وعدنا به الرب. علينا أن

نطلب وأن نسمع ذلك الصوت الخفي، وأن نفهم ذلك الإيحاء الذي قد يبدو واضحًا في الشعور أو الوعي وأحيانًا في صوت الراعي الصالح يسوع نفسه، وأن نستعد لأنْ نسير مع الرب حاملين الصليب.

نحن والمسيح شركاء جسده الواحد، ولنا فيه حياةٌ واحدةٌ[١]

على بوست نشره الأخ يسري عازر على الفيسبوك علَّق الأخ د. شنودة جرجس سعد على عبارة: "اتحاد اللاهوت بالإنسانية التي أخذها الرب من أم النور"، وهي عبارة أوردها الأخ يسري من مقال لنا منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية بمناسبة عيد الميلاد ٢٠١٥، وحسب النص:

"حرية البنين لها أساس واحد وهو اتحاد اللاهوت بالإنسانية التي أخذها المخلِّص من أم النور القديسة مريم .. فتح لنا التجسد ينبوع الحياة الإلهية. فصرنا نأخذ منه في السرائر كل ما حدث في التدبير: الولادة من الروح القدس والماء (المعمودية) مسحة الروح القدس (الميرون) — إبادة الموت وعربون الحياة (الإفخارستيا) — شركة في ميراث الملكوت (الإفخارستيا)".

وقد كتب الأخ د. شنودة تعليقًا على هذه العبارة فقال: "عندك خطأ لاهوتي كبير يا دكتور، وهو أن اللاهوت لم يتحد بالإنسانية، بل اللاهوت اتحد بطبيعة المسيح الناسوتية بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا استحالة وليس بالإنسانية.. هناك فرق كبير .. أيها الأخ العزيز".

ونحن من جهتنا نتقدم بوافر الشكر للدكتور شنودة وأقول له: أولًا أشكرك على أنك تحذِّر من الخطأ الكبير، ثم تعود وتتكلم عن فرق كبير، دون أن تحدده. ولذلك، أريد منك أن أعرف ماذا تقصد بدقة؟ أنا لم أقل إن الرب اتحد بالإنسانية بشكلٍ عام، بل "بالإنسانية التي أخذها المخلص من أم النور القديسة

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١١ يونيو ٢٠١٥.

مريم"، وهو ما درجنا على أن نقول عنه الناسوت. ولكن التمييز بين ناسوت الرب -وكلمة ناسوت كلمة سريانية الأصل تعني ما هو إنساني- وبين الطبيعة الإنسانية ينطوي على تعسف ليس له سبب واضح، وربما يكون لدى الدكتور شنودة سبب أو أسباب.

وطالما أنني اتُّهمت بخطأٍ كبير، فالاتهام هو خاصٌّ بالتعليم وليس بشخصي أنا. ورغم عدم تحديد الخطأ، وهو ما يُعد قصورٌ شديد الخطورة في مجال التعليم، حيث لا يجب أن يكتب إنسان عن إنسان آخر بأنه أخطأ دون أن يذكر ما نسبه إليه من خطأ. لكن لا بأس، فنحن نعيش عصر تفشِّي العموميات.

فهناك صديقٌ آخر كتب عن وجود تناقض صارخ، رغم أن التناقض هو أن تؤكد شيئًا، ثم تذكر عكسه. هذا أيضًا نتيجة أخذ الأمور بخفة.

لديَّ أسئلة هامة لك يا أخ شنودة، ولكل القراء والقارئات أيضًا:

أولًا: هل الكنيسة هي جسد المسيح الواحد، والرب هو رأس هذا الجسد؟

أليس هذا هو التعليم الرسولي المدوَّن في العهد الجديد (في ١كو ١٢ — ١٤ وأفسس ٥)؟ أليس هذا اتحادٌ بالرب، أم ماذا؟ ألم يرد فعل الاتحاد في (رو ٥: ٥) في قول معلمنا الرسول بولس: "إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضًا بقيامته"؟ وهنا يجب أن تنتبه إلى أن الفعل الخاص بالاتحاد هنا، خاصٌّ بالصلب والقيامة مع الرب بدليل ما ورد في نفس السياق (رو ٥: ٨): "فإن كنا قد متنا مع المسيح. نؤمن أننا سنحيا أيضًا معه .."، ثم "أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا" (رو ٥: ١١).

أليس هذا اتحادٌ بناسوت الرب، أو حسب تعبير الأخ الدكتور شنودة "طبيعة المسيح الناسوتية" فقط؟ أليس نحن جميعًا في آدم الذي فيه "ملك الموت" (رو ٥: ١٧)، والذي فيه أيضًا "ملكت الخطية بالموت" (رو ٥: ٢١): "في آدم يموت الجميع"، هذه حقيقة، ولكن جاءت حياة الابن، ولذلك يقول بولس في نفس السطر: "هكذا -كما مات الجميع- في المسيح سيُحيا الجميع" (١كو ١٥: ٢٢).

هل هي مجرد استعارة أن يقول رسول الرب: "ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح. أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية. حاشا" (١كو ٦: ١٥)؟ وبعد ذلك، ماذا يقول بولس؟ "أم لستم تعلمون أن كل من التصق بزانية هو جسد واحد .. وأما من التصق بالرب فهو روح واحد" (١كو ٦: ١٦-١٧).

ولكن يجب أن نعلم أن المقارنة بين الزنى وإساءة استخدام أعضاء المسيح تنفي الاستعارة. لقد أباد تجسد الرب الابن الوحيد، الاستعارة والرموز وكل أباطيل حيل اللغات.

ثانيًا: يا أخي الكريم. لقد عشنا في ظل عصر انفصال الإنسان عن الثالوث، وقدَّم الأنبا شنودة لنا نظرية الأجساد الثلاثة: جسد من القديسة مريم — وجسد الرب في الإفخارستيا — وجسد الرب الكنيسة[١]. هذه أعظم سقطات هذا العصر؛ لأن الرب واحد وجسده واحد. وجسده من العذراء هو الذي يحمله كل خادم للسر المجيد، ويقول في الاعتراف في القداس الذي أخذتُ منه بعض كلمات وتركت الباقي: "هذا هو الجسد المحيي ... أخذه من سيدتنا كلنا والدة الاله ... هذا هو بالحقيقة آمين".

وأن يكون في وعينا أن جسد الرب من العذراء هو جسده في الإفخارستيا، فهذه أول خطوة، ولكن يجب أن تتبعها خطوة أخرى تذكرها كل القداسات الأرثوذكسية، وأساسها هو التعليم الرسولي:

- الخبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح؟
- فإننا نحن الكثيرين خبز واحد وجسد واحد؛ لأننا جميعًا نشترك في الخبز الواحد (١كو ١٠: ١٥-١٧).

---

(١) راجع في ذلك بالتفصيل كتابنا: الكنيسة جسد المسيح، المسيح والمسيحي وشركة الجسد الواحد، جذور للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى يناير ٢٠١٤، ص ١٤٩ وما بعدها. والكتاب منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

وبعد استدعاء الروح القدس، يقول الكاهن:

"اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا .. لكي نكون جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا ونجد نصيبًا وميراثًا مع جميع القديسين".

وهكذا تطلب الكنيسة أن تصير واحدًا مع الرب، أي أن تكون جسده، وبالتالي لم يعد لدينا ثلاثة أجساد، بل جسدٌ واحد.

السؤال الحاسم: هل هذا الاتحاد هو اتحاد بيولوجي طبيعي، أي ضم أجساد إلى أجساد؟ أم أنه اتحادٌ إلهيٌّ حيث يوحِّدنا الرب الإله المتجسد بجسده؟

تاريخيًا، وفي الغرب فقط، تجسد الرب؛ لأنه:

+ دفع ثمن خطايا البشر.

+ قدَّم ترضيةً لله الآب.

+ احتمل غضب الآب (وتمادى الأنبا شنودة الثالث، وكتب في كتابه أسبوع الآلام، ٥ تأملات، أن الآب أشعل نار العدل الإلهي في الابن، وجعل الابن المتجسد مجرد رماد).

+ تحوَّل الجسد الذي أُخِذَ من العذراء إلى أداة أو وسيلة، لا ذِكر فيها لمحبة الابن للبشر، بينما "محب البشر" هو لقب الرب في كل قُدَّاسات الكنائس الأرثوذكسية.

التجسد هو استعلان الابن في الجسد، واستعلان الآب الذي أرسله، واستعلان الروح القدس الذي أرسله الآب عليه لكي يُرسل في يوم العنصرة.

ثالثًا: شرحًا لما ورد على لسان الرب يسوع: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان"، يقول رسول الرب: "هو رأس الجسد الكنيسة؛ لأنه فيه (المسيح) سُرَّ أن يحل كل الملء" (كولوسي ١: ١٨). وعاد يكرر مؤكِّدًا: "فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًا" (كولوسي ٢: ١٩). ثم، لماذا يحل فيه كل ملء اللاهوت جسديًا، أي عندما تجسد؟ يجيب الرسول بولس في نفس الجملة: "وأنتم مملؤون فيه الذي هو رأس كل رياسة وسلطان"، وهذا هو ما ذكرته قبلًا من أن تجسد الرب فَتَحَ لنا

"ينبوع الحياة الإلهية في السرائر"، وذكرتُ أسرار الانضمام إلى جسد الرب: المعمودية – الميرون – الإفخارستيا". ويبقى السؤال: هل هذه السرائر هي اتحادٌ بناسوت الرب وحده؟ وما هو نوع الاتحاد إذا وُجِد؟ حتمًا ليست هي اتحادٌ بناسوت الرب وحده؛ لأن الناسوت وحده حسب كلمات الرب: "لا يفيد شيئًا". الأريوسية الجديدة هي التي جعلت من ربنا آلة وأنكرت أُلوهيته وهو مصلوب، وحوَّلته إلى رماد لإرضاء الآب، وقد جاءت بعدها النسطورية الجديدة لتقول أيضًا إننا نتناول جسد الرب ودمه فقط، وليس لنا شركة في أُلوهية الرب!!!

رابعًا: نحن هيكل الروح القدس (١كو ٦: ١٩).

وحسب كلمات الرسول التي لا يمكن لأي مُراوغ أن يتملص منها، **وأنا لا أتهمك بالمرة**؛ لأن المراوغين يعرفون أنفسهم، ولكن عندما يقول الرسول: "جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي من الله وأنكم لستم لأنفسكم"، فهل يمكن لأي إنسان مستقيم الإيمان، أي أرثوذكسي أن يقول إن الذي فينا هو غير الروح القدس؟ ألم يقل الرب إنه سيأتي مع الآب ويقيم أو يصنع منزلًا (يوحنا ١٤: ٢٣)، وأن الروح المعزِّي سيمكث معكم إلى الأبد .. أنتم تعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (يوحنا ١٤: ١٦-١٧)؟ فهل يجوز إلَّا لمكابر وجاحد للنعمة أن يقول إننا لم نأخذ الروح، بل مواهب الروح القدس فقط؟ هل صلاة المسيح في (يوحنا ص ١٧) هي كلامٌ في الهواء؟ أم أننا واحدٌ على مثال وحدة الثالوث (١٧: ٢٠-٢١)؟ على أن هذه الوحدة ليست وحدة صناعية من إرادتنا، بل هي: "ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا" (١٧: ٢١). وأيضًا: "أنا فيهم وأنت فيَّ"، وهنا تصل النعمة إلى أقصى حدٍّ يمكن للإنسانية أن تناله: "ليكون فيهم الحب الذي احببتني به وأكون أنا فيهم" (١٧: ١٦).

خامسًا: بولس مثالٌ حيٌّ للاتحاد.

رجاء المحبة المسيحية يا أخي، أن تدرس كتابنا: "الكنيسة جسد المسيح – المسيح والمسيحي وشركة الجسد الواحد – يناير ٢٠١٤.

وأرجو أن تراجع عبارات هذا الرسول العظيم المتَّحد بالرب، الموجود في

المسيح (فيلبي ٣: ٧-٩)، ومحور التعليم الرسولي هو: "في المسيح"، و"مع المسيح"، و"واحد في المسيح". نموت معه ونحيا معه (رو ٦: ٨)، مع (فيلبي ٣: ١٠)؛ لأن الموت هو أن "تظهر حياة يسوع في جسدنا المائت" (٢كو ٤: ١١)؛ لأن المسيح هو حياتنا (كولوسي ٣: ٤).

وبعد، ماذا يمكن أن نقول سوى أننا أمام اختيارين لا ثالث لهما:

الاختيار الأول أن نقبل هذا الاتحاد من الذي أعطانا الاتحاد؛ لأنه "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له"، وبالذات، وحدته مع الآب، وجسده ودمه، والروح القدس العطية الأبدية.

الاختيار الثاني هو أن نقبل علاقة خارجية بلا شركة وبلا محبة؛ (لأن المحبة توحِّد)، وبلا حياة أبدية من الثالوث.

إين إذن، الخطأ الكبير؟ ليتك تُفصح عنه.

لقد أعطاني البطريرك أغناطيوس هزيم لقب "المعترف"، ولكنني قلت له إنني لستُ مثل مكسيموس المعترف، قطعوا لساني ويدي (بواسطة بطريرك القسطنطينية) ومات في المنفى —كما سأموت أنا أيضًا في المنفى، وعلى الرغم من ذلك، نجد أن البعض من الذين ماتت ضمائرهم يقول: "إنني مطرود من الكنيسة"، وكأن هذا حكم شرف، وكأن الراعي الصالح يطرد أولاده ولا يبذل نفسه، وكأن الطرد بلا جريمة وبلا محاكمة هو أمرٌ نفتخر به!!!

عندما يموت الحس الإنساني، فإن التعليم المسيحي يتحول إلى سرابٍ لا يراه ميِّتُ الحسِّ، وللعجب العجاب، يصبح من يقف عند نهر الحياة، هو الضال والمطرود!!!

- عجبي لزمانٍ يقول فيه الميِّت للحي: أنت ميِّتٌ، وكيف يجيب الحيُّ مَن مات، وأصبح لا يسمع ولا يفهم إلَّا نفسه فقط.

مرةً أخرى أنا لا أقصدك يا أخ د. شنودة.

مع محبتي.

لأنك كُلِّي، وأنا بعضُكَ[1]

-١-

لأنك كُلِّي، وأنا بعضك،
فلا مجالَ لتفادي اللعنات.
لأنك الحياةُ، وأنا شعاعُكَ،
علينا أنْ نواجه الظُّلمات؛
لأنك المصلوب دائمًا
على أبواب الكنائسِ
في أحاديث الكذبِ
مسامرات الدهماء،
وأُصبح بعضك.
عندما تسوء العلاقات،
ينقض علينا معًا
الظلمُ والكذبُ
مثل صاعقات.
لا أنت تلوذ بالفرار،
ولا أنا أستطيع الحركة،
كلانا سُمِّر بمسامير العار.

---

(١) نُشرت في ٢١ مارس ٢٠٠٧.

لأنك كُلي يا كلمة الآب،

أنا حرفٌ في صوتك

ضعيفٌ وجبار

أنت مثل القَدم

أُصبعٍ صغيرٍ أنا

تستطيع أن تسير بدونه،

لكنك تفضِّلُ أن تسير بي

تسير معي

فكلانا معًا

عارٌ وأي عار.

-٢-

لأنك كُلِّي، وأنا بعضك،

ورأسُ الجسدِ أنت،

وكل عضوٍ هو فيك

ومنك،

كلانا يُضرَبُ كل يومٍ.

يُرذَلُ بكلمات السوء.

تحاول سكين الجزار

أن تقطع كياني،

يتفجَّرُ دمُكَ

كلامًا

ألحانًا

تعيدني
إلى ما كنت عليه
كأن شيئًا لم يحدث،
كأن الجُرحَ
صار ينبوعُ حياةٍ.
لأنك قُمت،
صرت أنا بعضُكَ،
صرت أنت كلي
حيث الصليب
تجد القيامة
في قلبه
لأنك كُلِّي
وأنت بعضي

-٣-

أحتار في ثلاثة أجساد:
المولودُ من البتول.
جسدُ المذبح،
طعام الأسرار.
الكنيسةُ جسدك،
ملاذُ الخطاةِ والأبرار.
لغزٌ لا يحل بالعقل
لا يعرفه أشطر الشطار.

لا أول ولا ثاني ولا ثالث،

المسيحُ واحدٌ

قَهَرَ الانفصال.

عندما تجسَّد،

داس الموت

تحت قدميه

المصلوبة.

رَفَعَ اللعنةَ والعار،

برَّرَ القتلةَ والفُجَّار.

قام حيًا،

انتصر،

وأيُ انتصار.

من ميلاده،

أخذنا الاتحاد.

من صلبوته،

ثبَّت فينا الحياة.

بقيامته،

سكن فينا الخلود.

- ٤ -

التجسُّدُ سياجُ الحياة،

حَفِظَ للبشر

مكانًا،

نبعت فيه الأسرار.

عندما أعطى جسده

في علية المحبة

للمختارين،

ثبَّت حرية التقديم.

عندما زَرَعَ

العطاءَ،

ذَبَحَ الموتَ،

ضاعت الظلمات،

في قلب النهار،

ذابت قوانين

الطبيعة.

عندما جلس العبد

على

عرش

اللاهوت،

صار كلُ بشرٍ

عضوًا مختارًا.

يجمعه بالكلمة،

بالدم والجسد،

الكل فيه

واحدٌ

إلى

يوم الانتظار

-٥-

يومُ شمس مجده

لا تغيب أبدًا،

انقضى الليل

الكلُ نهار.

عندما وُلِدَ،

حَفَرَ الأساس.

عندما اعتمد،

بنىَ البيت.

عندما صُلِبَ،

دَهَنَهُ بلون المحبة،

بدمٍ أحمرٍ،

يلمعُ بافتخار.

عندما قام،

زيَّنَهُ بالخلود،

بالدوام والاستمرار.

كل أفعال يسوع البار
تبني ما تهدَّم،
تُحيي ما بدده الموت.
ما كان يستحق النار،
جذبه للحياة،
للبقاء،
داس الدمار،
كيف ينشقُ إلى ثلاثة أجساد؟

-٦-

يا حكيم يا ماهر،
يا أمير الشطار،
جسدٌ واحدٌ،
أخذ الوجود
من الروح.
يُعطىَ بالروح
في الأسرار.
جسدٌ واحدٌ
لابن الآب الوحيد
لا ينفصل،
لا يقهره الموت،
به غَلَبَ الفساد،
فهو الوحيد القهَّار.

يوزِّع حياته

لمن يريده

ربًا متجسِّدًا،

لمن يطلبه

خبزُ الخلود،

لمن يحب الشركة،

لمن يريد أنْ

يحيا

عضوًا

في

جسده.

-٧-

لأنك كُلِّي، وأنا بعضك،

لم يجمعني بك الانبهار.

ولا حتى التعليم،

هو مثل أُبَرٍ،

يوجِعُ كياني باستمرار.

بل محبتك الفائقة

جعلتك تأخذ الذي لي،

تأخذ كياني كله،

تنقله من آدم الأول،

تستره ببرك،

تمجِّده لأنه لك.

قبل أن تفتديه،

تقتنيه بالدم.

بالعناء،

تجدِّد ما صار

تحت سلطان الموت.

تجوز بحر الموت،

كسفينةٍ،

تجمع الأسماك

في شِباك حُبِّكَ،

يا مالك كل البحار.

-٨-

لأنك كُلِّي، وأنا بعضك،

صارت محبتنا واحدة.

صار جسدُك جسدي.

روحُك روحي،

بلا انشطار.

لأنك كُلِّي، وأنا بعضك،

لن تلفظني.

أنا قابعٌ في قلبك،

أنا أنفاس عشقك،

أنا جُرحُ الصليبِ،

تشفيه بمرهم الاقتدار،

ليغدو من نسيج جسدك،

يتنفس نسمة الحياة،

يقتات من نبضات قلبك،

يصبحُ، وكأنه أنت بإنعام حبك،

وليس باقتدار.

لأنك كُلِّي،

أنا بعضك،

فلا عذر لي،

أنت سمَّرت

الاعتذار.

جسدك يا يسوع هو جسدي[1]

- إن لم يكن جسدُك يا يسوع هو جسدي،
إذن، فقد انفصل الجسدُ عن اتحادنا؟

- لقد تجسَّدتَ من أجل فداء الجسد والروح،
فكيف يُفتدى جسدي بدون الاتحاد؟
كيف يقوم جسدي إن لم تكن له ذات قيامتك؟
قيامتُك مؤسِّسةٌ لقيامتنا.

- إن لم يكن جسدًك هو جسدي، فلماذا تعطي جسدك لنا؟
وإن أنا أخذتُ جسدَكَ فقط، ألا انحصرت محبتك في هبة الجسد وحدها؟
لو وهبتَ لنا جسدَكَ يا يسوع بدون أُلوهيتك، لصارت محبتُك يا كاملُ ناقصةً.
نعم، نَقُصَ منها الوجود الأبدي لأقنومك،
وغاب عنها معرفتُك بالآب،
ولم تعد بعدُ يسوعَ الذي مُسح بالروح القدس، فصار المسيح.
ولم تصلنا أبدًا مسحتُك الإلهية، بل فقط ما أخذته من البتول.

- ما أخذته من البتول، نشأ بالروح القدس، بميلادٍ فائقٍ، ليس من هذه الخليقة؛

لذلك، ولأنك مِن هذه الخليقة، فقد نقلت هذه الخليقة إلى الحياة التي لا تموت، فالمجد لك يا محب البشر.

---

(1) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٤ يونيو ٢٠١٧.

- عدمُ موتك يا يسوع هو الذي جعلك تقبل الموتَ على الصليب، لكي "تهدم الموت الذي دخل بجسد إبليس".

عدمُ موتك يا يسوع هو أُلوهيتك التي حَفِظَت جسدك من الفساد، فأعلنت قيامتنا فيك.

- آه يا سيدي وربي ...

لقد انفتحت عليك أفواه المرتدِّين إلى النسطورية، ففَصَلوا أُلوهيتك عن إنسانيتنا، دون أن يدروا أن ذلك يعني انفصالًا أبديًا.

لكن جسدك يا يسوع هو جسدي؛ لأن الجسد قائمٌ في قلب تدبير الخلاص، وسيقوم بذات مجد جسدك (فيلبي ٣ : ٢١).

- السِّرُ سهلٌ لمن يحب. فالمحبةُ توحِّد ولا تقسِّم. تجمِّع ولا تُقسِّم.

وأنت أردتَ أن أكون مثلك، وأن أتحوَّل إلى ذات صورتك (٢كو ٣ : ١٨)، ولذلك، أُولد من جديد مثل ولادتك، من الماءِ والروح،

وأُصلب معك؛ لكي لا تصبح الحياةُ القديمة هي أصل وأساس شركتنا، وهكذا تموت معها كل النظريات والقيم Values لكي نبدأ معًا حياةً جديدةً، أنت أصلُها.

- أذوق قيامتَك عندما أُصلي، إذ أعودُ بالصلاةِ إليك يا نبع الحياة.

فالصلاةُ هي عودةُ الوعي لِمَا أخذناه، وليست مجرد دعاء.

هي قبول ما هو حادثٌ، وهو سرُّ حضورك فينا الذي لا مثيل له.

- اِفتح يا رب عينيّ مَن لا يرى محبتك. مَن تحصَّن في القماش واللقب.

هذه صرختي إليك؛ لأنك أنت وحدك الذي ترد الضالين وتنير قلوب الجاهلين.

فأنت الذي تدخل قلب كل إنسان، لعله يسمع؛ فيرمي عنه سكين الكراهية التي تجعله ينزف حياته.

تألُّه ناسوت الرب يسوع[1]

وصل إلى بريد الموقع سؤال من الأخ مينا يقول فيه:

سلام ونعمة، اني أتساءل متى اكتمل تأليه الناسوت.. إن قلنا قبل القيامة، إذن فكيف يموت جسدا متألِّها (ممجدًا) والكتاب نفسه يقول عن الرب إنه لم يكن قد مجد بعد؟ وإن كان بعد القيامة (مباشرة وقبل الصعود)، فكيف أكل مع تلاميذه جسديا. وإن قلنا بعد صعوده إذن فمتى، خاصةً أن الرب يسوع قال في سفر الرؤيا عن الاب (إلهى) أي تكلم عنه كما كان قبل القيامة اذ لم يكن قد تمجد بعد..؟؟

قبل القيامة، إذن كيف يموت جسد متأله بعد القيامة. وقبل الصعود، فكيف أكل مع تلاميذه جسديًا بعد صعوده؟

هذه هي اعتراضات الأخ مينا، وهي تعني أن جسد الرب ظلَّ جسدًا بشريًا بيولوجيًا يتغذى، وقابل للموت، ويحيا حسب الطبيعة الإنسانية بما فيها من شيخوخة وأمراض .. الخ.

والأخ مينا مثله مثل جيلٍ كبير فقد الرؤيا الآبائية للتدبير؛ لأن التأله لا يقضي على ما هو إنساني. اتحاد اللاهوت بالناسوت ليس انقضاض اللاهوت على الناسوت لكي يلاشيه تمامًا، بل يظل الجسد المتألِّه القابل للموت، وتأله الناسوت هو الذي جعل جسد الرب بلا فساد في القبر حسب شهادة المزمور واعتراف القديس بطرس في يوم الخمسين (أع ٢ : ٢٤-٣١). وتأله الناسوت هو الذي جعل المسيح يلمس نعش ابن الأرملة فيقوم. وهو الذي جعل من التفل طينًا وفتح

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٨ يونيو ٢٠١٧.

عيني الأعمى، وهو الذي لمست نازفة الدم هدب ثوبه فتوقف نزيف الدم. فيا أخي مينا لو منع اتحاد اللاهوت بالناسوت، صفات الناسوت، أو مُحيت تمامًا بمجرد الاتحاد، لظل الإنسان بلا خلاص؛ لأن الرب قبل الموت في جسده القابل للموت وغير القابل للفساد بسبب الاتحاد، وهو الذي تجلى على جبل طابور بنور أكثر من بهاء الشمس. ولذلك، عندنا شهادة القديس أثناسيوس في الرد على الأريوسيين، وهو يقول لي ولك وللأنبا بيشوي المعارض عن جهل، في المقالة الثالثة ابتداء من ٣١ حتى نهاية المقال حيث يؤكد أن الجسد أخذ من اللاهوت (٤٠) كل ما نحتاجه نحن البشر في تجديد الطبيعة الإنسانية؛ لأن هذا التجديد لم يكن يتم من الخارج، بل من الداخل، أي في ناسوت الرب نفسه، ولذلك جاءت القيامة مؤكدة لنا بأن الجسد قد تأله (٤٨) وصار كاملًا ويعطي الكمال والنعمة لكل من يتحد بالرب (٤٩). ولذلك، في الفقرة (٥٢) يقول معلمنا الرسولي إن "الألوهة كانت تظهر تدريجيًا في الجسد"، ليس بسبب غياب الاتحاد أو عدم التأله، بل لكي يتم الاستعلان حسب التدبير (٥٢ – ٥٣)؛ لأنه كان يتقدم مع مراحل نمو الجسد ويظهر التأله تدريجيًا، وهو ما يؤكده الإنجيل بأن يسوع كان ينمو، أي جسده هو الذي ينمو صاعدًا نحو غلبة كل أوجاع الجسد بقبول هذه الأوجاع **قبولًا حقيقيًا في اتحاده بالناسوت لا بمجرد معرفتها عقليًا فقط**. والجسد المتألِّه الذي نأخذه في الإفخارستيا هو جسد الرب الحي القائم من بين الأموات "ذبيحة إلهية غير مائتة سمائية"، هو ما نعترف به في الليتورجيا؛ لأننا نتدرج في الاتحاد به بالميلاد البتولي نأخذ الأصل أصلنا الجديد من الماء والروح، بالصلب نأخذ نهاية الموت والدينونة، وبالقيامة نأخذ عربون الخلود، وهذه كلها في المعمودية والميرون والإفخارستيا.

إن تقسيم الرب إلى قبل وبعد، هو تقسيم جائر لا يجوز لأن يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد (عب ١٣ : ٨).

أعود الى ما بدأت به، وهو صعب:

قبل القيامة؟ نعم؛ لأن كل أعماله الإلهية تمت بجسدٍ متألِّهٍ، حملته الأمواج،

وسار عليها لكي ينقذ التلاميذ، وهنا ظهر اتحاد اللاهوت بالناسوت بشكل باهر.

في القبر؟ نعم؛ لأن جسده لم يرَ فسادًا.

بعد القيامة؟ نعم؛ لأنه دخل والأبواب مغلَّقة.

أما الأكل والشرب واستعلان الجروح، فهو عمل تدبير الابن، إذ يعلن جسده بشكل مرئي لتوما وللرسل لكي يبرهن على قيامته.

رجاءً لا تقسِّم الرب الواحد من أجل جدلٍ يسعى إلى هدم ركن ركين في ثوابت حياتنا الأبدية؛ لأننا نتأله بالنعمة، ونظل بشرًا نمر بالمرض والموت والدفن، رغم تألهنا؛ لأن هذا من التدبير.

كن معافى في الرب الواحد.

يسوع المسيح هو الإنسان الوحيد في تاريخ البشرية الذي لم يَعِش لنفسه(١)

وصل إلى الموقع هذا السؤال من الصديق كيرلس:

سلام من الرب يسوع يكون مع شخصكم الكريم

أنا كنت في شرح الابوليناريوسية، وازاي أن أبوليناريوس كان في ضيق شديد من أفكار آريوس الهرطوقية (عندما قال ان المسيح كان عُرضة للخطأ الأخلاقي) وازاي توصل أبوليناريوس في حل مشكله آريوس (من وجه نظر أبوليناريوس) في أن الإرادة المسئولة عن تصرُّف الانسان في أن يُخطئ أو يكون ذو سلوك سليم، وهذه الإرادة هي في النفس الانسانية. إذًا اللوغوس عندما اتحد بالطبيعة الإنسانية لم يتحد بالنفس الإنسانية، وإنما اتحد بجسد الإنسان فقط "وذلك ليتغلّب علي جُزئية العُرضة للخطأ الأخلاقي في شخص يسوع أثناء التّجسُّد الذي تحدث عنها آريوس.

ولكن السؤال هنا: السيد المسيح شابهنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها، فإذا كان المسيح قد أخذ كل الطبيعة الانسانية ووحّدها مع اللوغوس حتي يفتدي الانسان، فما الذي جعل يسوع غير عُرضة للخطأ الأخلاقي؟؟؟ هل بسبب اتحاده باللوغوس كما قُلتُم لي في المحادثة التليفونية أم هناك أسبابٌ أخري؟

شكرًا لشخصكم الكريم

---

(١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٠ يونيو ٢٠١٥.

سؤال الأخ كيرلس هو عن هرطقة أبوليناريوس أسقف اللاذقية في عام (٣٦٠) والذي حوكم في مجمع في الإسكندرية (٣٦٢)، رغم الصداقة المتينة التي كانت بينه وبين القديس أثناسيوس، ثم حوكم بعد ذلك في مجامع في روما (٣٧٤-٣٨٠)، وهو ابنٌ لواحدٍ من أعظم أساتذة الفكر الفلسفي والآداب اليونانية القديمة، وله نفس اسم الابن، عاش في بيروت، وأعاد ترجمة أسفار العهد القديم إلى لغة يونانية فصيحة حتى يتعلم المسيحيون الآداب اليونانية بعد أن مُنعوا من الدراسة وتدريس الآداب اليونانية بأمر الامبراطور يوليانوس الجاحد.

لم يبقَ من كتابات أبوليناريوس إلَّا شذرات جَمَعَها المؤرخ الألماني H. Litzmann وأخرى نُسبت للقديس أثناسيوس الرسولي، وهي صيغة اعتراف بالإيمان.

الأفكار الأساسية:

١- كان عدوًا شديد البأس ضد الأريوسية، وأراد أن يؤكد اتحاد الألوهة الكامل بالناسوت أو الإنسانية.

٢- لكن مع شدة الاهتمام بالتعليم الصحيح، ورغم تأكيده على أُلوهية الرب، إلَّا أن اعتراض الأريوسية وهجوم الأريوسيين اللاذع على تقدُّم يسوع الأخلاقي، جَعَلَه -وهو ناسكٌ، يرى في الإرادةِ والعقل والنفس، المصدرَ الحقيقي للشر- ينكر وجود النفس الإنسانية في الرب المتجسِّد، وأن التجسد هو اتحاد اللوغوس بجسدٍ بلا نفس؛ لكي يظل المسيحُ قدوسًا بلا خطية.

يسوع الإنسان الذي لم يَعِش لنفسه:

الحذف والفصل معًا هما من آليات الفكر الإنساني المستعبَد للخوف، والأسير لمعطيات الفلسفة اليونانية، حيث ينسب كل شيء إلى "طبيعةٍ" لها قدرة وفاعلية تقود وتحرِّك كل شيء. قد ينطبق هذا على الهواء أو الماء أو عالم النباتات والحيوانات، ولكنه لا ينطبق بالمرة على الإنسان بالذات؛ لأننا نتجاوز التعليم المسيحي الأصيل -بسبب عدم الدقة- عندما نتكلم عن "الطبيعة الإنسانية"؛

لأن فكرة الطبيعة الإنسانية هي فكرة يونانية تجد القاسم المشتَرَك بين كائناتٍ تشترك في صفاتٍ وأفعال، لكي تصنف ما هو مشتركٌ بينها على أنه "طبيعة".

الوجه الحَسِن في هذه الفكرة هو تحديد الانتماء، ولكن الوجه المعتِم فيها هو تحول الإنسان إلى فكرة معنوية، في حين أن الإنسان -حسب المسيحية الأرثوذكسية- هو "صورة ومثال الله"، وهو لم يفقد هذه الصورة تمامًا بسبب الخطية. نعم جُرِحَت، ونعم شُوِّهت، ولكنها تظل دائمًا كائنةً إلى أن تُشرق من جديد في يسوع المسيح.

لذا، فعندما يستخدم آباء القرون الرابع والخامس وما بعدهما، كلمة "طبيعة إنسانية"، فهم جميعًا يقصدون: الحرية – الحياة – الإرادة – الفكر – العواطف؛ لأن هذه هي ملامح "الطبيعة الإنسانية" التي للرب يسوع، والتي أخذها عندما تجسَّد.

المدرسة اليونانية القديمة قبل المسيحية، هي مدرسةُ تصنيفٍ، وهي مدرسةٌ تنسب الشَّرَ إلى الطبيعة، وليس إلى حرية الإرادة، ومنها وُلِدَت الأفلاطونية التي رأت أن سقوط الإنسان هو نزولٌ من عالم المُثُل أو عالم الروح إلى عالم الجسد الحسِّي عقابًا له.

لكن حسب تعليم اليهودية والمسيحية معًا، الشَّرَ هو اختيارُ الإرادة، وكامنٌ في المعرفة الذاتية، وينال العقل والقلب نورَ استنارةٍ من روح الحكمة، تراه في صرخات المزمور ١١٩، وقبله المزمور ٢٧.

الخطيةُ اختيارٌ. وكان اختيار آدم الأول، هو الوجود بدون الله. اختيارٌ ذاتيٌّ محدودٌ بنظرة الإنسان إلى كيانه، أفرد له المعلِّم السكندري أثناسيوس الفصول الستة الأولى من رسالته في الرد على الوثنيين. ولذلك، وهو يقاوم البدعة المانوية والغنوصية، له عبارة مشهورة: "كل ما هو شر، فهو عدم، وكل ما هو خير، فهو موجود" (تجسد الكلمة ٤: ٥). الشَّرُ عدمٌ؛ لأنه من صُنع الإنسان، ولأن ما يصنعه الإنسان غير قادر على البقاء طويلًا، إذ يتبدد. الشَّرُ من خلق الفكر

الإنساني، وهو لا بُد أن يضمحل، كما يؤكد المزمور: "تهلك أفكارهم". **وكل إنسان يحيا لنفسه، والذات هي مركز الوعي والقرار، أمَّا يسوع، فقد كان يحيا للآب وللإنسانية**. يقول الرب: "لهذا يحبني الآب لأنني أضع نفسي" (يوحنا ١٠: ١٨)، وقد تكرر هذا في عبارات كثيرة كشف لنا الرب فيها عن قوام حياته الداخلية.

"لا يقدر الابن أن يعمل من ذاته عملًا إلَّا ما ينظر الآب يعمل" (يوحنا ٥: ١٩)، فهو غير منفصلٍ عن الآب، ولكنه يعود ليؤكد بعد ذلك مباشرةً: "لأن مهما عمل الآب فهذا يعمله الابن أيضًا" (يو ٥: ١٩). **حقًا لم يَعِش الربُّ لنفسه؛ لأنه حتى الأعمال التي يعملها هو، يعملها الآب، ولذلك لم يكن لدى يسوع ذلك المركز الشخصي المستقل الإرادة الذي منه تأتي الخطية**. لم تكن له محبة منقسمة مثل محبة البشر الساقطين في الانقسام. ولم تكن له محبة نفسه بعيدةً أو منفصلةً عن محبته للآب، **ولذلك لم يكن للخطية مكانٌ في قلبه.**

تراه في الصراع مع الشيطان في البرية، لا يقرر بإرادةٍ منفصلةٍ، بل يجيب من الأسفار. وسؤال الشيطان في كل تجربة موجَّهٌ إلى الأنا ego والرد هو: لا حياةَ في الخبز وحده، بل في كلمة الله؛ لأن الخبز وحده -بدون كلمة الله- هو الحياة الحيوانية. ولذلك، لا تطلب الأنا، الحياة الإنسانية البيولوجية المستقلة.

وعندما تُقدَّم له ممالك العالم يرفضها، ومن رفض الممالك -لأنها تعني عبادة المقدِّم، أي الشيطان الذي لا يملكها أصلًا- تظلُّ الأنا في دائرة التسليم إلى الله الآب: "للرب إلهك تسجد"، وحتى عندما يُمتَحَن في صدق مواعيد الله بالحفظ، يرفض أن يَمتَحِن الله؛ لأنه يعرف أمانة الله، ولذلك يقول: "لا تجرِّب الرب إلهك".

على مستوى الوعي، كان بريئًا وقدوسًا ونقيًا، لم يكن للخطية مكانٌ في قلبه. وعلى مستوى العلاقة مع الخطاة، كانت محبته للخطاة ظاهرةً بشكلٍ جَعَلَه يوبِّخ سمعان الفريسي: "والذي غُفِرَ له كثيرًا يحب أكثر"، وحَصَرَ الخطيةَ في ثلاثة أماكن: **محبة الذات**، ولذلك قال لنا جميعًا أن ننكر الذات، ونحمل صليب

البذل، والأهم هو أن نتبعه. **ومحبة الآخر**، ولذلك ذكَّرَ الذين سمعوه بالوصيتين: محبة الله ومحبة القريب. ثم لمس في رقةٍ شديدةٍ **محبة القنية**، عندما طلب من الشاب الغني أن يبيع كل شيء، أي أن يجحد ما يملك، وأن يأتي وراءه، ويتبعه، فرفض الشاب الغني؛ لأن محبة القنية هي امتدادٌ لمحبة الذات، والتفريط في القنية هو تضحية بهذا الامتداد.

وحملُ الصليبِ هو وضعُ الذاتِ في إطار العطاء، العطاء الذي يتخطى كل الحدود، والذي عبَّر هو عنه في مثل السامري الصالح، الذي لم يكن له أي قيمة عند اليهود بالمرة؛ لأنه لم يحفظ الشريعة الموسوية، ولكن عمل المحبة والخير جعله يتخطَّى كل الحدود والفواصل العرقية. وحياة يسوع في الجسد وأقواله وأفعاله، هي النقاء والنور والمحبة والغفران مستَعلَنَةً في الحياة الإنسانية.

وثمةُ موضوعٍ هام لم ندرسه بالتفصيل في مصر، وهو "إخلاء الذات" (فيلبي ٢: ٦). وأذكُر أنني كنت المِمتَحِن لطالب من جامعة شفيليد في شمال انجلترا، كانت رسالة الدكتوراه المقدَّمة منه هي عن (فيلبي ٢: ١-٨)، وكانت من أعظم الرسائل؛ لأنها جاءت مطابقة لتعليم آباء الإسكندرية، وهو إخلاء الرب الابن لذاته بالامتناع عن استخدام القوة الإلهية والسلطان، إلَّا في إطارٍ محدودٍ، حسب التدبير؛ لكي ينقل الإنسانية التي أخذها من العذراء إلى مجد أُلوهيته.

وعندما يتَّحِد ابن الله بطبيعة محدودة فانية، ليس لها وجود ذاتي، أي الإنسانية، فهو يدخل إلى جحيم الحياة الإنسانية، وهي ضد كل ما له؛ لأنه واجب الوجود أو كائنٌ بذاته، ليس للفناء أيُّ مكانٍ أو شكلٍ أو إحساسٍ في أُقنومه الإلهي، كما أنه غير محدود (غير محدود، أي لم يكن له أي تحديد خاص بالكَّم Quantity بل بالكيف Quality) فالله ليس محدودًا حسب الكم، بل فوق كل الحدود؛ لأنه صالحٌ ويعلو جوهره على كل ما هو معروف.

"نزل من السماء"، كما نقول في قانون الإيمان، وهي حركة التواضع الإلهي لكي يصبح الله متجسدًا، وأن يحيي الحياة المخلوقة الإنسانية. هنا نرى كيف

تظهر قداسة المسيح في أنه لم يتعدَّى حدود Boundaries ما هو مخلوق، ولذلك يقول رسول الرب إن "ضعف الله وجهالة الله أعظم من قوة وحكمة البشر (راجع ١كو ٣: ١٩ – ١: ٢٥). ولذلك، قَبِلَ الربُّ "الموتَ"، وعار الصليب والدفن مع الموتى، ولكنه قام في اليوم الثالث. أعمال التدبير الإلهي تؤكِّد أن مَن تجسَّد وبذل ذاته للموت، لم يكن له ذلك الاهتمام (الانهمام بالذات)، ولم تكن حياته لذاته، ولذلك قام بمجد الآب.

قداسةُ الربِّ ليست نظريةً في الخرستولوجي، بل هي الواقع المعاش الذي جعل يسوع الإنسان، هو الإنسان الوحيد حتى آخر الدهور الذي لم يَعِش لنفسه، بل للآب وللإنسانية التي جاء لكي يخلِّصُها.

تقول سطورٌ باقيةٌ من صلاةٍ تعود إلى القرن الثاني أو الثالث:

"أنت يا يسوع نور الحياة؛ لأنك -كنورٍ- تجودُ بما لديك لكي لا نسير في الظلام، بل بنورك نعاين النور".

مع محبتي.

التجسد

بين خداع النظر، وخداع اللفظ[1]

لعل أكثر ما يثير عجبي هو عجز مَن يتصدرون للكتابة عن إيمان الكنيسة الجامعة -وهم فقراء عقليًا وروحيًا- لا هَمَّ لهم سوى البحث عن كلمة أو سطر من هنا وهناك لتأليف اتهام: "مخالف لتعليم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية"، ومن ثمَّ يطرحون فكرةً خياليةً، لا وجود لها إلَّا في عقولهم الفقيرة التي لا تعرف التاريخ الكنسي، ولم يدرك هؤلاء أن لدينا إيمانًا مشتركًا مع كل كنائس الشرق والغرب حتى ٤٥١ أي قبل الانقسام الحزين الذي أعقب مجمع خلقيدونية، ولذلك افترض هؤلاء أن الإيمان القبطي مختلفٌ عن الإيمان البيزنطي، وهذه كذبة من لم يدرس التاريخ.

افتراض الجهل وإنكار تجسد ابن الله:

يصر متعهدو إشاعة أفكار الأنبا شنودة الثالث على المخاتلة والخداع غير مدركين لخطورة تبعات ما يحاولون إثبات صحته من أفكار على الإيمان، ولا يتورعون في سبيل ذلك عن الاستشهاد بنصوص من كتابات الآباء، يظنون بها أنهم حصلوا على ضالتهم المنشودة، فينكرون على الرب أنه أخذ جسدًا مماثلًا لجسد كل البشر، والغريب أنهم يستشهدون في ذلك بكتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي. ومحاولة الاستشهاد بالترجمة العربية وحدها لكتاب تجسد الكلمة للرسولي أثناسيوس، تثير في القلب دهشةً ورحمةً بالجهل وبالجهلاء.

هل أخذ ربنا له المجد جسد كل البشر؟

---

[1] مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٥ فبراير ٢٠١٩.

جسد كل بشر هو ما ذكره أثناسيوس نفسه: إن الرب أخذ "جسدًا بشريًا"، أو إنسانيًا (٤: ٣، ٤٣: ٤). وكأن أثناسيوس كان يرى ما سوف يُقال، ويُكتب في زماننا الذي عشر، فكتب: "أخذ لنفسه جسدًا لا يختلف عن جسدنا" (٨: ٢)، وبعد هذه الفقرة: "أخذ جسدًا من جنسنا" (٨: ٣)، تمامًا مثل عبارة الرسول في العبرانيين "إذ اشترك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو فيهما أيضًا" (عب ٢: ١٤)، وهذا ما جعله يأخذ جسدًا ليُظهر ذاته به (٨: ٣).

وتبقى مشكلة خداع اللفظ: حسب الترجمة العربية "أتخذ جسدًا مماثلًا لطبيعة أجسادنا"، والكلمة "مماثل" جعلت البعض يكتب في ثقة أن "جسدًا مماثلًا" لا تعني أن جسده مثل أجسادنا، في حين أن عبارة "مماثلًا لطبيعة أجسادنا" تحدد معنى "مماثل"، أي أنه من ذات الطبيعة الإنسانية، أي جسد إنساني حقيقي؛ لأنه كان "يأكل ويشرب وأنه ولد ... وأما هذه الأمور فإنها تُذكَر عنه لأن الجسد الذي أكل ووُلِد وتألم لم يكن جسد أحد آخر، بل كان جسد الرب نفسه" (١٨: ١).

جسدًا قابلًا للموت (٩: ١):

إن تحول الفاسد إلى عدم فساد، والميت إلى حياة، لم يتم بمجرد كلمة من الله، مع أن هذا ممكن ومعقول، ولكنه لا يمنع:

١- الفساد من العودة مرة أخرى، أي تحلل الطبيعة الإنسانية.

٢- لا يقهر الموت الذي لصق بالإنسانية.

٣- لا يوفي مطلب الحق الإلهي، وهو استرداد الصورة الإلهية التي أفسدها الإنسان.

هذه العناصر الثلاثة تكوِّن مشكلة الإنسان، ولذلك يضع المعلم الرسولي العناصر الثلاثة التي أبادت المشكلة من جذرها:

١- بقاء جسد الكلمة في عدم فساد بسبب اتحاده بالكلمة (٩: ١).

٢- تقديم الجسد للموت عن "جميع نظرائه من البشر" (٩: ١).

٣- "وهكذا باتخاذه جسدا مماثلًا لجسد جميع البشر وباتحاده بهم، فإن ابن الله عديم الفساد ألبس الجميع عدم الفساد بوعد القيامة من الأموات" (٩: ٢).

وقد تم ذلك:

أ- لأن تجسد ابن الله أبطل "فساد الموت" بسبب اتحاد الكلمة بالجسد (٩: ٤).

ب- "أبطل الموت" (١٠: ١).

جـ- "مات الجميع .. وهو مات لأجل الجميع" (١٠: ٢).

الأجساد المماثلة (١٠: ٤):

المثيل يشترك مع الأصل إما في ذات الطبيعة، وإما في ذات الخصائص أو الصفات التي تُرَدُّ إلى الطبيعة. فبطرس مثل الأسد في الشجاعة. والأشجار من ذات طبيعة واحدة. وإذا كان البشر يختلفون في الصفات، لكن لدى البشر، كل البشر طبيعة واحدة، ولذلك كما قال الرسول بولس (٢كو ٥: ١٤-١٥)[١]، وكما أعاد الرسولي ذات التعليم: "الكل إذًا ماتوا"، فكيف مات الكل؟

١- قَبِلَ الرب موتنا في حياته الإلهية، فقد "ذاق الموت بالجسد"؛ لأنه قدوس وبار وبلا خطية، فبذبيحة جسده الذاتي وضع نهايةً لشريعة الموت التي كانت ضدنا" (١٠: ٥). وكما "ساد الموت على كل البشر .. لهذا أيضًا فبسبب تأنس كلمة الله فقد حدثت إبادة الموت" (١٠: ٥).

٢- لو كان الرب قد أخذ جسدًا مختلفًا عن أجساد البشر، فيما عدا أنه كان بلا خطية وحده، لَمَا كان -بكل يقين- إنسانًا مثلنا في كل شيء.

---

(١) "لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا. إِذْ نَحْنُ نَحْسِبُ هذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ. **فَالْجَمِيعُ إِذًا مَاتُوا. وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ** كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ".

٣- لكـن المخلـص "اكمـل جـانبين للمحبـة: أنـه أبـاد المـوت مـن داخلنـا، وجدَّدنا ثانيةً .. عرَّف ذاته بأعماله في الجسد" (١٦: ٥ – ١٨: ٢).

وفي عبارة واحدة قاطعة كتب الرسولي:

" لم يكن ممكنًا أن يحوِّل الفاسد إلى عدم فساد، إلا المخلِّص نفسه .. ولم يكن ممكنًا أن يُعيد خلق البشر ليكونوا على صورة الله، إلا الذي هو صورة الآب، ولم يكن ممكنًا أن يجعل الإنسان المائت غير مائت، إلا ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها" (٢٠: ١).

كيف ضاع تحوُّل الإنسانية في المسيح؟

بغير فَهمٍ وعدم مراجعة وعدم ادراك لنتائج التعليم القانوني الذي دخل عندنا مع الإرساليات، نقلنا عنه:

١- دفع الدين لله الآب.

٢- غضب الآب على الابن ومعاقبة الآب للابن على الصليب.

٣- إرضاء العدل الإلهي الذي خُصِّص لله الآب وحده، وكأن الابن له المجد له صفات غير صفات الآب.

كل هذا جعلنا نفقد زخم وغنى تعليم الإسكندرية، ولما نبهنا الأذهان إلى هذا، اندفع البعض إلى حشر عبارات من كتاب تجسد الكلمة للرسولي في محاولة منهم لإثبات النقاط الثلاثة السابقة التي تبدأ بدفع الدين وسكب نار العدل الإلهي على الابن المصلوب، في حين أن هذه كلها عناصر تعليم وردت في كتابات الغربيين من كاثوليك وبروتستانت، وإن كان لها إغراء عقلي لسهولة الصياغة، إلا أنها تبسط التعليم المسيحي إلى درجة تفريغه من محتواه الحقيقي وهو اتحاد الإنسان بالثالوث القدوس في الابن بالروح القدس.

التجسد ليس نصًّا ولا كتابًا:

يصدم التجسد كل فكرة وكل تصور ويبعثر خيالنا الرافض لحقيقة أزلية، وهي أن الابن الكلمة هو أقنوم أو شخص، هو كيانٌ من كيان "مولود من الآب قبل كل الدهور"، ونزل من السماء وتجسد من والدة الإله بالروح القدس"؛ لكي يعيدنا إلى الله، نعم يعيد كل البشر إلى الله، والحكم على أن هناك بشرًا أفضل وأقدس هو حكمٌ غير مسيحي؛ لأن الوجود الإنساني ناقص، غير كامل جسديًا وروحيًا.

ناقصٌ جسديًا؛ لأن كل إنسان تحت سلطان وقوة الموت. وناقصٌ روحيًا؛ لأن كل إنسان لا يعرف خالقه معرفة تامة مطلقة، ولذلك جاء الرب لكي يُكمِّل هذا الوجود، فأباد الموت "وأشرق جسديًا من العذراء"، لكي نعرفه ونعرف الآب، ولذلك كتب رسوله يوحنا "الذي رأيناه .. سمعناه .. لمسته أيدينا" (١ يوحنا ١: ١-٣).

تزييف التاريخ:

الرواية أو السرد التاريخي هو الأساس الذي بُنيت عليه كل عقائد الأرثوذكسية. فميلاد الرب البتولي من العذراء بالروح القدس، صار أساس ميلادنا نحن في المعمودية من الماء والروح القدس، وهزيمة الشيطان في البرية، أعطى للرسل في أثناء خدمة الرب نفسه طرد الأرواح الشريرة، والصلب والقيامة هما أساس تقديم الرب حياته قربانًا في العلية وعلى الجلجثة، وقيامة الربِّ، صارت أساس قيامتنا نحن، والصعود هو مصيرنا الأبدي السمائي.

فكيف إذن يتم تزييف التاريخ؟

لقد بدأت مدارس كل الهرطقات بوثائق أبوكريفا مثل "إنجيل بطرس" وغيره، لكي تجعل من الروايات أساسًا جديدًا للتعليم عن ثنائية الله: إله الخير وإله الشر، وعدمية الجسد. وجاء تحدي الأريوسية، وهو سرد ما ورد عن وحدانية الذات

الإلهية في العهد القديم -بشكل خاص- لنفي أُلوهية الابن، وبالتالي حشد اعتراضات من كلمات الأسفار كلها بما فيها العهد الجديد مثل: "أبي أعظم مني"، وخضوع الابن للآب. ذلك لأن الرواية أو Narrative تهدف الى إبراز غاية التدبير، فإذا أمكن تغيير الرواية، تغيرت غاية التدبير.

أدوات التزييف:

١- قنص كلمة أو سطر أو عبارة لتأكيد فكرة مثل فصل المواهب عن عطية الروح القدس.

٢- إغراق القارئ أو المستمع بأفكار منافية للتعليم مثل أن حلول الروح القدس فينا يجعلنا مثل الله في القدرة والحضور في كل مكان .. الخ.

٣- اعتبار الخطاب عن الشركة في الطبيعة الإلهية هو عودة إلى الوثنية، أو أنها كانت شهوة آدم ومن قبله الشيطان.

التجسد أساس الإفراز والتمييز:

حدَّد الآباء أن أهم ما يجب أن يناله المسيحي من روح الحق هو "الإفراز" أو "التمييز". ووضع تجسُّد رب المجد الإفراز على أساس:

١- إن الشركة تشرح اللفظ وليس العكس.

٢- إن هذه العلاقة الخاصة تفوق كل خطاب مهما كان، وأن أي خطاب يهدم شركتنا في بنوة الابن وحياته الإلهية غير الفاسدة التي تُوهَب لنا في السرائر، ما هو إلا خطابٌ أجوف كقول رسول المسيح "صنج يرن" ما يلبث أن يتبدد في الهواء.

٣- جاء المسيح لكي يعتق الإنسانية الأسيرة للشر والموت، فأيُّ خطابٍ ينفي أو يقدم روايات أخرى غير ذلك، هو مزيفٌ تمامًا.

الفرق بين المسيح والمؤمنين[١]

يجب أن نميِّز بين حلول اللاهوت فينا كنعمة، واتحاد اللاهوت بالناسوت في التجسد.

فحلول النعمة هو حلول نوعي، أي أنه حلولٌ يعطي عطايا محددة للإنسانية، مثل عدم الموت أو التبني، ولكن اتحاد اللاهوت بالناسوت في التجسُّد هو اتحاد أقنوم الابن الكلمة بكل ملء اللاهوت بناسوته المأخوذ من العذراء مريم، وهو وضعٌ خاصٌ بالابن المتجسد. أمَّا حلول النعمة فهو على قدر حاجة وعلى قدر استيعاب الطبيعة الإنسانية. أمَّا حلول ملء اللاهوت في التجسد، فهو حلول مطلق وتام واتحاد حقيقي لا تنطبق علينا خواصه بالمرة.

وقد ناقش القديس كيرلس السكندري هذه النقطة مع الهرطقة النسطورية، وصار من الواضح أن تعبيرات نسطور عن حلول اللاهوت في المسيح، وشركة اللاهوت في ناسوت المسيح هي عبارات لا تخص المسيح يسوع ربنا، وإنما خاصة بنا نحن البشر. وفي ضوء المقالات الخمس ضد نسطور يمكن أن نميِّز بين المسيح والمؤمنين به على هذا النحو:

١- عندما تجسَّد أقنوم الكلمة والابن، فقد تنازل واتحد بالناسوت. هذا يعني أن مركز شخصية الأقنوم المتجسِّد هو لاهوت الكلمة الابن المتَّحد بالناسوت. أمَّا في حالتنا نحن، فإنَّ مركز شخصية كل مسيحي هو العقل الإنساني المميِّز للنفس الإنسانية.

(١) مقال نُشِر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في١٦ مارس ٢٠٠٧، وسبق أن نُشِر كملحق لدراستنا عن معاني رشم الصليب في الحياة الروحية، وطقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وأيضًا في دراستنا عن القديس أثناسيوس في مواجهة التراث الديني غير الأرثوذكسي.

٢- إذا كان اللاهوت هو مركز شخصية الابن المتجسِّد، ومركز شخصيتنا نحن هو العقل والإرادة الإنسانية، صار من الواضح أن كل تصرفات وأفعال الكلمة المتجسِّد هي تصرفاتٍ إلهية إنسانية نابعة من اللاهوت المتَّحد بالناسوت. أمَّا في حالتنا نحن، فكل تصرُّفٍ وعمل هو نابع من العقل والإرادة الإنسانية التي قد تنال نعمةً في بعض الأحيان بسبب حلول اللاهوت فينا. وهنا تسند النعمةُ الإلهية الإرادةَ الإنسانيةَ، ولا يصبح أي عمل إنساني عملًا إلهيًا.

وهنا يبرز الفرق بين الاتحاد الأقنومي وحلول النعمة: فالحالة الأولى هي حالة فعل أو تصرُّف إلهي يتم إنسانيًا. بينما الحالة الثانية هي حالة فعل أو تصرُّف إنساني قد يُعان بالنعمة الإلهية، ويكون ذلك حسب قدرة الإنسان واستعداده الروحي.

وكمثالٍ على ذلك، فقد استطاع الابن الكلمة أن يخلق من الطين عينين للمولود الأعمى، وتم هذا كعملٍ إلهيٍ صادرٍ من اللوغوس، وبوسيلة إنسانية. هذه بالطبع قدرة ذاتية نابعة من الاتحاد الأقنومي.

أمَّا في حالتنا نحن، فلا يمكن أن تتم معجزة مثل هذه بالإرادة الإنسانية، رغم وجود النعمة؛ لأن النعمةَ تمنح القدرةَ على المعجزات لعددٍ معيَّنٍ مختارٍ من الله. وفي حالتنا، تتم المعجزات بالصلاة، ويظل عمل المعجزة قاصرًا على النعمة التي فينا، ويظل أيضًا متمايزًا عن الإرادة الإنسانية لا ينتمي إليها، ولا ينبع منها، ولا يقع تحت سيطرتها، وإنما العكس.

هكذا يظل الفرقُ بيننا هو فرقٌ بين الابن الخالق والبشر خليقته، وهو فرقٌ لا يزول بسبب حلول النعمة فينا. وهكذا كل أفعالنا، فهي بشرية بشكلٍ تامٍ، أمَّا كل أفعال الابن المتجسد فهي إلهية - إنسانية صادرة من الأقنوم الكلمة، وتتم بالناسوت حسب احتياجات خلاص الإنسان.

وهكذا على نحو سري لا يمكن تحديده فلسفيًا، نحن نتشبَّه بناسوت المسيح في المجد، كقول الرسول بولس إن جسد قيامتنا سيكون على "صورة جسد مجده" (في ٣: ٢١). وطبعًا "جسد مجده" هو الجسد الذي فيه ملء

المجد. أمَّا أجسادنا، فهي تمتلئ منه، ويبقى هو متفوقًا كرأسٍ وينبوعٍ. أمَّا نحن فلسنا إلَّا قنوات صغيرة صادرة أو نابعة منه بسبب الاتحاد. ويظل جسد الابن الكلمة هو "الجسد المحيي" الواهب الحياة، وهذه صفة خاصة به بسبب الاتحاد. أمَّا أجسادنا، فتظل كما هي تحتاج إلى نعمة القيامة، ولا تهب الحياة لأحد، بل تنال هي الحياة من المسيح. هنا يبرز الفرق الضخم بين الاتحاد والنعمة. ففي حالة المسيح، صار جسده مصدر حياةٍ بسبب الاتحاد بين أقنومه وجسده. أمَّا في حالتنا، فقد ظل الجسدُ فينا محتاجًا إلى الحياة، يأخذها من النعمة دون أن تُصبح صفة ذاتية فيه، ولا يملك أن يعطيها.

نحن نتشبَّه بالابن الكلمة المتجسِّد كآدم الثاني، وما يخصنا هو ما وزَّعه علينا الرب في التدبير، أي نعمة التبني ونعمة عدم الموت. ولكننا لا ندخل شركاء في علاقة الابن بالآب، أي علاقة وحدة الجوهر الخاصة بالثالوث. نحن نتشبَّه بهذه الوحدة على قدر ما تعطينا النعمة، ولكن الفرق الأساسي بين الصورة، أي وحدة المؤمنين، والأصل، أي وحدة جوهر الثالوث، هو فرقٌ بين ما هو طبيعيٌ، أي وحدة الجوهر، وما هو ممنوحٌ، أي وحدة المؤمنين التي تخلقها النعمة. ولا تملك القدرات الطبيعية الإنسانية أن تقيم وحدة من أي نوع؛ لأن الوحدة هي صفة اللاهوت وحده، أمَّا المخلوقات، فهي تتَّحد بالقانون الطبيعي، وبقدرات الإرادة، وفاعلية الفكر. أمَّا وحدة جوهر الثالوث، فهي عكس ذلك تمامًا؛ لأنها أزلية لم تحدث باتفاق الأقانيم، ولم تنبع بل كانت منذ الأزل، ولا تنمو، ولا تُعان من النعمة، بل تظل في وحدتها غير المتغيرة. وهكذا إذا قيل عن المسيح إنه "البكر بين إخوة كثيرين" (رومية ٨: ١٩)، فإننا لا نفهم من هذا أننا نصبح مثله في كل شيء؛ لأن هذا يفوق احتمال الطبيعة الإنسانية، ولم تسمح به النعمة إلاَّ في إطار محدد واضح، وهو تجديد الطبيعة الإنسانية.

وهكذا يتم تجديد الطبيعة الإنسانية على النحو الذي تجدَّدت به في المسيح رأس الخلاص، فهو الباكورة والرأس، ومع ذلك يلمع نور وبهاء التجديد في المسيح كما يلمع المنبع أو المصدر، ولا يتألق أحدٌ مثله؛ لأنه يحفظ لنفسه جمال البكورية الذي لا يتغيَّر.